

مَدينَة الرَّمْلَة

مُنذُ نشأتها حتى عام ٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م

تأليف
الدكتور صادق أحمد داود جودة
أستاذ مساعد في كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار عمّار

مؤسسة الرسالة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مدينة الرملة

منذ نشأتها حتى عام ٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م

الطبعة الأولى

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م



مؤسسة الرسالة بيروت – شارع سوريا – بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ – ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

دار عمار
ص.ب: ٩٢١٦٩١ هاتف: ٦٥٢٤٣٧
سوق البتراء - قرب الجامع الحسيني

مدينة الرملة

منذ نشأتها حتى عام ٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م

الدكتور
صادق أحمد داود جودة

مؤسسة الرسالة
دار عمّار

بسم الله الرحمن الرحيم

حموا منزل الأفلاك من مرج راهط

ورملة لدان تباح سهولها

[ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣/ ٧١]

المقـــدمـــة

برزت أهميـة الـرملة منـذ اللحظة الأولى لقيامها حيث كان سليمان بن عبدالملك يود أن يتخذها مقراً لخلافته . وقد أحب سليمان الرملة كثيراً وبادله سكانها حباً بحب وقد رعوا ذلك في ولده . فلما تأزمت أمور الدولة الأموية أيام الوليد بن يزيد بن عبدالملك عام ١٢٦ هـ ، قام أهالي الرملة بثورة ضد الخلافة الأموية واسندوا أمرهم إلى يزيد بن سليمان بن عبدالملك ولكنّ هذا لم يستمر طويلًا فسرعان ما قضى سليمان بن هشام بن عبدالملك على الثوار وأعاد الأمن إلى نصابه .

وقد درج الامويون بعد سليمان على الاهتمام بالرملة نظراً لموقعها الممتاز الـذي جعلها مفتاح الشام للقاصد من مصر وبالعكس ، وقد سار العباسيون بعـدهم على نفس النهج مما جعل الرملة تزدهر وتنمو باستمرار . وقد جعل المعتصم جزءاً من المال ينفق في كل سنة على رعاية الرملة وصيانة مؤسساتها العمرانية يحتسب من ميزانية الاقليم ويحاسب به الولاة .

وعلى الرغم من أن العباسيين قد نظروا إلى سكان بلاد الشام عموماً على أنّهم ورثة الأمويين بل والساعين لإعادة ملكهم ـ لذا عاملوهم معاملة متميزة وراقبوهم بعيون مفتوحة باستمرار ـ إلّا أن الرملة لم تتأثر بتلك المعاملة وظلت النفوس تهفو إليها لخطورة مركزها الاستراتيجي في بلاد الشام .

وكانت معاملة العباسيين لأهالي الشام عموماً سبباً في إثارة مشاعرهم فإذا

ما لمس هؤلاء ضعفاً في الادارة المركزية لجأوا إلى التمرد والعصيان . ومن هذا القبيل ثورة الأشعث بن قيس العقيلي شمال الشام والمبرقع اليماني أواخر عهد المعتصم في فلسطين .

ثم لما بدأت العناصر التركية تضيق الخناق على الخلفاء العباسيين وتحجر عليهم بعد قتل المتوكل بل وتتدخل في شؤون الحكم وادارة الدولة لجأ أهالي الرملة إلى العصيان والثورة بزعامة عيسى بن شيخ والي المدينة وقد شملت ثورته سائر البلاد الفلسطينية وجزءاً كبيراً من الشام .

إن هذه الثورة وما صاحبها من ضعف سلطة الخلافة في بلاد الشام جميعها قد مهَّد الأمور لاستقلال أحمد بن طولون في مصر والشام واقامة دولة استمرت حوالي ٣٨ عاماً . ولكن أمور الطولونيين قد بدأت تضعف بعد موت خمارويه بن أحمد بن طولون . وشهدت الرملة في تلك الاثناء مَقْدم المهدي مهاجراً إليها من سلمية في شمال الشام . وقد بقي المهدي مدة طويلة في الرملة مستتراً عن أعين العباسيين وولاتهم ، ولكنه غادر المدينة بعد ذلك متجهاً إلى شمال أفريقيا ، حيث أقام دولته هناك . ولعل من أهم الأسباب التي دفعته إلى الخروج من الرملة كونه قد بات خائفاً من أن تصل إليه أيدي الخلافة العباسية والتي بدأت ترسل خلفه من يتلقط أخباره للايقاع به ، علاوة على أنه لم يكن مطمئناً للقرامطة الذين كانوا يظهرون دعوته ليحققوا مآربهم الشخصية . وقد وضح له هذا الأمر عندما اجتمع الحسين بن زكرويه بالمهدي في الرملة وطلب منه منشوراً يعلن فيه أنه والقرامطة أصحاب دعوة واحدة . ولعل الحسين قد قصد الاستفادة من وراء هذا المنشور كسب تأييد الناس له في حروبه ، ولكنه عاد بعد أن حصل على ما أراد إلى الاعتداء على أتباع المهدي في سلمية وغيرها ، الأمر الذي جعل المهدي يترك الرملة إلى شمال أفريقيا .

ثم إن العباسيين قد استغلوا بدورهم ضعْف الطولونيين وأرسلوا إليهم محمد بن سليمان الذي دخل الرملة وانطلق منها إلى مصر وقضى على بقايا

الطولونيين . ولكن الرملة لم تكن راضيَةً عن تصرف محمد بن سليمان فلجأ أهلها إلى العصيان والتمرد وقاد جموعهم ابن الخليج (ابن الخلنجي) والذي استطاع أن يخضع ولاة العباسيين في مصر لسيادته عام ٢٩٢/ ٢٩٣هـ .

ثم شهدت الرملة فترة تقارب الربع قرن من الحكم العباسي المباشر بعد القضاء على تمرد ابن الخليج وهزيمته ، استطاع خلالها محمد بن طغج القائد التركي أن يلي أمر الرملة والشام في الفترة ما بين (٣١٦ ـ ٣٢١هـ) ، ويوجه الأحداث الوجهة التي يريدها في جنوب الشام وشماله ، واستطاع بما استغله من ظروف أن يتوصل إلى الاستقلال عن النفوذ العباسي . وبدأ نفوذ العباسيين المباشر بالزوال عن الرملة والشام وأصبحت مصر والشام تحت السيادة الإخشيدية الجديدة .

ويجب أن نذكر هنا أن الرملة لم تسعد كثيراً أيام الإخشيديين بل ظلت مثار نزاع وأرضها أرض حروب ما بين الإخشيديين والعباسيين ، حيث قام محمد بن رائق ونازع الإخشيد السيطرة على جنوب الشام بل وهاجم مصر نفسها مما اضطر الإخشيد إلى أن يعقد معه صلحاً ويقبل بوجوده في شمال الشام ووسطه ، وهكذا ظلت الرملة ضمن دائرة نفوذ الإخشيديين ثم تطورت الظروف وقتل محمد بن رائق في الموصل عام ٣٣٠هـ فيما بعد .

وقد حرص الإخشيديون على بقاء مفتاح الشام بأيديهم فكرَّسوا وجودهم في الرملة وجنوب الشام في محاولة للوقوف أمام البيزنطيين ، والدفاع عن الوجود الإسلامي في المنطقة .

وانسجاماً مع هذا المفهوم وقف الإخشيديون إلى جانب سيف الدولة الحمداني الذي دخل الرملة شاهراً سيفه على الإخشيديين وقدموا له العون المادي والعسكري والسياسي لأنه ينفذ أهدافهم في الدفاع عن دنيا الإسلام في حين كان عليهم مقاومته للنهاية .

وبلغت الرملة أوج شهرتها أيام الفاطميين لأنهم نظروا إلى المدينة على

أنها مفتاح الطريق عبر الشام إلى بغداد ، أملهم المنشود ، حيث كانوا يودون الاطاحة بالخلافة العباسية ، ودخول العاصمة العباسية ونشر المذهب الشيعي بين أفراد المجتمع ، والعمل على سيادته بالقوة في تلك الربوع .

وكانت الرملة قد عانت من دخول القرامطة إليها منذ أواخر الحكم الإخشيدي أيام واليها الحسن بن عبيدالله بن طغج الإخشيدي ، فقد اكتوت المدينة بنارهم مدةً حيث هاجموها ودخلوها وقتلوا ونهبوا ، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في هزيمة الوالي الإخشيدي أمام الجحافل الفاطمية بقيادة جعفر بن فلاح بل وأسره وارساله إلى مصر لينال جزاء مقاومته في الرملة .

وظل القرامطة وغيرهم من القادة العباسيين يناصبون الفاطميين العداء محاولين سلخ الرملة عن مصر . ومعنى هذا إن تم انحسار ظِلّ الفاطميين عن بلاد الشام واكتفائهم بمصر . وهذا القصد منه إبعاد خطرهم عن خلافة بغداد . لذا حرص الفاطميون على نشر نفوذهم على الرملة وجنوب الشام بشتى الطرق مما كلفهم جهداً ومالاً ورجالاً .

إن هذا الصراع الفاطمي العباسي القرمطي قد شجع عرب الرملة ومنطقتها على أن يلعبوا دوراً خطيراً في احداث المنطقة برمَّتها . فقد ظهر آل الجراح الطائيين على مسرح الأحداث وسيطروا على جنوب الشام لفترات متقطعة مرة برضى الفاطميين ودعمهم وأخرى غصباً . وهكذا حاول هؤلاء مسك العصا من الوسط في عملية إيجاد توازن قوى في المنطقة لصالحهم .

وباختصار نقول ، إن العهد الفاطمي هو عهد قلق وحروب مستمرة بالنسبة لجنوب الشام ، بشكل خاص ، نظراً لخطورة موقعه الاستراتيجي . ولا شك أن هذه الحروب قد أثرت تأثيراً سلبياً على الانتاج الزراعي عماد الاقتصاد آنذاك . وظل العباسيون والفاطميون في عداء مستمر حتى استطاع هؤلاء إقامة الخطبة الفاطمية في بغداد طيلة عام ٤٥٠ ـ ٤٥١هـ بزعامة البساسيري ، عاد

بعدها الخليفة العباسي القائم بأمر الله منتصراً إلى بغداد ، وقضى على الفتنة الفاطمية وأبعد الخطر الفاطمي عن بلاد العراق وذلك بمساعدة السلاجقة ، القوة السنية الجديدة في المنطقة .

وقد اشتد الصراع ما بين العباسيين والسلاجقة الذين سيطروا على مقدرات الخلافة العباسية عام ٤٤٧هـ ، بزعامة آرطغرلبك ، والفاطميين . وكان كل فريق يسعى بجد إلى تحقيق مكاسب له على حساب الفريق الآخر في بلاد الشام . وبمقدار حرص الفاطميين على تدمير الخلافة العباسية بمقدار ما كان السلاجقة حريصين على تدمير الخلافة الفاطمية . وقد كتب العباسيون عدة محاضر يطعنون فيها بنسب الفاطميين . وكانت بلاد الشام ميداناً لصراعاتهم الجديدة .

ونظراً لما للرملة من أهمية في مخطط كلا الطرفين: العباسيين والفاطميين ، حرص العباسيون وحماتهم السلاجقة على أن يقفوا بحزم أمام الفاطميين في الشام ويعطوا حركتهم المضادة للفاطميين صفة الاستعجال . فما أن انتهى السلاجقة من انتصارهم في موقعة ملاذكرد ٤٦٣/ ١٠٧١م ، حتى أرسل ألب ارسلان أحد قادته المدعو اتسز بن أوق وكَلَّفَهُ بتحقيق مكاسب عسكرية على حساب الفاطميين بالشام . واستطاع هذا أن يقتحم مواقعهم في جنوب بلاد الشام ويسيطر على الرملة وبيت المقدس . وسار قدماً وغزاهم في عقر دارهم ودخل مصر بقواته الَّا أنه سرعان ما ارتد منهزماً إلى الشام . وقد لحقته الجيوش الفاطمية وحاصرته بدمشق فاضطر أن يستنجد بتتش بن الب أرسلان ، الذي لبى النداء مسرعاً وحضر إلى دمشق . وكان لحضوره أثرٌ كبير في طرد الفاطميين ، ولكنه سرعان ما تخلص من اتسز ليخلو له الجو ويصفو ، ويمارس الحكم بصفة مطلقة ، دون مشاركة أحد ، وذلك عام ٤٧١هـ .

وهكذا ظلت الرملة تنتقل من حكم إلى حكم طيلة أربعة قرون تزعمت فيها مدن فلسطين حيث كانت مركزاً للإدارة ، فيها دور الحكم ومنها تدار

شؤون الاقليم . وظل هذا الوضع قائماً حتى قدمت قوات الغزو الصليبي عام ٤٩٢هـ . وأقام الصليبيون لهم كيانات معادية في بلادنا الإسلامية . وأصبحت الرملة في ظلّ هذا الاحتلال جزءً من المملكة الصليبية في بيت المقدس ، بل وأصبح لها وضع خاص متميز آنذاك .

وبعد أن لمسنا طرفاً من أهمية الرملة وأهمية جنوب الشام ظهرت لنا الحاجة الماسة إلى إبراز الأهمية الاستراتيجية للرملة في مخططات القوى التي تريد السيطرة على المنطقة . وهذا ما دفعنا إلى البحث وإبراز هذه الأهمية وبيان أثرها في تاريخ الشعوب التي سيطرت في المنطقة . وزاد حرص القوى التي سيطرت في مصر والشام على أن تكون الرملة بأيديها لأن من يريد الاستقلال التام في مصر عليه أن يتخذ من الرملة معبراً للسيطرة من خلاله على الشام جميعاً ، وذلك ليحمي ظهره من جهة الشمال . ونفس الشيء لمن يريد السيطرة على بلاد الشام فعليه أن يتخذ من الرملة معبراً للسيطرة بواسطته على مصر ومقدراتها لحماية ظهره في تلك المنطقة . ومن هنا جاءت أهمية البحث والتنقيب .

ويجب أن نشير إلى أن الباحث تعترضه عدة عقبات وصعوبات في مثل هذه الأبحاث المتشعبة ، لعل أهمها أن تاريخ الرملة متشابك الأطراف ومتشعب الجوانب ، يقتضي من الباحث إعمال الفكر باستمرار واستخلاص النتائج من المادة المطلوبة والمتوفرة بصعوبة . ثم إن الصعوبة تأتي من أن مثل هذه الدراسة لمنطقةٍ تعتبر معبراً من المعابر البشرية تتطلب جهداً كبيراً ، فعلى الباحث أن يكون متيقظاً يلتقط الأخبار من مظانها من مصادر ومراجع بحذق وعناية فائقة .

ويجب أن نشير كذلك إلى أن ابراز مظاهر الحضارة في مدينة أو منطقة من المناطق تقلبت عليها الحكومات وتعددت الدول التي سيطرت عليها يتطلب جهداً خاصاً ودراسة واعية لمظاهر الحضارة لتلك الدول والحكومات ، مما

يتطلب جهداً من نوع خاص ومتميز .

ولعل الصعوبة الكبرى تتأتى من كون الرملة قد كانت طيلة الأربعة قرون الأولى من تاريخهـا إما تابعة لدمشق الأموية أو لبغداد أو سامراء العباسية أو للفسطاط وللقاهرة أيام الطولونيين والإخشيديين والفاطميين . بمعنى أن الرملة لم تتمتع بكيان مستقل وبالتالي فإن مظاهر الحضارة فيها ما هي إلا من نوع وأنماط الحضارة السائدة في تلك الدول .

وهنـاك صعـوبة من نوع جديد هي أن مصادرنا ومراجعنا لم تهتم كثيراً بالنواحي الحضارية بصفة عامة ولم تركز على المدن الثانوية بالنسبة للقاهرة وبغداد ودمشق كالرملة وغيرها إلا لماماً . مما يضطر الباحث إلى جمع ذلك الشتات المتناثر هنا وهناك في بطون الكتب من مصادر ومراجع .

ومع كل ذلك فقد حاولت ما وسعني الجهد وأسعفتني المصادر أن أرسم كياناً للمدينة متكامل الجوانب في اعتقادي إلى حد كبير ، خاصة وانني لم أعثر على بحث أصيل يعينني في هذا السبيل وذلك لأن جنوب الشام لم تسلط عليه الأضـواء بشكـل واضـح وموسع كغيره من بقاع الإسلام شرقاً وغرباً . وهذا يطمعني في أن يكـون البحث لبنة صالحة من لبنات الدراسة الجادة في هذا السبيل في المستقبل ان شاء الله .

ومن هنا كان لزاماً علي أن أعود إلى المصادر الأساسية التي تخدم البحث وهذا ما قمت به ، فاستفدت من كتابات البلدانيين المسلمين بصفة عامة ، ومن كتابات البلاذري المتوفى ٢٧٦ هـ بصفة خاصة . فقد عالج في مؤلفه الموسوم بـ«فتوح البلدان» بناء سليمان لمدينة الرملة وأسباب ذلك بالتفصيل ، وأشار إلى التخطيط الهيكلي للمدينة كما رسمه سليمان بن عبدالملك وذكر أن أول بناء في المدينة هو: قصر الإمارة ، ثم دار الصباغين .

وأكد البلاذري فيما أورده أن الرملة من مستحدثات الإسلام في بلاد الشام

بل هي الوحيدة التي أقامها المسلمون في بلاد الشام في القرن الأول الهجري .

وأمـا المقـدسي المتوفى ٣٧٥هـ فهو ابن فلسطين والرملة ، فقد أمدني بمعلومات مفيدة للغاية حيث وصف المدينة في مؤلفه القيم الموسوم بـ«أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» وهو بالفعل أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم فقد أورد فيـه المقـدسي معلومـات شافية إلى حد ما عن هيكل المدينة التنظيمي ومؤسسـاتهـا العمـرانيـة وعـادات السكـان وتقاليدهم وأعيادهم من مسلمين ومسيحيين ويهود ، كل ذلك بأسلوب سلس وألفاظ واضحة المعاني سهلة الفهم .

وانتفعت كذلك بما أورده ناصر خسرو الذي زار المدينة بل المنطقة عام ٤٣٨هـ في مصنفه القيم «سفرنامه» فقد ألقى ناصر خسرو الضوء على مباني المـدينـة ، وركز على أهمية مادة البناء من الرخام المتوفرة في منطقة الرملة بشكل كبير . بل ونوّه بطريقة قطع الأحجار الرخامية وتشكيلها لتصبح صالحة للبناء فذكر كيفية استعمال المنشار في هذا السبيل وأبدى إعجابه بدور الرملة وبهائها .

وقد أمدني ياقوت الحموي المتوفى عام ٦٢٦هـ بمعلومات هامة تفيد في رسم صورة الرملة المشرقة منذ انشائها وركز على بناء سليمان للمدينة وأسباب ذلك .

ويأتي على رأس المصادر التي استفدنا منها بشكل واضح «اتعاظ الحنفا» للمقـريـزي المتـوفى ٨٥٤هـ . فقد ساعد في رسم صورة واضحة لعلاقات الفاطميين بالرملة ووردت فيه تفصيلات لبعض الحوادث لم ترد في غيره من المصادر الأخرى ، وهي معلومات لا غنى للباحث عنها ، وتأتي أهميته من أنه مؤلف متخصص بالدولة الفاطمية لحد كبير .

واستفدت كثيراً مما ورد في الكامل في التاريخ لابن الأثير المتوفى في حدود عام ٦٣٠هـ في إلقاء الضوء على الحوادث الهامة في منطقة الرملة ، مما يعد

ضرورياً لأنه مدعم بالسنين . وما التاريخ إلا زمن ومكان وإنسان يحرك الحوادث ضمن إطار هذا الزمن فوق المسرح الجغرافي المحدد .

وكذلك استفدت من كتابات الدواداري المتوفى عام ٧٣٦هـ في مؤلفه «كنز الدرر وجامع الغرر» خاصة في جزئه السادس فقد أمدني بمعلومات متصلة بصميم البحث وأحياناً لا تتوفر في غيره من المصادر والمراجع .

وقد أمدني ابن ظافر المتوفى ٦٢٣هـ فيما أورده في مؤلفه «الدول المنقطعة» بمعلومات أساسية للبحث إلى حد كبير لأنه في معظم الأحيان يذكر الحوادث المتصلة بالبحث بشيء من التفصيل فمثلاً ألقى الضوء بما لا يدع مجالاً للشك على دور آل مفرج في القضاء على أبي ركوة عام (٣٩٦/ ٣٩٧هـ) مما لا يوجد مثله في غيره من المصادر والمراجع .

وأما المسبحي المتوفى سنة ٤٢٠هـ فقد استفدت مما جاء في مؤلفه «تاريخ مصر» رغم أن الكتاب لم يوجد منه حتى الآن سوى حوادث السنتين ٤١٤ ، ٤١٥هـ . وتأتي أهمية كتابات المسبحي من معاصرته للأحداث التي يعالجها ومن كونه قد اعتمد على الحوادث المفصلة في كل شهر من أشهر العام بتفصيل قلَّ أن يوجد عند غيره ، ويهتم بالولاة والقضاء إلى حد كبير مما يضفي على كتاباته مزيداً من الأهمية والتقدير .

وقد استفدت كذلك من كتب التراجم المتوفرة وأهمها هنا كتاب «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي المتوفى عام ٤٦٣هـ . وهو بحق تحفة فريدة أفادت كثيراً في رسم صورة واضحة ومشرقة للحياة العلمية في الرملة إلى حد بعيد ووفرت مادة علمية قيمة فهو من الكتب الموسوعية التي لا غنى للباحث عنها في مثل هذه الدراسة .

وكذلك استفدت بشكل واضح مما ورد في «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لابن خلكان المتوفى عام ٦٨١هـ . وهو ثبت قيم حوى كثيراً من

التـرجمات الشافية والتي تخدم البحث إلى درجة كبيرة . ويمتاز بأنه يضيف إلى ترجماته أثر الشخصية التي يترجم لها في المجتمع وأهم الحوادث التي شاركت فيها بشكل أوضح مما ورد في غيره من كتب التراجم ، مما يجعل له أهمية في دراستنا وضرورة ملحة .

وبعـد فهنـاك فيض من المصـادر والمـراجـع ذكـرت في ثبت المصادر والمـراجع أفادت بشكل أو بآخر أشرت إليها في ثنايا البحث حسب الحاجة والضرورة في حينها .

وقد قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة ، وقسمين ، وخاتمة ، عالجت في المقـدمـة أسباب اختيار البحث وتحليل المصادر الهامة التي أفادت البحث واعتبـرت أكثـر أهميـة من غيـرها . وجاء القسم الأول يحمل اسم «التاريخ السيـاسي» وشمـل ستة فصول . الفصل الأول منها حمل اسم «نشأة الرملة وتخـطيطها وتسميتها» وقد عدت إلى الكتابات الأصلية في هذا الموضوع ، وخلصت إلى أن الرملة أخذت هذا الاسم لأن مكانها كانت تكثر فيه الكثبان الرملية وان هذه المدينة من بناء سليمان بن عبدالملك ، ولم تكن توجد مدينة بهـذا الاسم من قبـل وأن تخـطيطها تخطيط إسلامي حيث كان قصر الامارة والمسجد من أول المباني التي خطط لها ، ثم أقيمت دار الصباغين ، ودور المدينة بعد ذلك .

وأما الفصل الثاني فحمل عنوان «مدينة الرملة في الفترة الأموية» وقد عالج أهم الأحداث التي مرت في المدينة خلال تلك الفترة وكان من أهمها ثورة عام ١٢٦ هـ ، وسقوط الخلافة الأموية حيث شهدت منطقة الرملة المذبحة الأموية عام ١٣٢ هـ حيث قُضيُ على عدد كبير من بني أمية على يد العباسيين بالقرب من نهر أبي فطرس (العوجا) قرب مدينة الرملة .

وجاء الفصل الثالث يحمل عنوان «مدينة الرملة في الفترة العباسية الأولى» وأقصد بها الفترة من خلافة السفاح إلى قيام الدولة الطولونية في مصر والشام

سنة ٢٥٤هـ تقريباً . وقد ذكرت أهم الأحداث السياسية التي شهدتها الرملة في تلك الفترة وأهمها ثورة المبرقع اليماني في الرملة وفلسطين أواخر عهد المعتصم ، وألمحت إلى أنها تعود لأسباب اقتصادية» أكثر منها سياسية مع أن ظاهر الثورة يشير إلى أن المبرقع قام بثورته لأن أحد الجنود اعتدى على أهله في غيبته . وكذلك أشرت إلى ثورة عيسى بن الشيخ ٢٥٢هـ وأعدتها إلى أسباب اجتماعية سياسية .

وأما الفصل الرابع فحمل عنوان «مدينة الرملة في الفترة الطولونية» وأقصد بها الفترة الممتدة ما بين عامي ٢٥٤ ـ ٢٩٢هـ وركزت على أبرز الأحداث في هذه الفترة وناقشتها مناقشة علمية حسب ما تراءى لي من خلال ما قرأت فكنت أناقش وأرجح وأنقض ما يعترضني من روايات . وأشرت إلى أن الرملة في هذه الفترة قد شهدت الحرب الطولونية العباسية عام ٢٧١هـ فيما عرف بمعركة الطواحين أيام خمارويه بن احمد بن طولون حيث قابل جيوش الخلافة العباسية بقيادة المعتضد العباسي قبل أن يستلم الخلافة . وأشرت كذلك إلى ثورة ابن الخليج «الخلنجي» الذي عز عليه أن يذهب ملك الطولونيين فجمع الجموع وثار في وجه العباسيين وهاجم مصر وهزم واليها العباسي عيسى النوشري واشتدت حركته التي انطلقت من الرملة عامي ٢٩٢ ـ ٢٩٣هـ إلا أن العباسيين سرعان ما قضوا عليه وأعادوا مصر والشام إلى حظيرة الدولة العباسية .

وأما الفصل الخامس فحمل عنوان «مدينة الرملة في الفترة الإخشيدية» وقد عالجت في هذا الفصل الفترة التي ساد بها الحكم العباسي المباشر ثانية بلاد الشام ومصر بعد القضاء على الطولونيين وألمحت إلى الظروف التي ساعدت محمد بن طغج الإخشيد إلى الظهور واعتلاء ولاية مصر والشام وبالتالي استقلاله في تلك الربوع .

وقد عالجت في هذا الفصل علاقات الإخشيديين بمحمد بن رائق الذي كان يطمع في السيطرة على مصر والشام وبينت كيف تصدى له الإخشيديون

الـذين كانوا يودون المحافظة على ملكهم بكل غال وثمين ، ثم أشرت إلى طرفٍ من العلاقة ما بين الحمدانيين والإخشيديين وإلى حروبهم حول الرملة بشكـل خاص . ويجب أن أشيـر إلى أن مناقشتي للحوادث كانت للحوادث الهامة والمتعلقة بالرملة ومنطقتها مع ربطها بغيرها من الحوادث في المنطقة المحيطة كي يتسنى لي ابراز أهمية الرملة بوضوح .

وأما الفصل السادس فجاء يحمل عنوان «مدينة الرملة في الفترة الفاطمية» وقد عالجت فيه احتلال الفاطميين للرملة وبلاد الشام الأخرى وسيطرتهم عليها وأشرت إلى أهم الحوادث وأثرها على المنطقة . ثم بينت أن الرملة قد شهدت محاولات استقلالية قام بها آل الجراح سكان منطقة الرملة وضواحيها كرد فعل على أفعال الفاطميين وجيوشهم المغربية . وبينت كذلك أن هؤلاء قد حاولوا الاستقلال في الرملة مستغلين موقعها وأثرها في احداث المنطقة خاصة أنهم حاولوا استغلال موقعهم بين العباسيين والفاطميين وسلكوا كل السبل الممكنة وغير الممكنة ، وقد استعانوا بالقرامطة ثم انقلبوا عليهم . وقد واتتهم الظروف فساعدوا على قيام خلافة في الرملة أسندوها إلى الشريف أبي الفتوح شريف مكة عام ٤٠١هـ ثم انقلبوا عليه وقضوا على خلافته لقاء حفنة من دنانير الفاطميين .

وأشرت إلى أنهم ظلوا شوكة في حلق الفاطميين يثيرون المشاكل لهم في كل فرصة سانحة منذ النصف الثاني من القرن الرابع إلى النصف الثاني من القـرن الخـامس بشكـل ملفت للنظر ثم خمدت مطامعهم حيناً من الزمن ، وظهرت فيما بعد على أيدي أحفادهم بشكل غير ملفت للنظر .

وختمت هذا الفصل بحديث عن الرملة ما بين الفاطميين والسلاجقة القوة السنية الجـديـدة التي فرضت سيـطرتهـا على خلافـة بغـداد وتصدت لنفوذ الفـاطميين في الشام وظلت نداً لهم حتى الاحتلال الصليبي لأجزاء من بلاد الشام والعراق وذلك عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م .

وأما القسم الثاني «الجانب الحضاري» فشمل خمسة فصول جاء الفصل الأول يحمل عنوان «نظام الحكم والقضاء في الرملة» تتبعت فيه مظاهر قوة الوالي وضعفه وأشرت إلى أن وظيفة الوالي كانت تقوى وتضعف بالنسبة لقوة الخليفة ، فكلما كانت سلطة الخليفة قوية وشخصيته الأولى في المجتمع كان الوالي يتصرف بشكل مرضٍ وكان الخليفة يستطيع عزل الوالي في أي وقت يريد ما دامت شخصيته قوية والعكس صحيح . فإذا ما شعر الوالي بضعف الخلافة واضطراب الأمن حاول الاستقلال بأمور ولاية الرملة (فلسطين) ، كما حصل عام ١٢٦ هـ عندما ثار أهالي الرملة إثر ضعف مركز الخليفة أيام خلافة الوليد بن يزيد بن عبدالملك ، ويزيد بن الوليد بن عبدالملك ، ثار الأهالي وأوكلوا أمرهم إلى يزيد بن سليمان بن عبدالملك اكراماً لوالده ، الذي أحب فلسطين وشعبها ، وأقام مدينة الرملة كمركز لولاية الاقليم الفلسطيني . وكذلك ما حصل عندما استولى أهالي الرملة على أموال الخلافة المرسلة من مصر أيام موت الرشيد واعتلاء الأمين عرش الخلافة . وكذلك ثورة المبرقع اليماني سنة ٢٢٧ هـ وثورة عيسى بن شيخ عام ٢٥٢ هـ وما بعدها . ثم ألمحت إلى وضع ولاة الرملة وما كان يترتب عليهم أيام الطولونيين الإخشيديين والفاطميين من تبعات ، نظراً لأن الرملة مفتاح الشام للقادم من مصر وبالعكس وحلقة وصل ما بين مصر والشام والعراق وشرق الدولة الإسلامية .

كما أشرت إلى وضع القضاء في الرملة وأبنتُ كيف أن القضاء ظل خاضعاً لقاضي القضاة في بغداد أو في الفسطاط والقاهرة فيما بعد . ثم ألمحت إلى مركز القاضي الاجتماعي وأشرت إلى شيء من اختصاصاته في الرملة في العهود المختلفة .

وأما الفصل الثاني فحمل عنوان «الحياة العمرانية» وقد عالجت فيه الروايات الواردة حول إقامة المباني العمرانية وألمحت إلى أهم هذه المباني كدار الإمارة ودار الصباغين والسور والقلعة ودور المدينة والمسجد الأبيض وخزانات المياه إلى غير ذلك من نواحي العمران .

وجاء الفصل الثالث يحمل عنوان «الحياة الاجتماعية» عالجت فيه عناصر السكـان ومعتقـداتهم وطـوائفهم الدينية . ثم عرجت على عادات المجتمع وتقاليده وأعياده والزي وما إلى ذلك بأسلوب علمي .

وأما الفصل الرابع فحمل عنوان «الحياة الاقتصادية» ناقشت فيه الزراعة والتجـارة وأساليبها والسلع المتبادلة وأشرت إلى أن الرملة قد عرفت أساليب البيع المختلفة كالبيع بالصكوك وكانت هناك وكالات تجارية متخصصة .

وأخيراً جاء الفصل الخامس بعنوان «الحياة العلمية» أبنت فيه أن أساليب التعليم وطـرقـه في مدينـة الـرملة لم تتميـز عما كان عليه العرف في العالم الإسلامي . وأن أماكن التعليم كالرُّبَطِ والمساجد والبيوت الخاصة والكتاتيب كانت متوفرة في الرملة ومنطقتها . وباختصار عرفت الرملة أنواع التعليم في العصـور الـوسطى ، فكانت كتاتيب الصغار إلى جانب المساجد والمجالس الخاصة والرُّبَطِ لتعليم الكبار . ثم أقدمت على تقسيم علماء الرملة بحسب ما اشتهروا به من علوم كالحديث والفقه وعلوم اللغة والشعر والطب وقد أتيت على الكثيـر من التـراجم وكنت في خلال ذلك أشير إلى كبار العلماء وتلاميذهم وألمح إلى أهمية العالم بمقدار ما تسعفني به المصادر والمراجع .

ثم أنهيت البحث بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من البحث وأتبعتهـا بمجموعة من الملاحق والصور وقائمة بالمصادر والمراجع وفهارس البحث .

وبعد ، فهذا جهدي المتواضع أقدمه للقراء وكلي أمل أن يحوز على بعض رضاهم فإن أصبت فهذا قصدي ، وإن أخطأت فحسبي أني حاولت ، والله من وراء القصد .

د/ صادق جودة
بريده ـ القصيم
ربيع أول ١٤٠٥هـ / ديسمبر ١٩٨٤م

القسم الأوّل

التاريخ السّياسي

الفصل الأوّل

نشأة الرّملة وتخطيطها وتسميتها



توطئـــة :

امتـاز العـرب المسلمون عن غيرهـم من الفاتحين بإقامة صرح الحضارة وإعلاء شأنها منذ انطلاقهم من أرض الجزيرة فاتحين لبلاد الشام والعراق وفارس ومصر وغيرها . وأنه لمن يُمْنِ الطالع أن يصادف هؤلاء حضارة ذات مستوى في البلاد التي فتحوها ، فقد أتيح لهـم الاتصال بشعوب البلاد التي سيطروا عليها والاحتكاك بهم فتوفرت الفرصة لفكرهم الإسلامي العالمي أن يؤثر فيما سبقه من أفكار ويتأثر بها إلى حد بعيد .

ولعـل هذا الصـراع الفكـري الـذي شهدته أرض البلاد المفتوحة أوحى للمسلمين بضـرورة تثبيت أنفسهم بتلك الأراضي واثبـات قدرتهم كفـاتحين متميزين عن غيرهم بالفعل ، الأمر الذي يفسر لنا اتجاه المسلمين إلى تشييد معسكـراتهم خارج المدن المفتوحة . ثم تطورت هذه المراكز إلى مدن آهلة بالسكان بعد ذلك ، كما حصل للمدن الإسلامية الأولى أمثال الكوفة والبصرة .

ولا نستبعد أن يكون العرب المسلمون قد فضلوا الابتعاد عن سكن المدن المفتوحة في أول الأمر حتى لا يركنوا إلى حياة الدعة والهدوء وبذلك يفقدوا قوة الاستمـرار في الفتـح بل اعتقـدوا أن سكناهم المدن المفتوحة والامتزاج مع سكانها من شأنه أن يجعلهم يميلون إلى حياة الاستقرار والاسترخاء وينصرفون عن الجهاد والاستمرار في الفتوح لاعلاء كلمة الله بنشر مبادىء الإسلام السمحة وبذلك يفقدون شخصيتهم الإسلامية المتميزة .

ولكن هؤلاء الفاتحين عندما وطدوا ملكهم وثبتوا أقدامهم سرعان ما انطلقوا يخططون المدن في شتى البقاع التي فرضوا سيطرة الإسلام عليها فأقاموا البصرة والكوفة ، والفسطاط ، والقيروان ، والرملة وغيرها .

وكان الخليفة عمر بن الخطاب الذي شهد عهده قيام المدن الأولى في الإسلام يفضل أن تقام المدينة في موقع لا يفصله بحر عن عاصمة الدولة ومقر الخـلافـة ، متى شاء ركب إلى جنـوده كمـا حصـل بالنسبـة للبصرة والكوفة

والفسطاط . ومع تطور الزمن أصبح تصنيف المدن الإسلامية يسير وفق مفهوم خاص فهناك الأمصار والقصبات والمدن والمدائن والنواحي والقرى[1] . وكانت علامة المدينة أن يكون بها منبر .

وعلى العموم ، فكان جند فلسطين على الرغم من ضيق مساحته بالنسبة لأجزاء الدولة الإسلامية المترامية الأطراف يحوي نحو عشرين منبراً ، مما يفرد له وضعاً متميزاً في سجل الادارة الإسلامية[2] .

ويهمنا في هذا البحث إلقاء الضوء على نشأة مدينة الرملة ، إحدى أهم مدن فلسطين ، بل قاعدتها ، والتي أخذت اسم القطر (فلسطين) وعرفت به في معظم الأحيان خاصة في القرون الإسلامية الأولى ، وبيان تطورها العمراني والسياسي والاجتماعي والعلمي والاداري منذ أنشأها سليمان بن عبدالملك وحتى سقوطها بيد الصليبيين عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م .

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٤٧ .
متز (آدم) : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة أبو ريدة ٢ / ٢٦٨ وقد فسّر المقصود بهذه المصطلحات الحضارية كالتالي :
الأمصار: البلاد التي فيها السلطان وفيها الدواوين وتقلد منها الأعمال وتضاف إليها مدن الأقاليم .
القصبات : عواصم الأقاليم ومقامها من الأمصار مقام الحجاب من الملوك .
المدن والمدائن : ما يلي القصبات في الأقاليم ومقامها من الأمصار مقام الجند للملك .
النواحي : مثل نهاوند وجزيرة ابن عمر .
القرى: الملحقة بالمدن ومقامها مقام الرجالة .

(٢) الأصطخري : المسالك والممالك ، عام ١٩٦١ ص ٤٤ .
متز (آدم) : الحضارة الإسلامية ٢ / ٣٦٩ ، ويقول نقلاً عن الاصطخري أن بفلسطين ٥٠ منبراً ، وعند الرجوع للاصطخري تبين أنه ذكر ٢٠ منبراً لا خمسين .



تأسيس مدينة الرملة :

تكاد المصادر المتوفرة لدينا تجمع على أن الذي اختط مدينة الرملة ومصّرها هو سليمان بن عبدالملك الخليفة الأموي السابع وأنه بدأ بالبناء بعد ذلك أيام ولايته على فلسطين في خلافة أخيه الوليد بن عبدالملك[1] .

وهذا يعني أن المدينة كما اختطها سليمان هي من مستحدثات المسلمين ومركزاً من مراكزهم التي اعتادوا اقامتها كدليل على تقدمهم الحضاري وتميزهم عن غيرهم من الفاتحين . وألمحنا من قبل إلى أن العرب المسلمين قد اعتادوا على اقامة معسكرات لهم كمعسكر الجابية وحمص وعمواس وطبرية واللد والرملة والاسكندرية وغيرها ، خارج المدن . ولا يستبعد أن معسكر الرملة قد استبدل بتخطيط أكثر دواماً على يد سليمان بن عبدالملك وأقيمت مدينة الرملة بدله .

وهناك من المصادر من يَرْوي أن سليمان بن عبدالملك قد بدأ عملية البناء بعد خلافته[2] والصحيح أنه بدأ البناء قبل اعتلائه عرش الخلافة كما تؤكد المصادر السالفة التي أشارت إلى تخطيطه للمدينة .

وهناك سؤال يطرح نفسه هنا ، هل مدينة الرملة كانت عامرة قبل الإسلام أم أنها من مستحدثات المسلمين ؟ أي هل كانت مأهولة وعامرة قبل الإسلام أم لا ؟

(١) البلاذري : فتوح البلدان ق/١ ص ١٧٠ ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي طبعة بيروت ٢/ ٢٩٣ ، ابن الفقيه الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ص١٠٢ ، الطبري : الرسل والملوك ٨/ ١٠٢ ، الحموي : معجم البلدان ٣/ ٦٩ ، شيخ الربوة الأنصاري : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص٢٠١ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ٢٤٠ ـ ٢٤١ ، الدميري : حياة الحيوان ١/ ١٢٠ ، القلقشندي : مآثر الأنافة ١/ ٤٠ ، الحنبلي : الأنس الجليل ٢/ ٦٧ـ٦٨ ، القرماني : أخبار الدول وآثار الأول ص٤٦٨ .

(٢) الطبري : الرسل والملوك ٨/ ١٠٢ في رواية أخرى .
مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق ص١٦ ، ٣٤ .

إن استعراض المصادر هنا يؤكد على أن المدينة كما اختطها سليمان بن عبدالملك هي من تخطيطه وانشائه[1] وأنه لم تكن هناك مدينة عامرة تعرف بالرملة قبل الإسلام . وأما بعض المصادر المتوفرة[2] فانها تشير إلى أنه كان في فلسطين بعد الفتح عاصمتان إداريتان هما : القدس والرملة وأن عمر بن الخطاب جعل علقمة بن الحكم على نصف فلسطين وأسكنه الرملة ، وجعل علقمة بن محرز على نصفها الآخر وأسكنه القدس (ايلياء) . وهذا يعني أن الرملة مدينة موجودة وعامرة قبل الإسلام وإلا لما أسكنها علقمة ، وهذا قبل تخطيط المدينة على يد سليمان بمدة طويلة .

ويتصل بهذا أن هناك بعض المصادر[3] من يذكر أن الرملة قديمة جداً ويعود تاريخها إلى أيام داود وسليمان ورحبعام بن سليمان وولده الآخرين . ولكن هذه المصادر لا تؤكد على أنها عامرة قبل الإسلام وفي أيامه الأولى كما جاء في رواية ابن الأثير السابقة ، وتؤكد بدورها على أن سليمان هو منشىء مدينة الرملة .

هذا وان الدراسات الأثرية التي قام بها كريزويل[4] لم تؤكد على وجود مدينة تعرف بالرملة قبل سليمان وأنها كانت عامرة بل تؤكد على أن المدينة من تخطيط

---

(١) انظر المصادر السابقة في حواشي الصفحة «٣» بكاملها ، لي سترنج : فلسطين في العهد الإسلامي ص٢٥٣ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص١٩٢ ، ابن الأثير: الكامل ٢ / ٤٩٨ ، سمير شما : النقود الإسلامية نقلاً عن النويري ١٩ / ١٧١ ص٢٢ .

(٣) ابن الفقيه الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ص١٠٢ .

الحموي : معجم البلدان ٣/ ٦٩ .

الحنبلي : الأنس الجليل ٢ / ٦٨ ويقول : كانت الرملة مدينة متسعة .

(1) Cruswell0 Early Muslim Architecture 2. parts. Second

Edit Oxford At the claren don Press. 1969, 2/ 482.

المنجد : (صلاح الدين) : معجم بني أمية ص ٦٨ .

(٤) Creswell (K. A. C): A short Account of Early Muslim Architecture. P. 1. 8.

اسلامي وفق ما أقامها سليمان بن عبدالملك . وقد ذكر وضعاً لصهاريجها الإسلامية وطريقة بنائها كما ذكر مسجدها ولم يذكر آثاراً غير إسلامية في المدينة مما يؤكد أنها إسلامية التخطيط والبناء .

ونخلص من كل ما ذكرناه إلى أن المدينة مهما قيل ، إسلامية التخطيط والبناء ، ولم يكن قبل الإسلام ما يعرف بمدينة الرملة أي لم تكن مدينة مأهولة وعامرة . ولا يستبعد أن المسلمين قد أقاموا لهم معسكراً في جهات منطقة الرملة ودعوه معسكر الرملة لكثرة رمال المنطقة وأن علقمة بن الحكم قد أقام به كما أشار ابن الأثير قبلا ، وأن هذا المعسكر قد تحول مكانه فيما بعد إلى مدينة عرفت بالرملة . كما لا يستبعد أن أقام في المنطقة أناس من قبل لتوسطها بين البحر والجبل ، كما لا يستبعد أن يكون في المنطقة تواجد لتجمعات سكانية قبل تخطيط سليمان للمدينة . ولكن المدينة بالمعنى المعروف لم تكن موجودة ، ثم ان معرفة الاسم «الرملة» قبل تخطيط سليمان للمدينة لا يؤكد على أن هناك مدينة تعرف بالرملة وأنها كانت عامرة السكان قبل سليمان بن عبدالملك الأموي[1] ، وهذا ما جعل فيليب حتى يقول[2]: ابتنى سليمان الرملة على انقاض بلد قديمة وجعلها مقراً له .

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ١/ ١٧٠ ، الهمذاني: مختصر كتاب البلدان ص١٠٢ .
الحموي: معجم البلدان ٣/ ٦٩ ، أبو الفداء: تقويم البلدان ص ٢٤١ .
دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ١٩٣ ، وجاء أن سليمان اختط الرملة ونقل إليها دواوين الإدارة ومقر الحكومة الإقليمية التي كانت في اللد منذ طاعون عمواس .
(٢) حتى (فيليب): تاريخ العرب مطول ٢/ ٢٨٦ .

Cruswell o. P. cit: Vol 2. P. 482. 404.



تسمية مدينة الرملة :

تجمع المصادر المتوفرة على أن اسم الرملة قد أطلق على مدينة سليمان بن عبدالملك الجديدة ، لغلبة الرمل على أرضها[1] ، ومن هنا يظهر لنا أن الرملة لم تكن مدينة عامرة بالسكان قبل سليمان بن عبدالملك بل كانت أرضاً خراباً كثيرة الرمل . وهذا يخالف الآراء التي تنادي بأن الرملة قديمة .

وقد نقل القلقشندي عن العمري في مسالك الأمصار[2] أن الرملة سميت بهذا الاسم نسبة إلى امرأة تعرف برملة ، وجدها سليمان بن عبدالملك تسكن بيتاً من الشعر على أرض الرملة قبل الشروع في تخطيط المدينة ، ولما رأت تلك المرأة سليمان أكرمته وأحسنت إليه دون أنْ تعرفه فسألها عن اسمها فقالت : «رملة» ، فلما خطط البلد وبدأ بالبناء أطلق اسم رملة على مدينته عرفاناً لما قدمته له تلك المرأة من حسن الاستقبال والاحترام ، ومع ما في هذا التفسير من طرافة إلا أننا لا نميل إليه ، ونرجح ما ورد سابقاً من أنها سميت بالرملة لكثرة الرمال في أرضها كما أكدته معظم المصادر المتوفرة .

ويتصل بهذا سبب بناء سليمان بن عبدالملك لهذه المدينة ! .

يعود سبب بناء سليمان بن عبدالملك لمدينة الرملة إلى أن سليمان كان له كاتبٌ يدعى ابن بطريق[3] ، أو البطريق بن النكا أو ابن البكا[4] ، وقد سأل هذا

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ١/ ١٧٠ ، ابن الفقيه الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ص ١٠٢ .

الحموي : معجم البلدان ٣/ ٦٩ ، ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ٢/ ١٨١ ، الحميدي : الروض المعطار ص ٢٦٨ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ٤/ ٩٩ .

(٣) الحموي : معجم البلدان ٣/ ٦٩ .

البستاني : دائرة المعارف للبستاني عدد ٨/ ٦٦٧ مادة «رملة» .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ١/ ١٧٠ .

أهل لُد أن يسمحوا له بمجاورة كنيستهم في المدينة كي يبني له منزلاً إلا أنهم رفضوا طلبه ، فغضب لذلك وأقسم ليخربن مدينتهم . ثم كلّم سليمان بن عبدالملك ، وشجعه على بناء مدينة الرملة ، كما عمل أخوه الوليد حين عمّر المسجد الأموي وقبة الصخرة ، وهذا من شأنه أن يكسبه السمعة الطيبة في حياته ويخلد ذكره بعد مماته[1] .

وفي الواقع كان سليمان بن عبدالملك تواقاً إلى تخليد ذكره باقامة المؤسسات العمرانية شأنه في ذلك شأن بني أمية الذين أكثروا من العمائر والقصور والمساجد . واعتبر أن أقوال كاتبه فرصة ذهبية تفسح المجال أمامه ليحقق ما تصبو إليه نفسه فأسرع إلى تنفيذها فاختط مدينته ، مدينة الرملة ، وأجبر السكان في اللد على هجر مدينتهم إلى مدينته الجديدة بشتى الطرق والسبل ، وشجعهم بحفر الآبار لتوفير المياة الضرورية للحياة .

ولا يستبعد أن يكون سليمان قد أراد الاقامة الدائمة في فلسطين خاصة بعد أن بدأت الأمور تسوء بينه وبين أخيه عندما حاول هذا عزله عن ولاية العهد . ولا شك أن سليمان كان غير راض عن مسلك الحجاج الثقفي المتنفذ أيام والده وأخيه ، وأن سليمان قد أجار المهلب بن أبي صفرة لما هرب من سجن أخيه ، وظل عنده حتى خلافته[2] ، وكل هذا يفسر لنا لماذا أقام سليمان مدينته في فلسطين ، وقد ظل لهذه المدينة مركز الصدارة في فلسطين إلى أن سقطت بيد السلاجقة ، ثم الصليبيين فيما بعد كما سيأتي[3] .

= الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ص ١٠٢ .

(١) الحموي : معجم البلدان ٣/ ٦٩ .
البستاني : دائرة المعارف ٨/ ٦٧٧ .

(٢) حسن ابراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي جـ/١ ط/٧ ص٣٢٤ .

(٣) عرفت مدينة الرملة باسم فلسطين من باب إطلاق اسم الكل على الجزء . انظر: ناصر خسرو: سفرنامة ص٥٢ ، طبعة جامعة الملك سعود ، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، =



تخطيط مدينة الرملة :

يشير البلاذري[1] إلى الهيكل التنظيمي لمدينة الرملة عند بداية البناء ، أي أنه رسم لنا المخطط الهيكلي الذي أقيمت بموجبه مدينة الرملة ، فيقول : إن أول بناء بناه سليمان بن عبدالملك قصره ثم دار الصباغين ، والتي زودها بصهريج لجمع المياه من الأمطار في وسطها ، وأقام بعد ذلك المسجد وفق مخططه المرسوم له ولكنه وُلي الخلافة قبل اتمامه ، ولم يتوقف سليمان عن مواصلة البناء ودعم حركة السكان وتشجيعهم على البناء في مدينته بعد ذلك أي بعد أن أصبح خليفة ، ولكن الظروف اقتضته أن يبعد عن المدينة الناشئة إلى شمال سوريا ليواصل من هناك مراقبة الأعمال العسكرية ضد الدولة البيزنطية ، خاصة وأنه أرسل أخاه مسلمة بن عبدالملك لحصار عاصمتهم القسطنطينية .

ولم تطل أيام سليمان بعد ذلك ، فخلفه عمر بن عبدالعزيز بعد موته . وقد أخذ على عاتقه الاستمرار في عملية انشاء الرملة ، ودفع عجلة النمو والازدهار إلى الأمام ، وأنجز المسجد الذي اختطه وبدأ به سليمان من جملة ما أنجزه ولكنه لم يكن وفق مخطط سليمان . وقال : أهل الرملة يكتفون بهذا المقدار الذي اقتصرت به عليه[2] وهذا دلالة على أن عمر بن عبدالعزيز لم يكن اهتمامه منصرفاً إلى دعم نهضة الرملة العمرانية بنفس الزخم الذي بدأ به سليمان ، وذلك لانصرافه إلى شؤون الحكم وفق مفهومه . زد على ذلك أن سياسة عمر لم تقم على التوسع بالعمران ونمط حياته اتسم بالتقشف والزهد . وقد انعكس

= وهي غير الطبعة التي استعملناها في البحث .

(١) البلاذري : فتوح البلدان ١/ ١٧٠ ، المسعودي : التنبيه والإشراف ص ٣١١ ، ابن الفقيه الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ص١٠٢ .

Cruswell. op. cit. Vol. 2. P. 404.

ويقول : بنى الرملة وأقام قصره هناك وأصبح مركز إدارته ودواوينه .

(٢) المسعودي : التنبيه والإشراف ص ٣١١ .

هذا على الدولة في زمنه في شتى المجالات .

ومهما يكن من أمر فإن سليمان بن عبدالملك لما بدأ تنفيذ مخططه في بناء الرملة ، أذن للناس أن يبنوا مساكنهم واحتفر لهم قناة تدعى «بردة» تجري فيها المياه من نهر أبي فطرس الذي يبعد عن المدينة ١٢كم ، وعدداً من الآبار الارتوازية العذبة[١] ، وقد تولى الإشراف على عملية البناء الأولى كاتبه النصراني ابن البطريق[٢] ، ثم توالت عمليات البناء وبدأت المدينة تنمو وتزدهر مع مرور الزمن ، وازدادت أهميتها التجارية والسياسية فاتسعت خطتها ، وقد وصف المقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم»[٣] هذه المدينة ، قائلاً: مدينة فسيحة واسعة بناؤها حسن المنظر ، وهي خفيفة الماء مريه ، محاطة ببساتين الفاكهة بين رساتيْق جميلة وقرىً نفيسة وتتمتع بموقع تجاري متفرد وتصدر للخارج ما تنتجه خاصة تينها الشهي المذاق .

ولا ينسى المقدسي أن يصف لنا جامعها قائلاً: «وليس في الإسلام أبهى من جامعها ولا أحسن وأطيب من حواريها ، ولا أبرك من كورها ولا ألذ من فواكهها» .

ويمدح موقعها ويذكر أنه بين رساتيق زكية ومدن محيطة ورباطات فاضلة مما يدلل على الصبغة العسكرية للمدينة منذ انشائها . وأما فنادقها الرشيقة اللطيفة وحماماتها الأنيقة ونظافتها واتساعها وحسن منازلها ومسجدها واتساع شوارعها وتوسط موقعها بين البحر والجبل كلها أمور نالت إعجاب المقدسي .

وعلى الرغم مما ذكر المقدسي[٤] فإنه لم ينس أن يذكر مساوىء الرملة

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ١/ ١٧٠ ، المسعودي : التنبيه والإشراف ص٣١١ .
الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ص١٠٢ .

(٢) المصادر السابقة نفسها .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٦٤/ ١٦٥ .

(٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٦٥ .

فقال: هي في الشتاء جزيرة من الوحل وفي الصيف ذريرة من الرمال ، لا ماء يجري فيها ولا خضر ولا طين جيد ولا ثلج . كثيرة البراغيث عميقة الآبار المالحة ، وماء المطر في جباب مقفلة لا يردها الفقير العطشان ، والزراعة تعتمد على ماء المطر وتخضع لتقلبات الجو وعوامله .

وكانت مساحة المدينة أيام المقدسي في القرن الرابع الهجري تبلغ ميلاً مربعاً وهذا يدل على أنها نمت شأنها شأن المدن الأخرى وبخاصة أنها أصبحت قصبة فلسطين منذ انشائها وخراب لد . وكان البناء من الحجارة المنحوتة الحسنة والطوب[1] .

وعدد المقدسي كثيراً من دروب الرملة وشوارعها وذكر أسماءها وسنتكلم عنها بالتفصيل في فصل قادم ، وكان جامع الرملة الذي اختطه سليمان بن عبدالملك وبدأ ببنائه وقد أكمله الخليفة عمر بن عبدالعزيز بعده ، مثار اعجاب المقدسي فقد ذكر أنه أبهى وأرشق من جامع دمشق ويدعى بالأبيض ليس في الإسلام أكبر من محرابه ولا بعد منبر القدس أحسن من منبره وله منارة بهية والظاهر أنها من اضافات هشام بن عبدالملك الأموي[2] .

وقدم لنا صاحب الروض المعطار[3] وصفاً للرملة يستفاد منه أنه كان للمدينة سور له اثنا عشر باباً تؤدي إلى الخارج وهي كالشرايين البشرية تشرف على عملية

---

(١) المصدر السابق ذكره .

(٢) المصدر السابق ذكره ، الظاهري : زبدة كشف الممالك ص٤٢ .
فيليب حتى : تاريخ لبنان وسوريا وفلسطين ٢/ ١٢٨ يقول الجامع الأبيض الثالث بعد المسجد الأموي وقبة الصخرة .
عفيف بهنسي : تاريخ العرب مطول ط/٤ ، ٢/ ٢٨٦ .
: الشام لمحات آثارية وحضارية ، دار الرشيد ١٩٨٠ ص١٣٤ .

(٣) الحميري : الروض المعطار طبعة بيروت ١٩٧٥ ص ٢٦٨ .
الحنبلي : الأنس الجليل ٢/ ٦٧-٦٨ .

الاتصال الخارجي والداخلي فكما يقذف القلب الدم البشري في دورته فهذه الأبواب تنظم عملية الاتصال ما بين الداخل والخارج .

وكانت أسواق الرملة تتصل كلها بأبواب السور وتباع فيها جميع السلع المعروفة وتلتقي في وسط المدينة ، وكانت هناك قلعة على عادة مدن العصور الوسطى هي أمنع أماكن المدينة حيث تتركز الادارة بجانبها وتتواجد حاميات عسكرية دائمة ، وهذا المخطط يعود إلى حدود الخمسماية الهجرية[1] .

ولكن أهمية الرملة ازدادت لكونها عاصمة فلسطين ومقر الادارة المركزية للاقليم وأصبح جنوب الشام مجال صراع بين الفاطميين في مصر والخلافة العباسية في بغداد ، وكانت المدينة في معظم القرن الثالث والرابع الهجريين تخضع لنفوذ الدول التي استقلت إلى حد ما في مصر كالطولونيين والإخشيديين ، ولما قدم الفاطميون إلى مصر سيطروا على جنوب بلاد الشام وقاعدته الرملة ، ولم تستطع الخلافة العباسية أن تجاريهم في هذه البقعة من بلاد الشام إلاَّ لماما .

ونظراً لتقلب الظروف على الرملة فإننا نجد بصمات مختلفة على مخططها الهيكلي نوعا ما فنجد أن الصليبيين مثلاً قد جعلوا من الرملة بعد احتلالهم لها عام ٤٩٢هـ ابرشية وبنوا كنيسة جميلة تحولت فيما بَعْد إلى مسجد عندما استرد المسلمون المدينة سنة ٥٨٣هـ[2] .

وتظهر البصمات القوطية واضحة في هذا البناء ، وقد أضاف السلطان

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٣/ ١٤٧ وينفرد دون غيره بذكر باب لسور الرملة يدعى باب الزيتون أثناء الكلام عن حروب محمد بن الخليج مع وصيف بن صوارتكين أيام زوال الطولونيين على يد العباسيين عام ٢٩٢هـ .
الحميدي : الروض المعطار ، المصدر السابق نفسه ، الحنبلي : الأنس الجليل ، المصدر السابق .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ١٩٥ .

المملوكي كتبغـا كتابة اليها من غير مراعاة لجمال الفن المتميز فيها ، وبهذه الكنيسة كتابة تدل على أن برجها المربع والذي أصبح مئذنة للمسجد فيما بعد مستـديرة الشكـل قد شيد أو أعيد تشييده عام ٧١٤/ ١٣١٤ ـ ١٣١٥م زمن السلطان محمد بن قلاوون[١] .

وتجدر الاشارة إلى أن السلطان صلاح الدين لما استرد مدينة الرملة قد جدَّد بناء الجامع الأبيض عام ٥٨٧/ ١١٩١م ثم زاد عليه السلطان المملوكي بيبرس عام ٦٦٦هـ[٢] فيمـا بعد ، ومن أهم ما أضافه بيبرس أنه عَمَّـر قبة المحراب والباب المقابل لهذه القبة والمنارة التي استبدلت بغيرها بعد خرابها[٣] .

وكـانت المـدينة قد تدهورت آنذاك وتقلص مخططها العمراني وسكانها لسيطرة الصليبيين عليها حوالي مئة عام ، ولكن شهرتها التجارية ظلت قائمة تجلب التجار لممارسة عمليات البيع والشراء خاصة وأنها على طريق الشام مصر[٤] .

ومما أضيف إلى منشآت الرملة العمرانية أيام استادارها شاهين الكمالي عام ٨٥٤هـ منارة جعل فيها مسجداً جامعاً تقام فيه الجمعة والأعياد ووظف عليها الأموال والأوقاف الدّارة لذلك[٥] .

وفي أيام الحنبلي خربت المدينة بحيث زالت الأسوار والأسواق القديمة وأصبح المسجد الجامع بظاهرها من جهة الغرب وأصبح ما حوله مقبرة ، ولم يبق من المباني التي كانت تحيط بالمسجد الجامع شيء يذكر . ولم يبق سوى حارة بجواره من الجهة الشمالية أشبه بالقرية وأصبحت الرملة برمتها منفصلة عن

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ١٩٥ .
(٢) الحنبلي : الأنس الجليل ٢/ ٦٩ ، دائرة المعارف الإسلامية ، المرجع السابق نفسه .
(٣) الحنبلي : المصدر السابق نفسه .
(٤) المصدر السابق نفسه .
(٥) المصدر السابق نفسه .

المسجد[1] .

ونـظراً لموقع الرملة الممتاز أقام فيليب (الدوق) ديراً لاتينياً عام ١٤٢٠م وجدده لويس الرابع عشر ملك فرنسا فيما بعد ، ولم يأل نابليون جهداً عندما غزا بلاد الشام عام ١٧٩٨م أن يُقيم مقر قيادته في مدينة الرملة وفي برج مسجدها[2] .

ولا يزال إلى الآن بعض أجزاء من الجامع الأبيض في الرملة رغم تقلب الزمن شاهداً على مراحل تاريخ بناء المدينة وشموخها مع الزمن كما لا تزال صهاريج المياه التي أقيمت في المدينة أيام الرشيد العباسي ماثلة للعيان[3] .

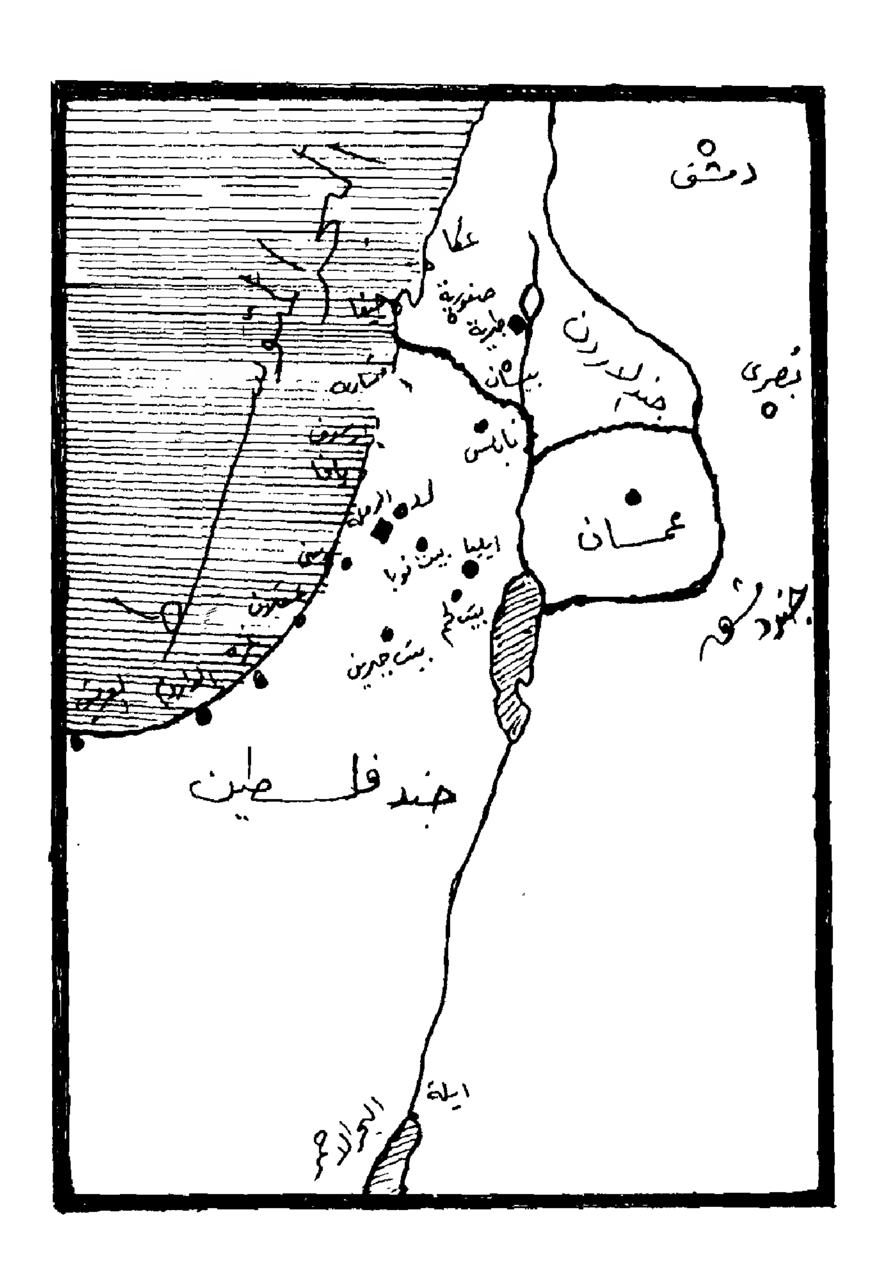
وبعد ، فقد قدمنا وضعاً موجزاً لمخطط الرملة منذ انشائها بمقدار ما وسعنا الجهـد ، ولكننـا سنتناول بالكلام في فصل لاحق تفاصيل هذا المخطط من خلال الكلام على المنشآت العمرانية في المدينة .

---

(١) الحنبلي : الأنس الجليل ٢/ ٦٨-٦٩ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ١٩٥م .
احمد عطية : القاموس الإسلامي ٢/ ٥٧٤ .

(3) Cres well (K. A. C): o. p. cit. P. 108.



جند فلسطين ، والأردن ، ودمشق

الفصل الثاني

مدينة الرملة في الفترة الأموية



الرملة من سليمان إلى خلافة الوليد بن يزيد :

بدأت عملية الفتوحات الإسلامية أيام أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ حيث أرسل أربعة جيوش لفتح بلاد الشام والقضاء على السلطة البيزنطية هناك ، ولما اعتلى عمر بن الخطاب سدة الخلافة ولّى أبا عبيدة القيادة العامة لجيش الفتح فاسند أبو عبيدة ولاية فلسطين ليزيد بن أبي سفيان ثم تولى عمرو بن العاص بعده على فلسطين والأردن ، وظل عمرو والياً حتى تولى معاوية بن أبي سفيان أمر بلاد الشام كلها فيما بعد ، بعهد من عمر بن الخطاب[١] . وظل معاوية والياً على بلاد الشام حتى أقام الدولة الأموية عام ٤٠هـ في دمشق .

وكان من عادة الأمويين العيش خارج دمشق ، والغالب على حكامهم أنهم كانوا يختارون اقامتهم في فلسطين أو نواحيها بدليل أن معاوية بن أبي سفيان ومروان بن الحكم من بعده وغيرهما كانوا غالباً ما يقيمون في «الصِّنَّبْرَة» على ضفة بحيرة طبرية الجنوبية ، وكان يزيد الأول يقيم في هوارين وأذرعات وعبدالملك في الجابية والوليد في أَسَيْس «تل جنوب شرق دمشق» وفي القريتين ، وابناؤه في القسطل ويزيد الثاني في الموقر بالقرب من مدين في بيت رأس[٢] .

وفي أيام الوليد بن عبدالملك ولّى أخاه سليمان أمر فلسطين ، والذي بادر بتخطيط الرملة عندما رأى أعمال أخيه العمرانية في إقامة مسجد دمشق وقبة الصخرة المشرفة في القدس ، أي أنه نسج على منواله ، وكان سليمان متشجعاً للمضي في اقامة مدينته الجديدة وهجر لُداً مقر اقامته وانتقل إلى المقر الجديد في الرملة وأمر الناس بالهجرة إليها ، الأمر الذي ترتب عليه خراب لد ، ومنذ

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ١/ ١٧٠ روى ابن يزيد بن أبي سفيان تولى أمر الشام بعد موت أبي عبيدة عامر بن الجراح (الاردن وفلسطين) فقط .
ابن خلكان : وفيات الأعيان ٧/ ٢١٤ .
(٢) دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ١٩٣ .

ذلك الحين أصبحت الرملة مركز فلسطين وقصبتها ، وظلت كذلك حتى سقطت بيد السلاجقة ثم الصليبيين فيما بعد[١] .

وكان أول بناء شاده سليمان ، قصره ثم دار الصباغين ، وهنا تظهر لنا نظرة سليمـان الصـائبة في اقامة دار للصباغين للاشراف على تنفيذ عملية البناء ، وتـوفير الأيدي العـاملة الفنية ، ثم استمرت المدينة بعد ذلك في الازدهار ، والتقـدم طيلة الفتـرة الأمـوية شأنهـا شأن الكائن الحي ، ينمو ويزدهر حيثما يصادف الرعاية والعناية ، ويضعف ويضمحل إذا وجد الاهمال والنسيان[٢] .

ولكن سليمان أصبح خليفة قبل أن يتم بناء مدينته ، بل قبل أن يتم بناء مسجدها ، ولم تشغله ظروف الحكم عن الاستمرار قدماً في عملية البناء لاتمام مدينته ، وكان يفكر جدياً بأن يجعلها مقراً للخلافة بدلاً من دمشق هي أو بيت المقدس ، نظراً لحبه وشغفه بفلسطين وشعبها ، وَلِما تتمتع به من مكانة دينية مرموقة تأتي بعد الأماكن المقدسة في مكة والمدينة ، كيف لا وهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

ومهمـا يكن من أمـر فإن ظروف سليمـان العسكرية اقتضته أن يقيم في معسكر مرج دابق قرب حمص شمال الشام ليشرف من هناك على العمليات العسكـرية ضد الـدولـة البيزنطية ، عدوة الإسلام الأولى آنذاك ، ولا نجانب الحقيقة إذا قلنا أن فترة حكم سليمان القصيرة وبقائه في شمال الشام للإشراف على النواحي الحربية ضد البيزنطيين قد حالا دون اقامته في الرملة واتخاذها دار خلافة هي أو القدس ، ولكن الملاحظ أن سليمان بن عبدالملك لم ينقطع كلية

---

(١) ابن الأثير: الكامل ١٠/٦٨ ، ١٠٣ ، الذهبي : دول الإسلام ١/ ٢٧٣ .
العينيَ : عقـد الجمـان جـ/١٢ ميكـروفيلم بجـامعـة الكـويت رقم ٦٠٢ حوادث سنة ٤٦٣هـ/ ٤٦٩هـ .
سهيل زكار: مدخل إلى الحروب الصليبية ١٥٦ ، ١٦٢ .
(٢) البلاذري : فتوح البلدان ١/ ١٧٠ ، دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ١٩٣ .

عن الرملة ، بل ظل يزورها كلما سنحت له الفرصة ليعطي عملية البناء دفعة إلى الأمام .

ودرج الخلفاء الأمويون بعد سليمان على الاهتمام بالرملة وشؤونها مما جعل المدينة تواصل خطوات النمو والازدهار حتى أنها أصبحت في مقدمة المدن الفلسطينية لا بل عاصمة الإقليم الفلسطيني برمته[١] ، وقد حملت الرملة اسم فلسطين وأصبحت كلمة فلسطين في التنظيم الاداري الأموي تعني مدينة الرملة والعكس صحيح ، وأصبح والي فلسطين يقيم في المدينة .

ولما تولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة بعد سليمان بن عبدالملك اهتم بالمدينة وبفلسطين وأصبح عامله عبدالله بن عوف ومن بعده النضر بن يريم بن ابرهة بن الصباح يقيم فيها ويشرف على ادارة الإقليم[٢] ، ولكن قصر مدة حكم عمر بن عبدالعزيز وانصرافه إلى حياة التقشف والزهد وضغط المصروفات جعله لا يعطي عملية البناء والدعم اهتماماً كبيراً جداً حتى أنه أتمَّ بناء مسجد سليمان في مدينة الرملة بشكل مختصر عما كان خططه سليمان نفسه ، ورد على من انتقده قائلاً : «أهل الرملة يكفيهم هذا القدر» ، وذلك لأن الرملة آنذاك كانت في دور النمو ولم يكن سكانها قد أصبحوا كثرة بعد .

ولم يذكر البلدانيون المسلمون أية خدمات قدمها يزيد بن عبدالملك ربما لأنه كان يسعى وراء ملذاته وشهواته الخاصة وأهمل ما دون ذلك ، وأما هشام بن عبدالملك فقد أضاف إلى منشآت المدينة وزاد في جامعها حتى أن المقدسي ذكر له ذلك وبالغ في أنه هو الذي جلب أعمدة الجامع مع أن أعمدة الجامع قد وضعت منذ أيام سليمان بن عبدالملك على أوثق الروايات[٣] .

---

(١) لي سترنج : فلسطين في العهد الإسلامي ص٢٥٣ .
(٢) صالح العلي : موظفو بلاد الشام في العهد الأموي مجلة الأبحاث ، السنة التاسعة عشرة جـ/١ آذار سنة ١٩٦٦ ص٧٣ .
(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٦٥ .

الرملة من عهد الوليد بن يزيد إلى نهاية الدولة الأموية :

وفي زمن الوليد بن يزيد بن عبدالملك أرسل عمه سعيد بن عبدالملك والياً إلى الرملة ، وشهد عام ١٢٦هـ ثورة قام بها الفلسطينيون ضد الخلافة الأموية ووثبوا على عاملهم سعيد بن عبدالملك ، والي الوليد بن يزيد بن عبدالملك ، ويبدو أن السكان قد أرادوا الثورة والتمرد مستغلين ضعف الدولة الأموية ، حيث اشتهر الوليد بن يزيد باللهو واللعب ، وكان مستهتراً بأمور الدين والحكم[١] .

والمهم أن ثورة السكان قد اتخذت بعداً جديداً ، فقد كان هدفهم قلب نظام الحكم بالقوة المسلحة ، فقد احضروا بعد تمردهم يزيد بن سليمان بن عبدالملك ونصبوه خليفة عليهم ، واستغل الثوار عطف الفلسطينيين على سليمان بن عبدالملك واليهم السابق وخليفة المسلمين وآله من بعده لكسب الدعم والتأييد لهذا الخليفة الجديد .

وبادر يزيد بن سليمان بن عبدالملك إلى القبول بما تمَّ وأخذ يطالب بالدعم من باقي أقاليم الدولة الأموية ، ويدعو لنفسه وصمم على الوقوف أمام يزيد بن الوليد (يزيد الثالث «الناقص») الذي استلم الخلافة بعد وفاة الوليد في جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ[٢] .

والمهم أن يزيد بن سليمان كسب ود الفلسطينيين وأطاعوه فيما دعا إليه من الخلافة والاطاحة بخلافة يزيد الثالث الناقص ، ومن حسن حظ يزيد بن سليمان أن أهل الاردن بدورهم قد ثاروا على الخلافة وانضموا إلى الفلسطينيين ويزيد بن سليمان بن عبدالملك ، وكانت قوات الفلسطينيين الثائرة بقيادة ابني روح بن زنباع والي فلسطين ، أيام عبدالملك بن مروان ، وهما سعيد

(١) حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام جـ/١ ط/٧ ص٣٣٤ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ٢/ ١٨٤ ـ ١٨٥ ، ابن طباطبا (ابن الطقطقي) : الفخري ص١٢٣ .

وضبعان[1] .

ولما عرف يزيد الثالث الخليفة بدمشق بما تمَّ في فلسطين والاردن انتدب سليمان بن هشام بن عبدالملك ليتولى أمر اخضاع الثائرين ويعيد الأمن إلى نصابه ، وتمكن هذا من اخضاع ثورة الاردن أولاً ثم استطاع بعد ذلك اخضاع ثورة فلسطين ودخل الرملة منتصراً .

وكـان سليمـان بن هشـام قد اتبع الدبلوماسية الهادئة في مهمته مع ابني روح بن زنباع قائدي قوات فلسطين في الثورة المشتركة مع الاردن ضد الخلافة الأموية ، فقد أرسل إليهما يمنيهما بالأموال والمناصب إن هما انحازا إلى جانبه وساعداه في القضاء على الثوار ، وبعد مراسلات عديدة استجاب هذان إلى مطالب سليمـان بن هشـام وانحـازا إلى جانبه وتركاه ينفرد بقوات الاردن بعد انسحابهما وعودتهما إلى فلسطين ، الأمر الذي ترتب عليه أن تمكن سليمان بن هشام من القضاء على الثوار الاردنيين واعادتهم إلى حظيرة الدولة بالقوة ، ونشر الأمن في ربـوع الاردن من جديد ، واستغل انتصاره هذا ، واخضع الثائرين الفلسطينيين وأعاد الأمور إلى نصابها ، وأثبت أنه رجل سياسة ، وحرب من طراز رفيع .

ولكن سليمان بن هشام لم يتنكر لابني روح بن زنباع ، سعيد وضبعان ، بل وفًى لهما بما وعدهما به ، وعيَّن ضبعان بن روح والياً على الرملة عاصمة فلسـطين جزاءً لمـا قدّمه من معونة مكنته من النصر المؤزر على ثوار الاردن وفلسطين معاً[2] .

ولكن يزيد الناقص الثالث لم تطل أيامه سوى خمسة شهور حيث توفي في

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٥/ ٢٩٤ .

(٢) ابن الأثير: الكامل ٥/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥ .
صالح احمد العلي : موظفو بلاد الشام في العهد الأموي ص٧٤ .

ذي الحجة من عام ١٢٦هـ وقام بالأمر بعده أخوه إبراهيم بن الوليد لمدة شهرين[1] ، وفي عهده ولي أمر فلسطين ثابت بن نعيم الجذامي[2] وواصل ولايته لفلسطين أيام مروان بن محمد الأولي .

وقد تمكن ثابت بن نعيم بعد ذلك من الثورة على مروان عام ١٢٧هـ ، ولكن مروان بن محمد سرعان ما تصدى لهذه الثورة بعنف واستطاع هزيمة ثابت والانتصار عليه بالقرب من طبرية ، وكان يقود جيوش مروان بن محمد واليه على طبريه ، الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم ، الأمر الذي ترتب عليه أن عاد ثابت مسرعاً مهزوماً إلى الرملة ، فعزله مروان بن محمد واستبدله بالرما حس بن عبدالعزيز الكناني ، الذي تصدى لثابت بعد ذلك وطارده حتى استطاع القاء القبض عليه مع أولاده الثلاثة ، وأرسلهم جميعاً إلى مروان بن محمد[3] ، وقد استعمل مروان بن محمد معهم منتهى القسوة والعنف ، فقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم على أبواب دمشق أياماً ، ليكونوا عبرة لكل من تسول له نفسه الخروج على سيادة الدولة[4] . وهذا يدلنا على الحزم والشدة من قبل مروان بن محمد ، آخر خلفاء بني أمية ، وكما يبدو ، فإن مروان أراد بسياسته الحازمة تجديد شباب الدولة والنهوض بها من جديد .

ولجأ مروان بعد ذلك إلى استبدال الرما حس بن عبدالعزيز الكناني بالحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع وأسند إليه أمر العناية بمالية فلسطين ، فأقام في الرملة وكان نفسه مشرفاً على مالية فلسطين قبل الولاية .

وقد شهد عام ١٣٢هـ انطواء صفحة الخلافة الأموية في بلاد الشام أيام مروان بن محمد ، آخر الخلفاء ، الذي جاهد لاحياء مجد الأمويين ولكنه لم

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ٢/ ١٩٣ .

(٢) صالح احمد العلي : موظفو الشام ص٧٥ .

(٣) ابن الأثير: الكامل ٥/ ٣٣٠ .

(٤) المصدر السابق نفسه .

يستطع لأن المصائب أكبر منه بل أكبر من طموحاته في تجديد دماء الدولة المنهارة ، فهرب إلى مصر أمام قوات العباسيين المظفرة ، وفي أثناء وجوده في فلسطين بالقرب من الرملة بجانب نهر أبي فطرس حصلت المذبحة المروعة ضد مروان وقواته راح ضحيتها أعداداً كبيرة من الأمويين ، ارتكبتها ضدهم القوات العباسية بقيادة عبدالله بن علي وصالح بن علي العباسيين .

وهنا لم يقدم والي فلسطين ، عبدالله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي الدعم المطلوب لمروان بن محمد وحتى لو قدم فإن عمله لن يقدم ، ولن يؤخر ، لأن الأمور كانت تسير في صالح العباسيين ، وجيوشهم تحقق النصر تلو النصر في كل الميادين ، والمهم هزم الأمويون بقرب الرملة وهرب مروان إلى مصر فتتبعه العباسيون واستطاعوا قتله بالقرب من أبي صير في مصر[1]، وأزالوا الدولة الأموية.

(١) الأزدي : تاريخ الموصل ٢/ ١٣٥ تحقيق علي حبيبة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة .

ابن الأثير: الكامل ٥/ ٤٢٥ وما بعدها حوادث سنة ١٣٢هـ .

الفصل الثالث

مدينة الرّملة في الفترة العبّاسيّة الأولى من السفّاح حتى قيام الدّولة الطّولونيّة



الرملة من قيام الدولة العباسية إلى المعتصم :

ونقصد بهذه الفترة ، تلك الفترة التي بدأت منذ أيام السفاح وحتى أصبحت فلسطين تابعة للدولة الطولونية في مصر ، ومن المعلوم أن العباسيين قد سيطروا على الأملاك الأموية ومنها فلسطين وغيرها ، وأصبحت الرملة عاصمة فلسطين في قبضتهم وضمن أملاكهم بعد مذبحة نهر أبي فطرس بالقرب من الرملة ، بل أصبحت جزءاً تابعاً للدولة العباسية ينسحب عليها ما يجري على الدولة من اجراءات وقوانين .

وإن أول دار بنيت في الرملة (دار الصباغين) قد آلت ملكيتها إلى صالح بن علي العباسي ولورثته من بعده جزاء ما قدم من خدمات للدولة حيث طارد مروان وفلوله المنهزمة بعد موقعة الزاب شمال العراق عام ١٣٢هـ وحتى مقتله في أبي صير في مصر[١] . وأصبح صالح بن علي العباسي والياً على فلسطين ومقيماً بالرملة في هذه الدار أيام السفاح وهذا يفسر أن هذه الدار قد أصبحت من أملاك ورثته فيما بعد[٢] .

والمهم أن صالح بن علي ظل يلي فلسطين وكان على رأس ولايته عام ١٣٤هـ[٣] ، وفي زمن المنصور الخليفة العباسي الثاني شهدت أرض فلسطين حركة تمرد عسكري على الوضع فكتب عامل المنصور على فلسطين يخبره بما حصل ، فكان رده قاسياً جداً إذ أجابه بأن «دمك بواءٌ بدمه إلى أن تُوجه به إليّ ،

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ١/ ١٧٠ ، الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ص١٠٢ .

(٢) المصدران السابقان .

(٣) ابن الأثير: الكامل ٥/ ٤٥٤ حوادث ١٣٤هـ .

ابن كثير: البداية والنهاية : ويقول إن السفاح قد استعمل عمه عبدالله بن علي وصالح بن علي ، وجاء في حوادث سنة ١٣٢هـ أن عامل الشام وأعمالها هو عبدالله بن علي عمه السفاح جـ/ ١٠/ ٥٥ وما بعدها ويقول في حوادث عام ١٣٣هـ إن السفاح جعل إمرة الشام لعميه عبدالله بن علي وصالح بن علي .

فأخذه ووجه به إليه» حفاظاً على نفسه ، وفي الواقع كان المنصور حريصاً على استتباب الأمن في سائر أنحاء الدولة لذا يعرف بأنه المؤسس الحقيقي للدولة العباسية .

والمهم لما وصل هذا الثائر الأسير إلى أبي جعفر المنصور سأله المنصور أأنت حقاً من ثرت على عاملي في فلسطين ؟ فأجابه ذلك الثائر الأسير بقصيدة من الشعر منها:

أتروض عرسك بعدما هرمت ومن العناء رياضة الهرم

فغضب المنصور وتدخل الوزير الربيع بن يونس في الأمر وفسّر للمنصور ما قَصَد إليه الشاعر ببيت آخر من الشعر:

العبد عبدكم والمال مالكم فهل عذابك عني اليوم مصروف[1]

وهنا لم يسع المنصور إلا أن عفا عن الثائر الأسير وأكرمه إكراماً زائداً ، والمعروف أن عامل المنصور على فلسطين هو ابن أخيه عبدالوهاب بن ابراهيم الإمام[2] .

ويورد الجهشياري[3] أن عبدالوهاب هذا قد ظلم الناس وسامهم الخسف وتعدّى على حقوقهم وصادر أموالهم الأمر الذي اضطر معه المنصور بعد أن أخمد الفوضى والاضطرابات إلى إقالته من منصبه كوال لفلسطين وذلك بعد أن ثبت له سوء ادارته بشهادة العدول أمثال ابراهيم بن أبي عبله أحد وجهاء فلسطين وكاتب هشام بن عبدالملك الأموي ، وابن مجير الفلسطيني الذي تكلم في حق

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥ .

(٢) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص١٣٧ .

حسن فاضل زعين العاني: سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية سنة ١٩٨١ ص٤٤١ .

(٣) الوزراء والكتاب: المصدر السابق نفسه .

عبدالوهاب وكان وراء اتخاذ المنصور قرار عزله .

ومن هنا نستدل على عدل المنصور وحنكته السياسية إذ أراد أن يخمد الفتنة بأية طريقة ولو باقالة ابن أخيه عبدالوهاب ثمناً لذلك .

وفي أيام المهدي ابن المنصور تولى أمر فلسطين ابراهيم بن صالح إلاّ أن المهدي غضب عليه وعزله ثم عاد فرده إلى ولايته ، وحرصاً من المهدي على أن يسير العدل في فلسطين وخوفاً من الثورة من جديد قام بزيارة للقدس عام ١٦٣هـ[١] ، ليقف على سير الأمور عن كثب ، ويعتقد أن عزل ابراهيم جاء بعد القيام بهذه الرحلة فلربما رأى المهدي ما أساءه من تصرفات ابراهيم فعزله ويبدو أنه أعاده بعدما تعهد له بالسير بما يرضيه .

وظلت الرملة عاصمة لفلسطين أيام العباسيين ، وتشرف بغداد على تعيين ولاتها وموظفيها ، وفي زمن الرشيد ولي أمر فلسطين روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفره وذلك عام ١٧١هـ[٢] ، ولكن الظروف اضطرت الرشيد إلى أن يرسل بروح بن حاتم إلى أفريقيا بعد مقتل واليها أخيه يزيد بن حاتم ، وظل روح بن حاتم يلي أفريقيا للرشيد حتى وفاته عام ١٧٤هـ ، وكان قد ولي السند وأفريقيا قبل ذلك وكان من الولاة المجربين الخبيرين بمتطلبات الأمن وطلبات الشعوب ومن المتمرسين بشؤون الحكم والادارة[٣] .

---

(١) الكندي : المختار من ولاة مصر وقضاتها ، اختيار ابراهيم العدوي ص٣٤-٣٥ ، ويقول الكندي : في عام ١٦٩هـ قدم إلى مصر والياً من قبل المهدي هو الفضل بن صالح بن علي العباسي وكانت مصر تضطرم بالفوضى وقدم الفضل بجيش من الشام وقنسرين وحمص ودمشق والاردن وفلسطين وكان الفلسطينيون بقيادة زياد بن قائد اللخمي وقد أبلوا بلاءً حسناً في اخماد تمرد المصريين بزعامة دحية بن مصعب ، ابن الأثير: الكامل ٦١/٦ .

(٢) ابن الأثير: الكامل ٦/ ١١٣ .

(٣) ابن الأثير: المصدر السابق نفسه .

ثم استخدم الرشيد هرثمة بن أعين أحد رجاله الأشداء والياً على فلسطين ، وعيَّنه الرشيد لمدة ثلاثة شهور على مصر بعد ذلك ، وعزله واستبدله بعبدالملك بن صالح[1] .

وبعد موت الرشيد تولى الأمين الخلافة فاستغل أهل الرملة هذا الحادث لما عرف عن الأمين من اهتمامه باللهو والعبث وأرادوا جس نبضه والوقوف على مقدار قوته فتصدوا للأموال القادمة من مصر إلى بغداد وصادروها واعتبروها غنيمة ساقها الله اليهم ، وهم أحق من ولاة الأمر في بغداد ، فأخذوا عطاءهم كاملاً وأطلقوا الفائض إلى بغداد ، وكانت هذه الأموال مرسلة من والي مصر آنذاك ، الحسن بن التختاخ وقد ولاه الرشيد قبل موته عام ١٩٣هـ[2] .

ويلاحظ أن أهل فلسطين كانت تسيرهم القوة آنذاك فلما أنسوا تراخياً من جانب السلطة إثر اعتلاء الأمين عرش الخلافة في بغداد قاموا بجس النبض وامكانية الثورة والخروج على سلطة الدولة في بغداد ، ومن الممكن أن أهل فلسطين قد تشجعوا إثر قيام دولة الأغالبة في افريقيا وحاولوا تقليدها وكذلك استغلوا تململ مصر فقاموا بما قاموا به كمقدمة للاستقلال والتمرد فيما بعد ، سيما وأن عهد الأمين عهد فتن وثورات هنا وهناك .

وظلت الأمور تسير بين مد وجزر بعد ذلك حتى أيام المعتصم الذي أبدى اهتماماً بفلسطين والرملة حيث فرض على الولاة أن يعملوا على دفع عجلة التقدم في المدينة وفرض لهذا مبلغاً من الأموال ينفقه الولاة في هذا الشأن[3] .

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٦/ ١٤١ .

(٢) الكندي (محمد بن يوسف): ولاة مصر . دار بيروت ، دار صادر ١٣٧٩/ ١٩٥٩م ص١٧٣ ، تحقيق حسين نصار .

(٣) لي سترنج : فلسطين في العهد الإسلامي ط/١ سنة ١٩٧٠ ، منشورات وزارة الثقافة عمان ص٢٥٣ .

المعتصم وثورة المبرقع اليماني:

شهد عهد المعتصم ثورة في فلسطين عام ٢٢٧هـ عرفت بثورة المبرقع ، وتروي المصادر أن سبب هذه الثورة يعود إلى أن أحد الجنود اعتدى على زوجة المبرقع أو أخته في حالة غيابه بالضرب في عقر دارها[١] ، فلما عاد المبرقع وعرف هذا أقدم على قتل ذلك الجندي وأظهر عصيانه على الخليفة المعتصم وتبعه الكثير من الفلاحين حتى يمكننا القول بأن هذه الثورة هي بحق ثورة الفلاحين .

وفي الواقع لم يكن اعتداء الجندي الا الشرارة التي اشعلت نار الثورة على المعتصم فقد كانت نفوس أهل الشام عموماً قد شالت من المعتصم ويودون الاطاحة بحكمه واعادة الحكم الأموي العربي لأن المعتصم قد مال إلى الأتراك وأطلق أيديهم في العمل كما يريدون خاصة في ميدان الجيش ، وما هذه الثورة الَّا صدى لما يعتمل في النفوس وانتقاماً من المعتصم والأتراك واحتجاجاً على اهمال شأن العرب ورداً لاعتبارهم باعتبارهم مادة الدولة الرئيسية ، وخير دليل على هذا أن الثورة قد اتخذت شعارها «اعادة الحكم الأموي» زد على ذلك أن الثورة تمتاز بأنها أصيلة وشعبية من كثرة عدد المنتمين إليها من الفلاحين عماد الاقتصاد الوطني .

لا شك في أن تقرب المعتصم من الأتراك على حساب العرب وغيرهم من

---

(١) الطبري : الأمم والملوك ٩/ ١١٦ طبعة بيروت ، دار سويدان للنشر ١٣٨٧ / ١٩٦٧ ، لبنان .

المقدسي : البدء والتاريخ جـ/٦ طبع ١٩١٦م ، نشر كلمان هوار باريس ٦/ ١١٩ باقتضاب شديد دون تفصيل ، وزاد عن غيره أن المبرقع كان يقول بتناسخ الأرواح .

ابن الأثير: الكامل ٦/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣ .

ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/ ٢٩٥ .

ابن خلدون: العبر ٣/ ٢٧٠ طبعة بيروت ١٣٩١ ، ١٩٧١م ـ لبنان .

العناصر الأخرى له فعل السحر في القلوب دفعها إلى مساندة الثورة وكثر اتباعها خاصة وأن المعتصم باعتماده على الترك قد جعل العرب يشعرون أن دورهم في الدولة العباسية قد اضمحل وتقدم الأتراك عليهم وجعلهم كذلك يعودون في الذاكرة إلى قيام الدولة العباسية التي بدأت تميل بل تحبذ أن يشغل الوظائف الادارية الفرس قبل الأتراك بمدة مئة عام تقريباً .

والمهم استطاع المبرقع أن يجمع حوله جموعاً كثيرة من الغاضبين على الترك وتصرفاتهم من العرب وغيرهم واتخذت ثورته بعداً جديداً بانضمام الفئات الزراعية إلى صفوفه كالفلاحين الذين كانوا يودون مجيء دولة تنصفهم وتعيد لهم حريتهم كما كانت قبلاً وقيل أنهم بلغوا مئة ألف أو خمسين[1] .

وأما المعتصم فإنه لم يقف موقف المتفرج أمام هذا الخطر المحدق بعرشه فانتدب رجاء بن أيوب الحضاري أحد رجاله الأشداء المخلصين وطلب إليه أن يقضي على ثورة الرملة بفلسطين ويعيد الأمر إلى نصابه ، وقد جمع رجاء جيشاً سار به إلى الرملة ولكنه لم ينازل المبرقع عندما رأى جموعه واتبع خطة محكمة بعد أن درس أوضاع الثوار وقرر الانتظار لأنه لن يستطيع التغلب على جموعهم فما عليه إذن إلا المطاولة حتى يمل الفلاحون الانتظار ويذهبون إلى ممارسة أعمالهم الزراعية وقت الزرع فتقل جموعهم ، مما يفسح المجال أمامه ويتيح له فرصة النصر ، وهذا التصرف كان من الحكمة على شيء كبير إذ سرعان ما تفرقت جموع المبرقع في موسم الزراعة وقل أتباعه فنازله رجاء واستطاع أن يقضي عليه بل وأسره مع عدد من أصحابه وأرسل بهم إلى سامراء . وهكذا فشلت ثورة الفلاحين وذهب احتجاجهم ضد التسلط التركي على شؤون الدولة أدراج الرياح[2] .

---

(١) الطبري : ١١٧/٩ ، ابن الأثير: الكامل ٦/ ٥٢٣ .

ابن كثير: البداية ١٠/ ٢٩٥ ، ابن خلدون: العبر: ٣/ ٢٧٠ وما بعدها .

(٢) الطبري : الأمم والملوك ٦/١١ طبعة دار القاموس - بيروت .

الطبري : ٩/ ١١٦/ ١١٧ طبعة دار سويدان - بيروت ، ابن كثير: البداية ٢٩٥/١٠ ، =

ويذكر الطبري[1] أن رجاء عاد بأسراه إلى المعتصم ، وأنَّ المعتصم لامه لأنّه تلكأ بمنازلة المبرقع ، وأنّه أسر رسوله الذي أرسله إليه إلى الرملة يستحثه على الاسراع وعزله ، في حين أن ابن الأثير[2] ذكر أن رجاء عاد إلى سامراء وقد مات المعتصم في ربيع أول ٢٢٧هـ ، وولي الواثق بمعنى أن القضاء على ثورة المبرقع تم أيام الواثق لا المعتصم ونحن نميل إلى رأي ابن الأثير من أن الثورة قُضيَ عليها أيام الواثق بعد ذلك .

إن الثورة حصلت أيام المعتصم الأخيرة بشهادة الطبري[3] نفسه عندما ذكر أن خبر الثورة اتصل بالمعتصم وهو في علته التي مات بها ، والمعروف أن المعتصم احتجم في المحرم عام ٢٢٧ وتوفي في ربيع أول من نفس العام ، وهذا لا يتفق مع ما أكده الطبري من أن المعتصم حضر القضاء على الثورة وعزل رجاء لأنه تلكأ في القضاء على المبرقع وكان رجاء قد انتظر مدة بينما كون جيشه والمدة التي انتظرها لينازل المبرقع تفوق مرض المعتصم الذي مات به (محرم ـ ربيع أول ٢٢٧هـ) مما يؤكد أن القضاء على الثورة تمَّ أيام الواثق وفق ما ذكره ابن الأثير وتناوله الطبري نفسه[4] .

وهناك رواية نقلها الطبري[5] تقول إن الثورة حصلت عام ٢٢٦هـ لا عام ٢٢٧هـ فان صحت هذه الرواية فتصح رواية أن المعتصم حضر انتهاء الثورة ، ويجب أن نُشير إلى أن ابن الأثير نقل هذه الرواية أيضا[6] وهناك من يقول : ان

= ابن الأثير: الكامل ٦/٥٢٣ ، حسن ابراهيم: تاريخ الإسلام السياسي ٢/٧٨ .

(١) الطبري : الأمم والملوك ٩/ ١١٧ .

(٢) ابن الأثير: الكامل ٦/ ٥٢٣ .

(٣) الطبري : الأمم والملوك ٩/ ١١٦ ـ ١١٧ ـ ١١٨ ، ١٢٣ طبع دار سويدان ، وطبعة أخرى ١١/ ٦ دار القاموس ـ بيروت .

(٤) الطبري : نفس المصدر السابق ، ابن الأثير: ٦/ ٥٢٢ ، ٥٢٣ .

(٥) الطبري : ٩/ ١١٨ .

(٦) ابن الأثير: ٦/ ٥٢٣ .

نهاية الثورة تمت أيام المعتصم دون أن يذكر تفاصيل واسعة عن الثورة وزاد كذلك أن المبرقع كان يقول بتناسخ الأرواح مخالفاً من سبقه ومن جاء بعده إذ أن المصادر المعاصرة كالطبري لا تشير إلى ذلك[1] .

ومهما قيل فإن ثورة المبرقع فشلت وكان لو نجحت من الممكن قيام كيان سياسي مستقل في فلسطين معاد للخلافة العباسية آنذاك ، ومعنى هذا اثارة المتاعب في وجه الخلافة وتشجيع للولاة في الأقاليم الأخرى على الثورة والتمرد ، ولو حصل هذا فلربما انفصلت اجزاء من الدولة العباسية عن الادارة المركزية في تاريخ مبكر لما تمَّ بعد ذلك .

ولما قسّم المتوكل العباسي مملكته بين أولاده قبل موته ، كانت فلسطين والاردن من نصيب ولده المؤيد[2] ، وظل المتوكل يعتبر فلسطين عدته وعماده فاستعان بقواتها لاخماد ثورة حمص عام ٢٤١هـ ، وكان أهل حمص قد ثاروا على واليهم محمد بن عبدربه ولعب النصارى في حمص دوراً في اذكاء هذا التمرد ضد الخليفة المتوكل وعامله نكاية بالخلافة العباسية الإسلامية فاضطر المتوكل أن يؤدبهم ويحفظ وحدة الدولة مستعيناً بالقوات الفلسطينية[3] .

وفي عام ٢٤٩هـ أصبح بغا الصغير والياً على فلسطين للمستعين العباسي[4] ، وظلت فلسطين وعاصمتها الرملة خاضعة للعباسيين وجزءاً من دار الخلافة طيلة أيام المستعين ، كما أصبح عيسى بن شيخ والياً على الرملة بعد موت المستعين واعتلاء المعتز عرش الخلافة عام ٢٥٢هـ[5] . ولكن هذا سلك سلوك المتمرد لما رأى تحكم الأتراك بالخليفة العباسي في العراق قتلاً وحبساً واذلالاً

(١) المقدسي : البدء والتاريخ ٦/ ١١٩ طبع ١٩١٦ باريس نشر كلمان هوار .

(٢) ابن الأثير: الكامل ٧/ ٥٠ .

(٣) ابن الأثير: ٧/ ٧٦ .

(٤) ابن الأثير: الكامل: ٧/ ١٢٣ .

(٥) المسعودي : مروج الذهب ٤/ ٩١ دار الأندلس - بيروت ١٣٨٥/ ١٩٦٦م .

الرملة وثورة عيسى بن شيخ :

وعيسى هذا هو ابن الشيخ بن السليل الشيباني من ولد جساس بن مرة بن ذهل ، وتروي[1] المصادر أنه ولي امارة الرملة بفلسطين في المحرم عام ٢٥٢هـ أيام المعتز بعد قتل المستعين العباسي من قبل الأتراك ، وأرسل نائبه أبا المغرا وظل هو في بغداد يرقب الأمور عن كثب ، وقد استطاع نائبه أن يكسب ود السكان وتعاونوا معه .

ونظراً لتأزم الموقف في دار الخلافة من جراء ما قام به الأتراك من التعدي على الخلفاء خلعاً وسجناً وإذلالاً ، استغل عيسى الموقف وسيطر على بلاد الشام الوسطى والجنوبية ، دمشق وطبرية والرملة ، وأخذ يستولي على الأموال التي ترسل منها إلى دار الخلافة ، ولم يكتف بذلك بل صادر الأموال المرسلة من قبل ابن المدبر والي خراج مصر إلى دار الخلافة وكانت تقدر بحوالي ٣/٤ مليون دينار ، وبذلك أصبح عيسى هو المسيطر الفعلي على جزء كبير من بلاد الشام[2] .

وظل هذا الوضع سائداً حتى أيام المهتدي الذي خلف المعتز ٢٧ رجب

---

(١) الطبري : الأمم والملوك جـ/ ٩ ، دار سويدان بيروت ـ لبنان ١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ ٩/ ٣٧٢ وذكر أن ابن شيخ دفع ٤٠ ألف دينار لبغا مقابل ذلك أو ضمنها له .
المسعودي : مروج الذهب: دار الأندلس ـ بيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م ٤/ ٩١ .
ابن خلدون: العبر ، طبع بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م جـ/٣ ، ص٣٠١ .
المقريزي : الخطط ، دار صادر بيروت طبعه بالأوفست ١/ ٣١٥ ويقول: اسمه احمد ابن عيسى بن شيخ والصحيح ما جاء في المصادر الأصلية المذكورة سابقاً أن اسمه: عيسى بن شيخ .

(٢) ابن الأثير: الكامل ٧/ ١٧٦ ، ابن خلدون: المصدر السابق ذكره ، المقريزي : المصدر السابق ذكره ، سيدة اسماعيل الكاشف: مصر في عهد الطولونيين والإخشيديين ١٣٧٦هـ/ ١٩٦٠م ، الأنجلو مصرية ص٢٦ ، والظاهر أنها أخذت عن المقريزي في خططه .

عام ٢٥٥ ، لدرجة أن عيسى بن شيخ لم يبايع للمهتدي ولم يبارك له بالخلافة ، وهـذا يدل على أن ابن شيخ كان يتصرف كالمستقل عن الخلافة ولم يسمح لأموال مصر من الوصول إلى دار الخلافة واشاع أنه في سبيل سلخ بلاد الشام ومصر عن الدولة واقامة كيان مستقل له ، نظراً لما يسود العراق ودار الخلافة من فوضى تسلط الأتراك على الحكم(١) . ولا نغالي كثيراً إذا قلنا إنه أراد أن يظهر نفسه كوالٍ مستقل قوي وسط فوضى الحكم الناتجة عن تجاوزات الأتراك في دار الخلافة وتعديهم على الخلفاء .

ولما قتل المهتدي في رجب عام ٢٥٦هـ لم يبايع ابن شيخ كذلك للمعتمد الخليفة الجديد ولم يدع له على منابر الرملة والشام وغيرها من المناطق التي يسيطر عليها ، فاضطر المعتمد حفاظاً على سمعة الخلافة وهيبتها ووحدة الدولة أن يرسل إليه بالولاية على أرمينيا اضافة إلى ما بيده من الولايات في بلاد الشام(٢) .

---

(١) المقريزي : الخطط ١/ ٣١٥ ، ولكن المقريزي يركز على أن ابن شيخ المقصود هنا والذي قام بهذه الأعمال هو أحمد بن عيسى ، وليس عيسى نفسه.
حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام ٣/ ١٠ ويذكر أن الثائر هو حمد بن عيسى وأظن أنه نقل عن المقريزي وإن لم يصرح .

(٢) الطبري : الأمم والملوك ٩/ ٤٧٥ وذكر أن ولاية أرمينيا اعطيت لابن شيخ ليترك الشام .
ابن الأثير: الكامل ٧/ ٢٣٨ وذكر أن ولاية أرمينيا أعطيت لابن شيخ مقابل اقامة الخطبة للمعتمد وليس عليه أن يترك الشام .
ابن خلدون: العبر ٣/ ٣٠١ ونقل رواية الطبري .
المقريزي: الخطط ١/ ٣١٥ وذكر أن ولاية أرمينيا زيادة على ولاية الشام .
وبعد فنحن هنا أمام روايتين إحداهما تقول: إن أرمينيا أعطيت لابن شيخ ليقيم الخطبة فيها وفي الشام للمعتمد العباسي وقال بها الطبري والمقريزي ، والرواية الأخرى تقول: إن أرمينيا أعـطيت لابن شيخ مقابل رحيله عن الشام ، وقال بها الطبري وابن خلدون وغيرهما ، وهنا سنأخذ برواية ابن الأثير والمقريزي لأنها تتفق مع الواقع ولأنه يشير إلى =

وهنا أصبح ابن شيخ على رأس الولاة الأقوياء في الدولة العباسية ، وله صلاحيات واسعة وكلمة مسموعة ، وفوَّض إليه أن يعين من يراه أهلاً لينوب عنه في ادارة ارمينيا وغيرها[1] ، أي أصبح مطلق اليدين فيما سيفعله وبتأييد الخلافة ، وهنا أثمرت جهود الخليفة وأعاد ابن شيخ الخطبة للمعتمد العباسي في كل أراضيه ، وبذا حفظ المعتمد وحدة الخلافة وتماسك الدولة إلى حد ما ، وكذلك تظهر لنا شخصية ابن شيخ من خلال هذه الأحداث حيث أجبر الخليفة على الخضوع له كما تتجلى لنا مرونة المعتمد ، ولكن هذه المرونة كما يبدو ناتجة عن حنكة سياسية ودبلوماسية ناجحة ، وإذا ما تمعنا في الأمور أكثر يصل بنا القول إلى أن نصرح بأن سبب هذه المرونة يعود إلى تدهور الأحوال في دار الخلافة ، وإلى ضعف شخصية المعتمد لا إلى مرونته .

والمهم أن المعتمد من خلال تعامله مع ابن شيخ وقف على طموحاته في الانسلاخ عن جسم الدولة ولكنه لم يعد رغم ضعفه وظروفه قادراً على السكوت فقرر أن يتدخل في الأمر ، وأوعز إلى أحمد بن طولون والي مصر آنذاك بالتأهب والاستعداد لمنازلة ابن شيخ في الرملة وذلك عام ٢٥٦هـ[2] .

= الحرب التي وقعت بعد ذلك بين ابن شيخ وجند الخلافة فلو أن ابن شيخ قبل بأرمينيا مقابل الشام لما حصلت الحرب وكان عليه أن يرحل لأرمينيا بموافقته نفسه .

(١) المقريزي : الخطط ١/ ٣١٥ ويفصل المقريزي هنا أكثر من غيره من المصادر الأخرى مما يدعونا إلى القول بأنه قد وقف على مصادر لم نتمكن من الاطلاع عليها .

(٢) الكندي : ولاة مصر ص٢٤١ ، الصفدي : أمراء دمشق ص٦١ .

ابن خلدون : العبر ٤/ ٢٩٨ ويذكر أن ذلك عام ٢٥٧هـ لا عام ٢٥٦هـ والصحيح ٢٥٦هـ .

المقريزي : الخطط ١/ ٣١٥ .

حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ٣/ ١٠ .

ويقول : أن الخليفة المهتدي وليس المعتمد هو الذي أرسل إلى ابن طولون يأمره بالمسير إلى اخضاع ابن شيخ في الرملة والصحيح المعتمد الذي أرسل ابن طولون كما ذكر المقريزي سابقاً .

ومن هنا يظهر لنا دور مصر وكثرة امكاناتها المادية وأثرها في إحداث التغييرات في مسار الحكم العباسي ، والمهم أصدر المعتمد أمره إلى والي خراجه على مصر بتوفير الأموال اللازمة لدعم أحمد بن طولون في مهمته في الرملة واخضاع عيسى بن شيخ ذا الميول الانفصالية ، وتشجع ابن طولون بعد ذلك وأرسل إلى ابن شيخ يدعوه إلى العودة لحظيرة الدولة والتخلي عن ميوله الانفصالية ولكن ابن شيخ رد عليه رداً جافاً واغلظ له في القول ورفض دعوته بالخضوع وبخاصة عندما طلب ابن طولون من ابن شيخ رد الأموال التي صادرها هو ووالده من قبل من أموال مصر لأن مصر أحق بأموالها[1] ، ولعل ابن شيخ تأكد أن ابن طولون يريد اخضاعه لنفوذه ولعله لمس هو الآخر بدوره الميول الانفصالية لأحمد بن طولون عن الخلافة العباسية ولم يشأ أن يخضع لابن طولون في مصر فإن كان لا بد من انفصاله عن الخلافة فالأفضل الانفصال لحسابه الخاص لا لحساب احمد بن طولون .

وفي الواقع كان احمد بن طولون يعتبر أن فرصته قد سنحت ليظهر قوته في المنطقة أمام ابن شيخ وليقنع الخلافة بقوته وليرضي نفسه التواقة إلى الاستقلال في مصر ومقدراتها المادية والبشرية العظيمة ، فكان لزاماً عليه أن ينازل ابن شيخ ويفرض سيطرته على المنطقة في الشام ومصر والعراق فيما بعد ، وهذا ما يفسر لنا عنف رد ابن شيخ على طلبات احمد بن طولون .

وانسجاماً مع هذه الطموحات واستجابة لدعوة الخليفة العباسي سار ابن طولون على رأس قواته لمقاتلة ابن شيخ في الرملة ، وذلك لست خلون من جمادى الآخرة عام ٢٥٦هـ ، وولى أخاه موسى بن طولون أمر مصر أثناء غيابه ، ولكن ابن طولون عاد من الطريق قبل أن يشتبك مع ابن شيخ بناء على كتاب وصله من الخليفة المعتمد يخبره بموجبه بضرورة العودة إلى مصر وان أماجور

---

(١) الكندي : ولاة مصر ص٢٤١ مصدر سابق ذكره .
المقريزي : الخطط ١/ ٣١٥ مصدر سابق ذكره .

قائده في الطريق إلى القيام بمهمة الاشتباك مع ابن شيخ ، ويمكننا القول إن الخليفة قد شعر أو أُخبر من قبل رجاله والمتسلطين عليه أن ابن طولون قد قصد من وراء امتثاله لأمر الخليفة بالتوجه إلى عيسى بن شيخ ابراز عضلاته واختبار قواته وأنه في سبيل الاستقلال بمصر والشام مما جعله يرسل أماجور لاخماد حركة ابن شيخ وبذلك يفوت على ابن طولون فرصة التقوي باتحاد مصر والشام[1] .

والمهم أن أماجور قد وصل الشام واشتبك بقوات ابن شيخ البالغة عشرين ألفاً بقيادة ابنه منصور وقائده أبي الصهباء واستطاع أن يتغلب عليهما ويقتل عدداً لا بأس به منهم أبو الصهباء ومنصور فاضطر ابن شيخ أن يهجر الشام ويذهب إلى اقطاعه في أرمينيا[2] ، وذلك في رمضان **٢٥٦**هـ[3] .

وهكذا زال خطر ابن شيخ من اقليم يعتبر قلب الدولة الفاصل بين مصر والشام العليا والعراق[4] ، واستراح أحمد بن طولون من منافس له في المنطقة على الأقل مما أعانه على الظهور والسير في طريق الاستقلال في مصر والشام .

وقد أصبح أماجور بعد ذلك من الشخصيات البارزة في الشام بل وفي الدولة العباسية قاطبة وأصبح يحسب له ألف حساب وقد اخذت نفسه تنزع إلى الاستقلال مستغلاً ظروف الفوضى متخفياً تحت ستار أنَّ الخلافة تؤيده وأنه يعمل باسمها .

ثم سار أماجور خطوة أخرى في سبيل الاستقلال فأخذ يدبر المؤامرات ضد

---

(١) ابن خلدون: العبر ٤/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ، المقريزي: الخطط: ٣١٥/١ .

(٢) الطبري: الأمم والملوك ٩/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥ ، ابن الأثير: ٧/ ٢٣٨ ، الصفدي: أمراء دمشق ص٦١ ، ابن كثير: البداية ٢٤/١١ ، ابن خلدون: العبر ٣٠١/٣ ، ٤/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ، المقريزي: المصدر السابق نفسه ، الصفدي: أمراء دمشق ص٦١ .

(٣) ابن الأثير: كامل ٧/ ٢٣٨ ، ابن كثير: البداية والنهاية ٢٤/١١ ، المقريزي: المصدر السابق ذكره .

ابن طولون في مصر مستعينا بأحمد بن المدبر والي خراج مصر وشقير الخادم بهـدف الاطـاحـة به تمهيداً لضم مصر إلى الشام تحت سلطة أماجور ، وقد اقترحوا على الخليفة عزل احمد بن طولون عن الولاية[1] ، ولكن ابن طولون انتبه إلى هذه المؤامرة وعمل على أفسادها ، ثم جرت أمور عدة بينه وبين ابن المدبر قطب المؤامرة القوي والحاقد على ابن طولون كانت محصلتها ابعاد ابن المدبر عن خراج مصر إلى خراج الشام ، وبهذا انفرد ابن طولون بمصر وحكمها حكماً مطلقاً .

ولم يكتف ابن طولون بهذا بل أخذ يسعى بكل جد لدى الخلافة العباسية حتى استطاع أخيراً أن يفوز بالولاية على بلاد الشام بطريقة رسمية وبتفويض من الخلافة وبذا آلت الرملة وجنوب الشام ووسطه إلى أحمد بن طولون وبدأ عصر جديد في تاريخ الرملة لأن ابن طولون بعد ذلك أصبح يتمتع بشكل متميز من أشكال الاستقلال وكون دولة في نسله استمرت حتى حوالي ٢٩٢هـ .

---

(١) المقريزي : الخطط ١/ ٣١٥ .

ابن خلدون : العبر ٤/ ٢٩٩ ، ويقول ابن خلدون : إن أماجور (أناجور) خاف من ابن طولون فكتب إلى الموفق شقيق المعتمد يحذره من نزعة ابن طولون الاستقلالية في مصر والشام فكتب الموفق إلى ابن طولون بالحضور إلى دار الخلافة ولكن ابن طولون استعمل ذكاءه وأرسل الهدايا إلى الخليفة مع الأموال مما جلب له رضى الخليفة وأخيه الموفق ، ويشير ابن خلدون إلى وساطة يارجوخ الشخصية القوية في دار الخلافة وصهر ابن طولون الأمر الذي جعل الخليفة يرضى عنه ولا يتشدد في حضوره ، ثم ورد كتاب الخلافة على مصر بتقليد خراج الاردن وفلسطين ودمشق إلى ابن المدبر وعليه مغادرة مصر ليبعده عن ابن طولون فسار هذا إلى الشام عام ٢٥٨هـ فخلا الجو لابن طولون .

الفصل الرابع

مدينة الرملة في الفترة الطولونية

بعد خروج ابن المدبر من مصر إلى فلسطين والشام خلا الجو لابن طولون وأصبح أقوى مما كان عليه من أي وقت، مضى بل أصبح مطلق اليدين في العمل وقد ساعدته الظروف إذ استطاع بمساعدة صهره يارجوخ أن يكرس وجوده الفعلي في مصر ويأخذ في الاستعداد لتصفية الحساب مع عدوه أماجور في بلاد الشام بعد أن انضم إليه شريكه في الحقد على ابن طولون وأقصد به أحمد بن المدبر ، وأنه إذا أراد إقامة دولة قوية له ولنسله من بعده فما عليه إلا أن يقضي على عدويه أماجور وابن المدبر قطبي الرحى في مؤامرة كادت أن تعصف بابن طولون وبأحلامه إلى الأبد وتفشل مخططه في اقامة دولة تتمتع وبقدز كبير من الاستقلال في مصر والشام ، ومما قوّى عزيمته أن الخلافة فوّضت إليه خراج مصر والثغور الشامية وقلدته أمور الشام جميعها .

أحمد بن طولون والرملة :

خدمت الظروف أحمد بن طولون في مصر عندما أصبح يلي أمور الشام اضافة إلى ما بيده ثم حانت لَهُ فرصة ذهبية ليحقق ما تصبو إليه نفسه من ضم الشام إلى مصر تحت سيادته عندما توفي أماجور عام ٢٦٤هـ ، وهنا اضطر أحمد بن طولون إلى أن يخرج ليؤكد سيادته على بلاد الشام ويفرض وجوده في وجه الخلافة العباسية فخرج في شوال من عام ٢٦٤هـ بعد أن أناب ولده العباس في حكم مصر[1] .

خدمت الظروف أحمد بن طولون في مصر عندما أصبح يلي أمور الشام اضافة إلى ما بيده ثم حانت فرصة ذهبية ليحقق ما تصبو إليه نفسه من ضم الشام

---

(١) البلوي (أبو محمد عبدالله بن محمد المديني) : سيرة احمد بن طولون تحقيق محمد كرد علي ١٣٥٨هـ ، ص٩١-٩٣ .
الكندي : كتاب القضاة وكتاب الولاة ص٢١٩ .
الكندي : ولاة مصر ، تحقيق حسين نصار ، ص ٢٤٦ .

إلى مصر تحت سيادته عندما توفي أماجور عام ٢٦٤هـ ، وهنا اضطر أحمد بن طولـون إلى أن يخـرج ليؤكـد سيادته على بلاد الشام ويفرض وجوده في وجه الخلافة العباسية فخرج في شوال من عام ٢٦٤هـ بعد أن أناب ولده العباس في حكم مصر(١) .

ولما وصل أحمد بن طولون إلى الرملة عاصمة فلسطين لقيه واليها من قبل أمـاجـور ، محمد بن رافع بالترحاب وقدَّم له كل عون ومساعدة ممكنة فقدَّمَ الأموال والسلاح والغذاء والرجال الأمر الذي جعل ابن طولون يرضى عن مسلكه الودي ويقره على ولاية الرملة تحت السيادة الطولونية في مصر والشام ، وهكذا ظل محمد بن رافع يلي أمر فلسطين لابن طولون زمناً(١) .

وبعـد ذلـك واصـل ابن طولون مسيرته من الرملة إلى دمشق فتمكن من دخولها وتأكيد سلطته عليها وسوّى أمورها وسار إلى فرض سيادته على شمال الشام وتمكن من اخضاع حمص وانطاكية وطرسوس وغيرها من المواقع هناك ، ثم عاد بعد ذلك إلى مصر إثر تمرد ولده العباس ونائبه في حكم مصر واستطاع اخضاعه وطرده خارج مصر وذلك عام ٢٦٥هـ بعد أن اعلن تمرده على سلطة والده(٢)

---

(١) البلوي : سيرة ابن طولـون ص٩١-٩٣ ، والكنـدي : ولاة مصر ص٢٤٦ ، ابن كثير: البداية ١١/ ٣٧ يقول لقي في الرملة ابن أماجور وأقره عليها .

(٢) المصدران السابقان .

ابن الأثير: الكامل ٧/ ٣١٦ - ٣١٧ .

ويقول ابن الأثير: سار احمد بن طولون من مصر إلى الشام فلقيه ابن أماجور في الرملة فأقره عليها وسار إلى دمشق فملكها وأقر قواد أماجور على إقطاعاتهم ، وسار إلى حمص وحماة وحلب وأنطاكية وحاصر طرسوس ولكنه لم يقدر على فتحها فتركها وسار إلى جهات الرقة وحران ورتب أمورهماوعاد إلى مصر ليواجه ثورة ابنه العباس . ويبدو أن ابن كثير نقل هذا عن ابن الأثير ، البداية والنهاية ١١/ ٣٧ .

سيدة اسماعيل الكاشف: مصر في عهد الطولونيين والإخشيديين ص ٤٧ . =

وفي عام ٢٦٦هـ (٨٧٩ ـ ٨٨٠م) أقام ابن طولون نفسه حاكماً على مصر والشام واعتبر أن الأمور قد انقادت إليه وأن الحكم قد أصبح بيديه دون منازع ولا رقيب ، وكان عام ٨٧٥م قد شهد امتحاناً لقيمة الاستقلال العملية في مصر وذلك أن ابن طولون قد رفض ارسال الأموال للمعتمد العباسي وهذا أمر له دلالته ، وكان نقطة تحول في تاريخ مصر إذ أصبحت بعده مستقلة إلا بعض فترات بسيطة ، ومما تجدر الإشارة إليه أن جميع بلاد الشام كانت تدور في فلك السيطرة المصرية آنذاك بل كانت إقليماً تابعاً لها(١) .

وفي عام ٢٦٨هـ خرج ابن طولون من مصر إلى بلاد الشام واستخلف ابنه أبا الجيش وحمل معه ولده العباس خوفاً من عصيانه مرة أخرى وكان يظهر للناس أنه يريد الخروج لينصر الخليفة المعتمد ويقدم له العون ضد أعدائه ويخفي في نفسه سبب الخروج الرئيسي وهو تأديب خادمه لؤلؤ الذي دخل العراق وانحاز إلى الجبهة المناوئة لأحمد بن طولون هناك(٢) .

ولما وصل ابن طولون الرملة عاصمة فلسطين تأكد لديه أن أبا الفضل لؤلؤ قد دخل العراق أواخر عام ٢٦٨هـ فاستمر في سيره حتى دخل دمشق ، وفي دمشق أعلن أن الخليفة المعتمد خرج من العراق يريد مصر ويود الالتحاق بابن

= المقريزي: الخطط ١/ ٣٢٠ .

ويقول: دخل ابن طولون طرسوس وتمكن منها بخلاف ابن الأثير الذي يقول حاصرها ولم يقدر على احتلالها ، وعاد ابن طولون في رمضان عام ٢٦٥هـ إلى مصر ليواجه ثورة ولده العباس الذي هرب إلى أفريقيا واستلم بدلاً منه أخاه ربيعة بن احمد بن طولون .

الكندي: ولاة مصر ص ٢٤٦ .

بدران: تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢/ ترجمة احمد بن طولون .

(١) حتى (فيليب): تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، دار الثقافة بيروت ـ لبنان ، ترجمة كمال اليازجي سنة ١٩٥٩م ، ٢/ ١٨٦ .

(٢) البلوي: سيرة ابن طولون ص ٢٨٧ .

طولون نظراً لما يتعرض له من مضايقات وضغوط على يد أخيه الموفق وقادته من العناصر التركية المتسلطة الحاقدة[1] ، وظل ابن طولون مدة في دمشق ثم خرج إلى مقابلة المعتمد إثر وصول رسوله إلى دمشق والذي كان قد بعث به بالأموال إلى المعتمد .

ولكن المعتمد لم يكن حسن الحظ فإن خروجه أثار أخاه عليه ، ولما بلغ الموفق خروج المعتمد طلب من اسحق بن كنداج الخزري العمل على اعادته والحيلولة دون وصوله إلى ابن طولون وأنه إن فعل فسيلقى الجزاء الحسن من المال والاقطاعات الكثيرة ودلالة على صدق وعده أرسل إليه مبلغاً من المال ، وذلك في جمادى الأولى عام **٢٦٩هـ**[2] .

وإزاء هذا الاغراء عمل اسحق بن كنداج ما وسعه العمل واسعفه الجهد على إعادة الخليفة المعتمد والحيلولة دون وصوله إلى مصر وتمكن من إلقاء القبض عليه وإعادته إلى سامراء بعد أن بلغ جهات الموصل في طريقه لابن طولون[3] .

والظاهر أن المعتمد عندما قرر الخروج استغل وجود الموفق في حربه مع الزنج في جهات البصرة ولكن الموفق لما عرف بالأمر عمل على استعادته[4] لأنه

---

(١) ابن خلدون: العبر ٤/ ٣٠٣ ، وورد فيه: لما عصى لؤلؤ الخادم علي بن طولون وهرب إلى العراق استغل ابن طولون الحادثة واستدعى إليه الخليفة المعتمد نكاية بأخيه الموفق وبعث له العساكر لتكون في استقباله في الرقة .

(٢) البلوي: المصدر السابق ٢٨٩ ـ ٢٩١ .

(٣) البلوي: المصدر السابق ص ٢٩٣ ، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٤٣ .
ابن خلدون: العبر ٤/ ٣٠٣ .

(٤) الطبري: الرسل والملوك ١١/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠ .
ابن خلدون: العبر ٤/ ٣٠٣ .
سيدة الكاشف: مصر في عصر الطولونيين ص ٤١ ، ٤٧ .

إن وصل إلى ابن طولون فسوف يستغل هذا وجوده لديه ويتقوّى به ضد الموفق وغيره والذي لم يكن على وفاق تام مع ابن طولون .

إن هذا العمل أثار غضب ابن طولون ودفعه إلى أن يقطع خطبه الموفق من على منابر الشام ومصر وخلعه ومحا اسمه عن الطراز فأمر الموفق عند ذلك أخاه الخليفة المعتمد أن يعزل ابن طولون عن مصر ويلعنه من على منابر أملاك الخلافة حتى أن لعنه قُرِيءَ بمكة(١) .

وهكذا فإن الرملة قد خضعت لابن طولون خضوعاً تاماً وأصبحت في عداد أملاكه التي شملت الشام ومصر ، وظلت الرملة طولونية في توجهاتها حتى عادت إلى حظيرة الدولة العباسية لمدة قصيرة تبعت بعدها لسلطة الإخشيديين الذين سيطروا على مصر والشام ثم للفاطميين بعدهم .

إن تقلب الحكومات التي سيطرت على الرملة جعلها بل جعل الإقليم الفلسطيني برمته يشعر بوجوده كمنطقة حدودية بين مصر ووسط الشام وشماله لا بل إن إقليم الشام كله أصبح يشعر بأنه منطقة عازلة بين مصر والعراق ، وبدأ سكان الشام وخاصة جنوبه يتطلعون إلى شيء من الاستقلال عن دار الخلافة ومصر معاً .

---

(١) المصادر والمراجع السابقة نفسها .
المقريزي : الخطط ١/ ٣٢٠ ـ ٣٢١ .

الرملة وخمارويةّ بن أحمد بن طولون :

توفي أحمد بن طولون يوم الأحد لعشر خلون من ذي القعدة عام ٢٧٠هـ ، فبايع الجند ابنه أبا الجيش خمارويه ، فقام هذا وقتل أخاه العباس وتخلص منه لكونه أساس الفتنة زمن والده حيث كان مصدر إزعاج في الدولة وبؤرة فساد وهذا من شأنه أن يؤخر مسيرة الدولة إلى الأمام بل ويمنعها من تحقيق طموحاتها .

وقد اقتضت الظروف خمارويه أن يبعث بالجيوش إلى بلاد الشام إثر تأزم الموقف مع رجال الخلافة العباسية بزعامة الموفق شقيق المعتمد العباسي ، وعقد لأبي عبدالله أحمد الواسطي على جيش الشام وذلك لست خلون من ذي الحجة عام ٢٧٠هـ[1] ، وعقد في نفس الوقت لسعد الأعسر على جيش آخر وبعث بمراكب له في البحر تواكب الجيوش البرية .

خرج الواسطي على رأس قواته متجهاً إلى الشام وظل يواصل السير حتى بلغ أرض فلسطين ، وكان الواسطي في نفس الوقت متردداً بل خائفاً من خمارويه وبطشه لأنه هو الذي أشار عليه بالخلاص من أخيه العباس ، إن هذا الخوف دفع بالواسطي إلى مراسلة أبي العباس أحمد بن الموفق الذي يقود جيوش الخلافة ضد الطولونيين ويهون عليه أمر خمارويه ويقلل من شأنه وشأن جيشه ويعلمه أنه معه ضد القوات الطولونية[2] فاستغل أحمد بن الموفق هذه الفرصة الثمينة السانحة للخلاص من آل طولون وشكّل جيشاً عظيماً ضم إليه اسحق بن كنداج ومحمد بن أبي الساج ونزل الرقة وسيطر من هناك على المنطقة حيث اخضع قنسرين والعواصم وشيزر ، وباختصار سيطر على شمال الشام حتى دمشق والتي دحر قواتها الطولونية .

---

(١) المقريزي : الخطط ١/ ٣٢١ .
ابن تغري : النجوم الزاهرة ٣/ ٤٩ .

(٢) المقريزي : المصدر السابق ، ابن تغري : النجوم ٣/ ٥٠ .
أمينة بيطار: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في بلاد الشام ص١٢٦/ ١٢٧ .

واضطر خمارويه ازاء هذا الموقف المتجدد على أرض الشام إلى الخروج لمجابهة الموقف وما نتج عن الأوضاع الجديدة ومقابلة أبي العباس أحمد بن الموفق فغادر مصر لعشر خلون من صفر عام ٢٧١هـ[١] يريد مقابلة ابن الموفق الذي كان بدوره قد غادر دمشق جنوباً إلى مصر ليواجه خمارويه .

ومن هنا نرى اصراراً من الطرفين فكلاهما يريد مقابلة الآخر وتصفية الحساب معه ، وفي الحقيقة انها حرب مصالح متعارضة في هذه المرحلة من تاريخ العلاقات العباسية الطولونية ، فخمارويه يريد أن يثبت حكمه في مصر ويدعمه بالسيطرة الكاملة على بلاد الشام وأبو العباس أحمد بن الموفق يريد أن يهيء الظروف ليصبح والده خليفة بعد أخيه المعتمد ويريد الشام ليثبت ملكه في العراق بلا منازع .

والمهم التقى الجيشان العباسي والطولوني بالقرب من نهر أبي فطرس على بعد ١٢ ميلاً من الرملة بفلسطين في مكان يعرف بالطواحين ، ودارت رحى معركة شرسة استطاع ابن الموفق أن يحرز النصر المؤزر ويهزم خمارويه ويضطره إلى الهرب من أرض المعركة والعودة إلى مصر[٢] ، ومما يتفق وما جرى أن دور الرملة كان في هذه الفترة إلى جانب الطولونيين بدليل كثرة جموع خمارويه بما انضم إليها من مقاتلين من فلسطين وقراها ومدنها حتى قيل إن جيش خمارويه بلغ ٩٠ ألفاً من المقاتلين[٣] ، في حين أن جيش ابن الموفق لم يتعد ٤ آلاف مقاتل .

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٣/٤٩-٥٠ .
المقريزي : الخطط ١/٣٢١ .

(٢) الطبري : الرسل والملوك ١١/ ٣٣٠ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ٢/٤٧ .
المقريزي : المصدر السابق ، ابن تغري : المصدر السابق نفسه .
ابن خلدون : العبر ٤/ ٣٠٦ .

(٣) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٣٤ - ٢٣٥ يقول عدد الجيش ٧٠ ألفاً لا ٩٠ ألفاً .
المقريزي : المصدر السابق نفسه .

ولعل أهم أسباب النصر في أول الأمر تعود إلى موقف الواسطي التآمري مع ابن الموفق ضد خمارويه والتي لم تكن علاقته معه حسنة إذ حرض الواسطي خمارويه على قتل أخيه وظل خائفاً منه مما دفعه للتآمر ، هذا بالإضافة إلى أن خمارويه لم تكن لديه الخبرة العسكرية الكافية لمباشرة المعارك الحربية بل هو غر في هذا المجال .

إن ما أحرزه أبو العباس أحمد بن الموفق أول الأمر من نصر لم يكن حاسماً أو مؤزراً بدليل أنه لم يستغله للخلاص نهائياً من خمارويه ولعلّ السبب الذي جعل ابن الموفق يحجم عن استغلال الموقف هو عداء السكان له في حربه مع خمارويه والسكان ما هم إلا سكان الرملة وتوابعها بل سكان جنوب بلاد الشام والذين كانت قلوبهم مع الطولونيين .

ولعل أهم سبب جعل ابن الموفق يحجم عن مطاردة فلول خمارويه هو الكمين الذي كان قد أعده جيش خمارويه بقيادة سعد الأعسر دون علم خمارويه نفسه ، ومن هنا تظهر لنا حنكة سعد الأعسر وجهل خمارويه بادارة المعارك .

استطاع سعد الأعسر بكمينه أن يهزم أبا العباس أحمد بن الموفق ويبعده مدحوراً عن أرض الرملة ويؤكد سيادة الطولونيين عليها ، وسار أبو العباس أحمد بن الموفق إلى دمشق ولكنها لم تستقبله كما يريد فاضطر إلى مواصلة سيره إلى طرسوس على الساحل الشامي ومن هناك إلى بغداد[1] .

وهنا يظهر لنا أن مدن الشام لم تكن معَ أبي العباس أحمد بن الموفق بل كانت مع الطولونيين في هذا النزاع ومنها مدينة الرملة كما ذكرنا سابقاً .

---

(١) ابن بطريق: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ص٧١ .
الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١١/ ٣٣٠ ، ابن خلدون: العبر ٤/ ٣٠٦ .
المقريزي: الخطط ١/ ٣٢١ .

وقام الأعسر بعملية تنصيب أخ خمارويه أبو العشائر قائداً عاماً للجيوش الطولونية بدلاً من أخيه خمارويه الذي هرب من المعركة تاركاً جنوده بمفردهم بلا قائد عام ، ولما وصل خبر الانتصار إلى مصر سُرَّ به خمارويه كثيراً[1].

وكانت هذه المعركة (الطواحين) في ١٦ شوال عام ٢٧١هـ[2] ، ثم استغل سعد الأعسر ما حققه من نصر وطارد فلول جيش أحمد بن الموفق المنهزم ، وهنا انضم إليه الواسطي والذي لم يكشف أمره واتفاقه مع ابن الموفق حتى الآن وسارا إلى دمشق واعاداها إلى حظيرة الدولة الطولونية من جديد ، وأخذا يظهران الاستخفاف بخمارويه مما اضطره إلى الخروج اليهما ولكنه عاد واكتفى بما هو حاصل ، فما داما يحكمان باسمه فلا داعي لحربهما وبخاصة وأنهما قادران على كسب ود الخلافة العباسية فإن فعلا فمعناه زيادة متاعب خمارويه ، وكان الواسطي قادراً على هذا ، ثم إنهما من ناحية أخرى قادران على تأليب الشام جميعها من أقصاها إلى أدناها ضد خمارويه ، الأمر الذي يفسر لنا رجوعه بعد خروجه من مصر ، ومع كل هذا فإن خمارويه ظل يعامل سعد الأعسر والواسطي بحذر في بلاد الشام ولم يسلّم لهما إلى النهاية بل عمل على الخلاص منهما حتى قتل الأعسر عام ٢٧٣هـ[3] .

(١) ابن الأثير: الكامل ٧/ ٤١٤ .
الذهبي: دول الإسلام ١/ ١٦٥ وورد فيه أن قائد الجيش العباسي هو المعتضد بن الموفق وهو (أبو العباس احمد بن الموفق) .
ابن خلدون: العبر ٤/ ٣٠٦ .
وورد فيه أن قائد الجيوش المعتضد على اعتبار ما سيكون ، ولكن في تلك الأثناء فإن أبي العباس لم يكن قد أصبح خليفة بعد .
(٢) الطبري: الرسل والملوك ١١/ ٣٣٠ ، طبعة دار القاموس .
(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣/٧٢ ، وورد فيه: أن سعد الأعسر قتل على يد خمارويه عام ٢٧٥هـ ، لأن خمارويه بلغه أشياء في حقه قالها سعد الأعسر مثل: «هذا الصبي مشغول باللهو وأنا أكابد الشدائد» فخرج خمارويه إلى الرملة واستدعى سعدا وقتله =

وينقل لنا ابن خلدون[1] رواية تقول: إن أسباب هزيمة أبي العباس ابن الموفق تعود في المقام الأول إلى ما شجر من خلاف بينه وبين قادته أمثال اسحق بن كنداج ومحمد بن أبي الساج مما جعل هذين يتراخيان في وقعة الطواحين مما أسفر عنه الهزيمة التي أحاقت بابن الموفق واضطرته إلى العودة منهزماً إلى بغداد[2].

وفي ذي القعدة من عام ٢٧٢هـ ، خرج خمارويه من مصر إلى بلاد الشام ليقابل الخارجين عليه أمثال ابن كنداج وسعد الأعسر ، فلما وصل الرملة استراح واستمدها فتلقى الدعم المادي والعسكري وواصل سيره صوب دمشق ودخلها في السابع من محرم عام ٢٧٣هـ وقتل الأعسر ، ومن هنا سار إلى قتال ابن كنداج ، ولما التقى به واقعه ولكنه لم يستطع الانتصار عليه ، لعجزه عن مقابلته وانهزام اتباعه إلا أنه ثبت شخصياً في أرض المعركة مما كان له أثر حسن في كسبه النصر بعد ذلك واستغل انتصاره وطارد فلول ابن كنداج حتى دخلت هذه الفلول المنهزمة سامراء[3].

إن مجمل هذه الحوادث والحروب وما نتج عنها فرض على خمارويه وابن كنداج أن يصطلحا وخطب ابن كنداج في أملاكه جميعها لخمارويه من جديد ، وسار خمارويه خطوة أخرى فطلب من المعتضد (أبا العباس أحمد بن الموفق) الصلح فوافقه على هذا وأصدر كتاباً بهذا المعنى وكتبه هو وأخيه المعتمد تعظيماً

= انتقاما منه ، ولم يشفع له انتصاره في الطواحين عام ٢٧١هـ ، إن هذا الأمر جعل أهل الشام عامة يغضبون على خمارويه لحبهم لسعد الأعسر ، وهنا تخلص خمارويه من سعد خوفاً من أن يبقى شوكة في حلقه وخطراً على حكمه لما يتمتع به من مكانة في بلاد الشام ، والعجيب أن ابن تغري ذكر قتل خمارويه لسعد عام ٢٧٣هـ ، انظر: النجوم الزاهرة ٣/ ٥١ .

(١) ابن خلدون: العبر ٤/ ٣٠٦ .

(٢) ابن بطريق: التاريخ المجموع ص٧١ .

(٣) المقريزي: الخطط ١/ ٣٢١ .

لخمارويه وتقلد بموجبه آل أحمد بن طولون وأولاده حكم مصر ثلاثين عاماً ، وهكـذا عادت الأمـور إلى طبيعتها بين الخلافة العباسية والطولونيين وأعيدت الخطبة للمعتمد والموفق في جميع أنحاء مصر وذلك ٢٧٣هـ[1] .

ولكن الأمور تطورت فيما بعد فمات الموفق عام ٢٧٨هـ ثم المعتمد عام ٢٧٩هـ وبـويع أبو العباس أحمد بن الموفق خليفة باسم المعتضد وتحسنت العلاقات بينه وبين خمارويه بن أحمد بن طولون وتبادلا الهدايا .

وفي عام ٢٨٠هـ ورد كتاب المعتضد لخمارويه بولايته وأولاده على مصر طيلة ثلاثين عاماً وله الأراضي من الفرات إلى برقه وله الصلات والخراج والقضاء وجميع الأعمال على أن يحمل إلى دار الخلافة ٣٠٠,٠٠٠ دينار كل عام ثم أرسلت الخلع إلى خماروية .

وهكـذا انتهت صفحـة من صفحـات العـداء العباسي الطولوني وبدأت صفحة الود والصفاء وتبعت الرملة وبلاد الشام بشكل رسمي للطولونيين وبتسليم واعتراف من الخلافة وقد توجت هذه العلاقات بزواج المعتضد من أسماء (قطر الندى) بنت أحمد بن طولون عام (٢٨١ ـ ٢٨٢هـ)[2] .

ثم توفي خماروية مقتولاً عام ٢٨٢هـ في دمشق على أيدي خدمه وتولى بعده ولده أبو العساكر الذي لم يكن على مستوى المسؤولية فقتل بينما كان غارقاً في لهوه[3] وملذاته واستلم الحكم عام ٢٨٣هـ هارون بن خمارويه الابن الثاني ، وفي أيام هارون هذا شهدت الرملة والشام ظهور القرامطة وعجز هارون عن الـوقـوف أمـامهم ممـا اضـطـر سكان بلاد الشام إلى الاستنجاد بالخليفة

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٣/٥١ .

(٢) اليافعي : مرآة الجنان ٢/ ١٨٦ .

المقريزي : الخطط ١/ ٣٢١ .

ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٣/٥١ .

(٣) ابن خلدون : العبر ٤/ ٣٠٩ ـ ٣١٠ .

المكتفي الذي خلف المعتضد في الحكم عام ٢٨٩هـ[1] ، وهنا شهدت الرملة نوعاً من الانطلاق فهي ليست طولونية لعجز هارون وليست عباسية لأن الخلافة اعترفت بتبعيتها للطولونيين وفي نفس الوقت ينسحب عليها ما يجري على اقليم بلاد الشام الذي كان يتعرض لهجوم القرامطة ، فما كان من الرملة وبلاد الشام كلها إلا أن تستنجد بالمكتفي العباسي ليقف ضد العدوان القرمطي فأرسل قائده محمد بن سليمان الكاتب ليقابل الوضع الجديد في بلاد الشام ومصر ، فنزل هذا حمص براً وبعث بالمراكب من الثغر إلى مصر فهزمت مراكب هارون ، ثم إن محمد بن سليمان قدم إلى الرملة في طريقه إلى مصر عام ٢٩١هـ ، ومعنى هذا خروج الرملة من يد الطولونيين وتبعت العباسيين فكان نتيجة هذا الأمر أن قتل هارون وتولى أمر الطولونيين عمه شيبان[2]، ولكن محمد بن سليمان استطاع أن يقضي على الطولونيين عام ٢٩٢ هـ ودخل القطائع بعد حكم دام ٣٨ سنة (٢٥٤ ـ ٢٩٢ هـ)٠ وأقيمت الخطبة العباسية في الرملة وغيرها من مدن الشام ومصر وبدأت فترة عباسية لمدة حوالي[3] ثلاثين عاماً.

ولكن هل ضمنت سيطرة محمد بن سليمان على أمور مصر والشام ولاء الرملة للعباسيين ؟ وبمعنى آخر كيف قابلت الرملة ما قام به محمد بن سليمان

---

(١) المقريزي: الخطط ١/ ٣٢٢ .

وفي الواقع كان لسكان الشام وخاصة جنوبه الحق في طلب نجدة الخلافة العباسية للوقوف في وجه الفوضى في فترة ضعف الطولونيين منذ أيام خمارويه فقد قام الأعراب من طي وغيرها مستغلة حربه مع أبي العباس احمد بن الموفق وهاجموا قوافل الحجاج ولكن سعد الأيسر أخمدهم وحمى الحجاج من شرهم ثم عاد هؤلاء للثورة عامي ٢٨٥ ، ٢٨٧هـ بزعامة صالح بن مدرك وصادر من الحجاج ما قيمته المليون دينار .

انظر: ابن تغري بردي: النجوم ٣/ ١١٥ ـ ١١٦ ، ١٢١ ـ ١٢٢ ، أمينة بيطار: الحياة السياسيه ومظاهر الحضارة في بلاد الشام ص١١٠/ ١١١ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) المصدر السابق نفسه .

من أعمال حيث قضى على الدولة الطولونية ؟

إن مجمل الحوادث التي شهدتها الرملة آنذاك تشير إلى أن سكان المدينة بل الإقليم برمته لم يكونوا راضين عن عودة الحكم العباسي خاصة بعد أن رأى سكان الرملة تهاوي الطولونيين أمام ضربات محمد بن سليمان ، وقد شهدت المدينة بل وشاركت في ثورة ابن الخليج ضد السيادة العباسية .

الرملة وثورة محمد بن الخليج عام ٢٩٢هـ[١]

قام أحد الضباط الذين تخلفوا عن محمد بن سليمان العباسي في الرملة ويدعى محمد بن الخليج بثورة ضد السيادة العباسية الجديدة ، وعز عليه أن يرى دولة الطولونيين تتهاوى أمام ضربات محمد بن سليمان فأراد أن ينتقم لهذه الدولة ويتحدى السلطة العباسية الجديدة[٢] .

أخذ محمد بن الخليج يدعو إلى ابراهيم بن خمارويه ثم لنفسه من بعده ، وقد استطاع أن يكسب ود أهالي الرملة بل واستمالهم إلى جانب ثورته بعد أن دخل مدينتهم وطرد قوات وصيف بن سوارتكين والي هارون بن خمارويه والذي كانت همته خائرة وتمكن من السيطرة على زمام الأمور .

وفي الواقع لم يكن أهل الرملة بحاجة إلى من يشجعهم على الثورة فسرعان ما تجمعوا حول محمد بن الخليج عندما عرفوا بدعوته فقوي جمعه وازداد عدد جيشه وذلك عام ٢٩٢هـ ، وأصبح جيش محمد يضم أهالي الرملة وأعمالها وبقايا الطولونيين الحاقدين على السيادة العباسية وباختصار أصبح لديه قوة لا بأس بها الأمر الذي دفعه إلى مهاجمة مصر للخلاص من واليها العباسي الجديد عيسى النوشري[٣] إلى مصر لاعادة الحكم الطولوني والقضاء على الحكم

(١) عرف ابن الخليج بعدة أسماء منها : «ابن الخليج» انظر الكندي : الولاة والقضاة ص٢٥٩ أو ابراهيم الخليجي ، انظر الطبري ١١/ ٣٩٢ ، ابن خلدون : العبر ٤/ ٣١١ ، ٤/٣٥٥ أو: «محمد بن علي الخليج» ، انظر: المقريزي : الخطط ١/ ٣٢٧ ، أو: «محمد بن علي الخليجي» انظر: أبو المحاسن : النجوم ٣/ ١٤٧ سهيل زكار: تاريخ أخبار القرامطة ، نصوص متفرقة ص٢٦ «عن ثابت بن سنان» .

(٢) ابن بطريق : التاريخ المجموع ص ٧٧ .

(٣) الكندي : ولاة مصر ص ٢٦٨ .

المقريزي : الخطط ص ٣٢٢ .

ابن تغري بردي (أبو المحاسن) : النجوم الزاهرة ٣/ ١٤٧ ـ ١٤٨ .

العباسي الجديد المتمثل بالوالي عيسى النوشري ، ولما وصل محمد بن الخليج إلى مصر تمكن من هزيمة عيسى النوشري من مصر إلى الاسكندرية وأصبح هو والياً على مصر بدلاً منه وازداد جمعه وانضم إليه عناصر جديدة من الحاقدين على الحكم العباسي حتى أصبح جيشه حوالي ١٥٠ ألف مقاتل .

وظل ابن الخليج يسيطر على أوضاع مصر ومعه عدد كبير من أهل الرملة وغيرها من قرى ومدن فلسطين الجنوبية حوالي سبعة شهور ، وذلك من ٢٦ ذي القعدة عام ٢٩٢هـ ـ جمادى الآخرة من عام ٢٩٣هـ ، حتى طرد من مصر وأعيد عيسى النوشري[1] .

وهكذا عادت الرملة ثانية إلى العباسيين وذهبت طموحات ابن الخليج في اعادة الحكم الطولوني المنهار وأصبحت الرملة مجرد تابع للدولة العباسية تشرف على تعيين ولاتها وعمالها ، وأثبتت ثورة ابن الخليج تذمر الناس في جنوب الشام ومصر من الدولة العباسية وولاتها ، ولولا ذلك لما تمكن ابن الخليج من السيطرة على جنوب الشام ومصر بيسر وسهولة[2] .

ويهمنا في هذه الفترة التي شهدت زوال حكم الطولونيين وقيام حكم الإخشيديين فيما يختص بالرملة وجنوب الشام أن محمد بن طغج الإخشيد مؤسس الدولة الإخشيدية قد قُلِّد في جمادى الآخرة عام ٣١٩هـ ولاية دمشق وأعمالها فقام وصرف الراشدي عنها ورد إليه ولاية الرملة وفلسطين ، ولما وصل كتاب الخليفة العباسي إلى محمد بن طغج سار إلى دمشق وخرج منها الراشدي

---

(١) الكندي : ولاة مصر ص ٦٥-٦٧ ، ابن بطريق : التاريخ المجموع ص٧٧ يقول دخل ابن الخليج مصر ١٦ ذو القعدة سنة ٢٩٢هـ .
المقريزي : الخطط ١/ ٣٢٧ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٣/ ١٤٨ .

(٢) سيدة اسماعيل الكاشف : مصر في عهد الإخشيديين ط/٢ ، دار النهضة العربية مصر ١٩٧٠م ، ص٢٠-٢٤ .

إلى الرملة فسُــرَّ أهل دمشق بقدوم الإخشيد واستقبلوه بالحفاوة والتكريم لسوء سيرة الراشدي فيهم وظلمه لجماهيرهم بدون وجه حق[1] .

وكان محمد بن طغج الإخشيد قد نال ثقة الخليفة الراضي العباسي وشغل ولاية الرملة عام ٣١٦هـ حتى عام ٣١٨هـ [2]، قبل أن ينال ثقة المقتدر العباسي ويكـرمـه بولاية دمشق[3] عام ٣١٩ ـ ٣٢١هـ ، ولعـل هذه الولاية قد اطلعت الإخشيد على أمور الشام وفلسطين خاصة بشكل واسع وجعلته يدرس الأوضاع عن كثب مما سهل عليه السيطرة على الإقليم فيما بعد عندما اسندت إليه ولاية مصر وأقام دولته .

وفي الفصل القادم سندرس الرملة وفلسطين في ظل السيادة الإخشيدية ثم نعرج على انعكاسات الأوضاع الإخشيدية على الإقليم الفلسطيني وعاصمته الرملة .

---

(١) ابن سعد (عريب): صلة تاريخ الطبري طبع ليدن مطبعة بريل ١٨٩٧م ص١٥٩ .
(٢) سيدة اسماعيل الكاشف: مصر في عهد الطولونيين والإخشيديين ص٤٨ .
(٣) الطبري: الأمم والملوك ١٢/ ٢٨٢ ، عريب بن سعد: صلة تاريخ الطبري ص١٢٩ ، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥/٥٦ ويقول بولاية الإخشيد على دمشق سنة ٣١٨هـ .
وتقول الكاشف: إن محمد بن طغج خرج من مصر هارباً لخوفه من واليها لأمور بينهما ووصـل إلى الرملة فهرب واليها الراشدي فاستولى ابن طغج على أمتعته وأمواله ، وإن الخليفة المقتدر أقر محمد بن طغج وأرسل الراشدي لولاية دمشق ص٦٨/٦٩ ، ويبدو أن الأمور في دار الخلافة كانت تسير في طريق إعلاء شأن محمد بن طغج ، ففي عام ٣١٩ جاءت ولاية محمد بن طغج على دمشق وعودة الراشدي إلى الرملة ص٦٩ .

الفصل الخامس

مدينة الرّملة في الفترة الأخشيديّة



مدينة الرملة في الفترة ما بين نهاية الطولونيين وقيام الإخشيديين (الفترة العباسية الثانية):

عادت الرملة وبلاد الشام إلى حظيرة الدولة العباسية بعد زوال فترة الاستقلال الطولونية ما بين ٢٥٤ ـ ٢٩٢هـ ، ولكن أوضاع المنطقة وانعكاس الأحداث في دار الخلافة العباسية جعل أمور المنطقة تصبح في قبضة والٍ جديد هو محمد بن طغج الإخشيد والذي قدر له أن يلي أمر بلاد الشام في الفترة ما بين عامي ٣١٦ ـ ٣٢١هـ وضم مصر إلى ما بيده من أملاك عام ٣٢١هـ[١] .

وفي عام ٣٢٣هـ تأكدت ولاية محمد بن طغج على بلاد الشام ومصر من قبل الخليفة الراضي[٢] ، بل قيل إن الذي ولاه الشام إضافة إلى مصر هو المقتفي لأمر الله العباسي عام ٣٢٩هـ[٣] .

وظلت علاقات الإخشيد علاقات ود وصفاء مع الخلافة العباسية حتى عام ٣٢٨هـ ، حيث اعتراها شيء من سوء التفاهم وذلك لأن الخليفة العباسي أرسل محمد بن رائق إلى الشام وكان هذا طامعاً في الاستقلال والسيطرة في مصر والشام[٤]، فاعتبر محمد الإخشيد أن هذا عمل عدائي موجه ضده مما أثار غضبه اتجاه الخلافة واعتبر نفسه قد طعن خاصة وأنه قد حمى الخلافة من الأطماع الفاطمية القادمة من المغرب وقدم خدمات جلى لها ، فالأجدر به أن يكرم لا أن يطعن من الخلف[٥] ، ولكن من هو محمد بن رائق هذا الذي تحدى الإخشيد ونال ثقة الخلافة العباسية وأصبح منافساً خطيراً للإخشيد ؟ .

---

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص٢٨٢ ، المقريزي : الخطط ١/ ٣٢٨ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥/ ٥٦ .

(٣) الكندي : المختار من ولاة مصر وقضاتها ، ويؤكد أن الراضي هو الذي ولّى محمد بن طغج ولاية مصر عام ٣٢٣هـ لا المقتفي عام ٣٢٩هـ .

(٤) ابن خلدون : العبر ٤/ ٣١٣ .

(٥) حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام الديني والسياسي ٣/ ١٣٨ ط/٧ .

الرملة بين الإخشيد وابن رائق :

تذكر المصادر المتوفرة أن محمداً بن رائق هو أمير واسط والذي توصل إلى شغل منصب أمير الأمراء عام ٣٢٤هـ زمن الراضي العباسي ثم علا مركزه بعد ذلك حتى أصبح أميراً للجيش العباسي بالاضافة إلى ولاية الخراج في جميع البلاد الإسلامية التابعة للخلافة ، ولكن ما وصل إليه من مركز مرموق في الدولة أثار ضده حسد الحاسدين واستطاع الأمير بجكم التركي أن يستولي على منصب ابن رائق عام ٣٢٦هـ ، وخرج بجكم مع الخليفة لقتال الحمدانيين في إقليم الجزيرة وشمال العراق ، فاستغل ابن رائق هذا الوضع واستولى على أزمة الأمور في بغداد من جديد ، ومعنى هذا أنه تحدى سلطة الخلافة واعتبر متمردٌ عليها ، ثم أخذ يهدد الخليفة بأنه لن يعيد الأمور إلى مجراها في بغداد إلا إذا أُقطع حران وقنسرين والرها وما إليها والمناطق العليا من الفرات والحصون الحدودية مع الـدولـة البيزنطية ، وأمام هذا التهديد اضطر الخليفة إلى موافقته على ما طلب ، وخرج من بغداد ليباشر مهام منصبه الجديد .

إن هذا التهاون من جانب الخلافة قد أطمع ابن رائق في امكانية حكم بلاد الشام جميعها من الرملة إلى حلب ، الأمر الذي أطمعه في مطالبة الخليفة ببلاد الشام ، فوافق الخليفة مضطراً ، وذلك ليبعد خطره عن عاصمة الخلافة مركز الإدارة العباسية ، وقد ولَّدت هذه الموافقة في نفس ابن رائق امكانية الاستقلال في الشام ومصر أيضاً ولو تحت راية الخلافة ، ولو أن الإخشيد كان قوياً لدرجة كافية آنذاك لما أقدم على ارسال الأموال للخلافة عندما طلبتها[1] ، لأنه يرى أن ما أقدمت عليه الخلافة من استجابة طلبات ابن رائق موجه ضده بالدرجة الأولى .

والمهم أن تصرف الإخشيد بارسال الأموال إلى دار الخلافة كان مردوده طيباً

---

(١) سيدة اسماعيل الكاشف: مصر في عهد الطولونيين والإخشيديين ص١٤٧ .

على علاقاته معها ، حيث أرسل إليه الخليفة بأن محمداً بن رائق شخص متمرد على السلطة وعليه أن يتصدى له ، وسواء كان هذا الأمر من جانب الخليفة لأنه يشعر بخطر ابن رائق أو لتصرف الإخشيد الطيب معه أو لأي شيء آخر فإن الإخشيد اعتبره نقطة في صالحه واعتبر أن طموحاته في تكوين دولة في مصر والشام قد بات تحقيقها سهلاً وميسوراً .

والمهم أن الإخشيد جهز قواته البرية والبحرية أواخر عام **٣٢٧هـ** وأرسلها إلى بلاد الشام لتقف أمام طموحات ابن رائق ، ولكن ابن رائق من جانبه قد أعد العدة وجهز قواته واتباعه لأنه كان في الحقيقة واعٍ لما يريده من مشاريع استقلالية في الشام ومصر ، وقد سيطر بالقوة على شمال الشام ووسطه وأجبر والي الإخشيد على الشام (دمشق) أن يتراجع إلى الجنوب ويتمركز في الرملة مدينة فلسطين الأولى .

وازاء هذا الوضع المتجدد على الساحة الشامية والفلسطينية رأى محمد بن طغج الخروج بنفسه لمقابلة الموقف وترك أخاه الحسن نائباً عنه في مصر[١] ، ولما وصل هذا إلى الفرما أتاه الحسن بن طاهر بن يحيى العلوي يلتمس منه الموافقة على الصلح مع ابن رائق فوافقه محمد بن طغج وأرسل رسوله علي بن محمد بن كلا بالموافقة الرسمية وكلفه بالتوقيع واستكمال مراسيم الصلح مع ابن رائق[٢] ، واستطاع هذا الرسول أن يتوصل إلى اقامة صلح مع ابن رائق تمَّ بموجبه الاتفاق على أن يسلم ابن رائق الرملة ويعود إلى دمشق ، وعاد الإخشيد إلى الفرما ثم إلى الفسطاط بعد ذلك .

ويبدو وكأن الأمور قد سُويت عند هذا الحد بين الطرفين وأن ابن رائق قد قنع في هذه المرحلة بالسيطرة على وسط بلاد الشام وشمالها تاركاً الجنوب تحت

(١) الكندي : ولاة مصر ص٣٠٧ ، المختار من ولاة مصر ص٧٠ .
(٢) الكندي : المصدران السابقان .

السيطرة الإخشيدية وكان ذلك يوم الخميس مستهل جمادى الأولى عام **٣٢٨هـ**[١] .

ولكن الأحداث المتتالية التي فرضت نفسها بعد شهرين قد أثبتت أن ابن رائق لم يكن يقصد من وراء صلحه إلا كسب الوقت لصالحه وأنه كان مصمماً على الاطاحة بالإخشيد في الشام ومصر ففي شعبان من نفس العام تقدم ابن رائق بجنوده مخترقاً وسط بلاد الشام وجنوبها في طريقه إلى مصر ، ولما فوجىء به الإخشيد أرسل له جيشاً على عجل وتبعه بجيش كثيف وكان لقاء الطرفين يوم الاربعاء منتصف رمضان بالعريش[٢] .

وفي العريش كانت وقعة عظيمة استطاع فيها الإخشيد أن يلقن ابن رائق درساً في ضروب القتال وكبح جماحه واعاده من العريش إلى الرملة خائباً مهزوماً بالإضافة إلى أسر عدد كبير من الأسرى والقتلى ، حتى أن الإخشيد حمل معه **٥٠٠** أسير إلى مصر ووصلها لليلتين خلتا من شوال في نفس العام **٣٢٨هـ**[٣] .

وأراد الإخشيد أن يستغل نصره ويحرز مكاسب جديدة على حساب ابن رائق فأرسل أخاه أبا نصر الحسين بن طغج من الرملة لمطاردة فلول ابن رائق المنهزمة وكانت جماهير الرملة تقدم الدعم لهذه القوات بكل قدرتها ولكن ابن رائق المصمم على تحدي الإخشيد مهما كانت الظروف فاجأ القوات الإخشيدية عند اللجون شمال فلسطين وتمكن من النصر وقتل الحسين بن طغج لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة عام **٣٢٨هـ**[٤] .

---

(١) الكندي : ولاة مصر ص٣٠٧ ، المختار من ولاة مصر ص٧٠ .

(٢) المصدران السابقان ص٣٠٧ ، ص٧١ .

(٣) المصدران السابقان نفسهما .

(٤) الكندي : ولاة مصر ص٣٠٨ ، مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٤١٤ .
الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ١/ ١١٦ ـ ١١٧ .
ابن خلدون : العبر ٣/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩ ، ٣١٣ .

إن مجمل الحوادث التي شهدتها بلاد الشام في هذه الفترة أقنعت كلاً من ابن رائق والإخشيد بضرورة الصلح ، فذهب الإخشيد إلى دمشق واستطاع أن يتوصل إلى صلح مع ابن رائق أرسى قواعد السلام بين الطرفين وأتاح لهما مراقبة الحدود الشمالية مع البيزنطيين وأهم ما جاء به هذا الصلح عام ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م :

أولاً : تكون الشام لابن رائق حتى شمال الرملة .
ثانياً: مصر للإخشيديين مع جنوب الشام حتى الرملة .
ثالثاً: يدفع الإخشيد ١٤٠ ألف دينار سنوياً لابن رائق[١] .
رابعاً: يفرج كل من الطرفين عما لديه من الأسرى[٢] .

ولعل هذا الصلح قد أقنع كلاً من ابن رائق والإخشيد بتسوية النزاع لصالح الطرفين وأتاح لهما الفرصة المناسبة لكي يتفرغا لمقارعة العدو الحقيقي المتمثل بالبيزنطيين والعباسيين والفاطميين ، ثم إن الإخشيد وافق على أن يدفع الأموال لابن رائق لأنه أقتنع أن وجود ابن رائق في شمال الشام سيحميه من القوات البيزنطية والعباسية أي أنه سيصبح دولة عازلة تصد هجماتهم عنه في مصر وجنوب الشام وبالتالي تتاح له فرصة التصدي للفاطميين الطامعين في مصر وغيرها مما تكون محصلته الحفاظ على الكيان الذي أقامه في مصر وجنوب الشام[٣] .

ومن هنا تتضح لنا أهمية هذا الصلح الاستراتيجية كما تتضح الأهمية التكتيكية له ، إذ هو على المدى البعيد في صالح المنطقة بكاملها لأن تضافر قوى مصر والشام سيحميها من العدوان البيزنطي وفي هذا المعنى فهو تفضيل

(١) الكندي : ولاة مصر ص٣٠٨ ، مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٤١٤ ، الهمذاني : تكملة الطبري ١/ ١١٧ .
(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٣/ ٢٥٢ Cambridge his of Islam: Vol. I. P 143
(٣) حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام ٣/ ١٣٨ .

للمصلحة العامة على الخاصة .

ثم تطورت الحوادث في الدولة العباسية فمات الخليفة الراضي وبويع للمتقي بالخلافة ، ثم كان مقتل ابن رائق في الموصل عام ٣٣٠هـ في صراعه مع بني حمدان(١) ، وهكذا زالت الترتيبات التي عقدها الإخشيد مع ابن رائق وظهرت على المسرح قوة الحمدانيين كقوة مؤثرة في الصراع في منطقة الجزيرة والشام .

وازاء هذه المتجددات على الساحة الشامية اضطر الإخشيد إلى أن يقذف بقواته مرة أخرى إليها ليؤكد سيطرته من جديد ، ومعنى هذا أن الإخشيديين قد أعادوا سيطرتهم على الرملة وفلسطين مرة أخرى ، وهنا أقر الخليفة المتقي الإخشيد على ما بيده من مصر والشام ، وهذا اعتراف رسمي من الخلافة العباسية بسيطرة الإخشيد على الرملة وفلسطين .

---

(١) الكندي : ولاة مصر ص ٣٠٨ .
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٣/ ٢٥٢ .

الرملة الإخشيدية والحمدانيون :

ظلت الرملة وبلاد الشام في يد الإخشيديين وباعتراف من الخلافة العباسية أيام المتقي والمستكفي والمطيع دون منازع الاّ من القوة الجديدة في بلاد الشام واقصد بها القوة الحمدانية(١) ، وقد جرت عدة معارك بين الإخشيديين والحمدانيين أسفرت في النهاية عن الاعتراف باستمرار السيطرة الإخشيدية على جنوب الشام بل ووسطه .

وقد نظر الإخشيديون إلى الحمدانيين كما نظروا إلى وجود ابن رائق في الشام من قبل ، من أنهم قوة حاجزة للعدوان البيزنطي أو حتى العباسيين فيما إذا فكر الخليفة بخلع الإخشيد والقضاء على نفوذه ، ثم إن الإخشيد كما يبدو قد سلّم بأن شمال الشام له وضع متميز وأنه هو أو غيره من الإخشيديين سوف لن يستطيعوا توفير الحماية اللازمة للمنطقة ، لأن الخطر الفاطمي يتهدد كيانهم من الغرب ، مما جعل الإخشيد يرضى بالصلح مع الحمدانيين ودفع الأموال لهم(٢) .

إن مثل هذه الحوادث لا شك سينعكس أثرها على الإقليم الفلسطيني وعاصمته الرملة ويجعل المنطقة غير ثابتة الولاء لجهة من الجهات ، ثم إن حالة الحروب المتكررة ستؤدي إلى إهمال شؤون الزراعة والصناعة والتجارة مما يؤثر في مستوى الاقتصاد الفلسطيني بشكل عام .

ولكن هل سكن الحمدانيون إلى الدعة والهدوء بعد صلحهم مع الإخشيد وموته عام **٣٣٤هـ** ؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول : إن مؤشرات الأحداث في المنطقة تشير إلى أن الحمدانيين لم يكن هدفهم من الصلح مع الإخشيد إلاَّ كسب الوقت

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٨/ ٤١٨ ـ ٤١٩ حوادث عام ٣٣٢هـ وانظر حوادث ٣٣٤هـ .
(٢) سيدة اسماعيل الكاشف : مصر في عهد الطولونيين والإخشيديين ص٢٦٩/ ٢٧٠ .

والاستعداد لجولة قادمة والدليل أنهم ما كادوا يعرفون بموت الإخشيد واعتلاء ولده اونوجور سدة الحكم في الدولة الإخشيدية حتى أسرعوا إلى نقض صلحهم المبرم مع الإخشيد والإستيلاء على دمشق من جديد ، وهذا الأمر اضطر معه اونوجور إلى الخروج لملاقاتهم ، وهنا اعتقد الحمدانيون أن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم الخاطف ، فخرج سيف الدولة من دمشق متوجهاً إلى الجنوب في طريقه إلى مصر وظل سائراً حتى وصل الرملة ، وبالقرب منها التقى بالجيش المصري الإخشيدي ودارت رحى معركة انهزم فيها سيف الدولة وأثبت أونوجور أنه سيد الموقف ورجل الساعة ، وطارد فلول سيف الدولة حتى حلب والرقة ، ولكن سياسة الإخشيد السابقة تأكدت هنا عندما دخل ابنه في صلح جديد مع الحمدانيين[1] .

ولأهمية موقع الرملة بالنسبة لمصر أو للحمدانيين كقاعدة لجنوب الشام اهتم بها الإخشيديون وأصبح أحد أمرائهم والياً على الرملة وهو الحسن بن طغج الإخشيد عم أونوجور ، وظل هذا يشرف على الرملة ويعلي من شأنها حتى توفي عام ٣٤٢هـ[2] ، ومما لا يخفى أن الرملة قدمت العون دائماً للإخشيديين كما قدمته بالنسبة للطولونيين من قبل .

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٨/ ٤٥٨ .
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٣/ ٢٩١ ـ ٢٩٢ .

(٢) سيدة الكاشف: مصر في عهد الطولونيين والإخشيديين ص ١٧٠ .

الرملة ونهاية الدولة الإخشيدية :

وفي عام ٣٤٧هـ ولسبع خلون من ذي القعدة توفي أونوجور فخلا عرش الإخشيديين ، الأمر الذي قوّى من مركز كافور الذي كان يشرف على شؤون الحكم بل ويعمل مربياً وخادماً للأمراء الإخشيديين منذ زمن الإخشيد ، ولكن كافـور في هذا الـوقت لم يكن قادراً على اعـلان نفسـه حاكمـاً على الدولة الإخشيدية بل فضّل أن يستمر في تسيير شؤون الحكم من وراء ستار كما كان شأنه من قبل فانتخب علي بن الإخشيد خليفة لأخيه أونوجور ، وكان هذا لا يتمتع بشخصية الحاكم القادر على تسيير الحكم فترك أمور الدولة لكافور يحكم باسمه(١) .

وقد أيد الخليفة العباسي ما قام به كافور من ترتيبات في مصر والشام فأصدر منشورة بالموافقة بل أقر كل خطوات كافور مما جعله مطلق اليد في تسيير أمور الدولة وأصبح معه علي اسماً بلا مسمى وزاد في التضييق عليه أن كافور اعتبره غير كفـء للتصرف التام بشؤون الدولة وفرض له راتباً شهرياً فقط(٢) .

وشهدت الفترة من (٣٥١ ـ ٣٥٥هـ) عدة احداث بالنسبة لمصر والشام من هذه الأحداث أن تعرضت أملاك الإخشيديين للقحط والمحل وهجمات الأعداء من كل جانب كما شهدت موت علي بن الإخشيد في نهايتها(٣) ، فأصبح الجو مهيئاً لكافور ، ثم إن الظروف خدمته إذ أن الخليفة المطيع العباسي وافق على امارته على مصر والشام حرباً وخراجاً بالاضافة إلى الحرمين وأشهر ذلك للناس في المحرم ٣٥٥هـ(٤) ، وظل يقود مسيرة الدولة الإخشيدية حتى وفاته في عام

---

(١) المقريزي : الخطط ١/ ٣٢٩ .
(٢) المقريزي : الخطط ١/ ٣٣٠ .
(٣) المقريزي : الخطط ١/ ٣٣٠ .
(٤) المصدر السابق .

٣٥٧هـ[١] .

ويهمنا أن نشير إلى أهم ما طرأ على أسلوب الحكم في الرملة منذ أواخر ولاية الحسن بن طغج الإخشيد المتوفى عام ٣٤٢هـ إلى عام ٣٥٧هـ ، أي الفترة التي شهدت الهدوء على الساحة الجنوبية للشام ما بين الحمدانيين والإخشيديين فتقول : ان الرملة كجزء من الممتلكات الإخشيدية سينطبق عليها ما ينطبق على غيرها من الأجزاء فكان عليها وال يخضع للسلطة الإخشيدية في مصر ، وقد أشار ابن حوقل[٢] إلى أن فلسطين والأردن كانتا في الفترة (٣٣٧ ـ ٣٣٩) والفترة (٣٤٨ ـ ٣٤٩) أيام التسلط الكافوري على الحكم بعد موت الإخشيد تحت ولاية أبي منصور أحمد بن العباس بن أحمد ، وأبي عبدالله بن مقاتل ، وأبي اسحق ابراهيم بن اسحق ، وقد عقدت على خزرون حنياً بخمسماية دينار .

ويظهر لنا من خلال ما أورده ابن حوقل أن مصر كانت في هذه الفترة تسيطر على بلاد الشام الجنوبية مع الأردن ، وكان لها حق تعيين الولاة على أملاكها حرباً وخراجاً كما يظهر لنا كذلك أن الأردن كانت تابعة لفلسطين بشكل أو بآخر ويشرف عليهما والٍ يقيم في الرملة .

ثم شغل أحمد بن علي بن الإخشيد الملقب بأبي الفوارس حكم الفترة الأخيرة من عمر الدولة الإخشيدية بعد موت كافور عام ٣٥٧هـ ، وكان هذا صغيراً لم يتجاوز الحادية عشرة من العمر فأصبح الحسن بن عبيدالله بن طغج خلفاً له ومتسلطاً على الحكم وأبو الفضل جعفر بن الفرات مدبراً للأمور وسمول الإخشيدي متولياً لشؤون الدفاع والجيش[٣] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٥٩ .

(٣) المقريزي : الخطط ١/ ٣٣٠ .

وكان الحسن بن عبيدالله بن طغج هو أمير الرملة وأكبر الإخشيديين فلما علم بما تمَّ في مصر من اعتلاء أبي الفوارس الحكم اتجه فوراً إلى مصر وألقى القبض على الوزير أبي الفضل وسجنه ثم أطلق سراحه وعاد ثانية إلى الرملة في ربيع ثاني عام ٣٥٨هـ ، وبهذا أثبت وجوده وضمن حقه في مصر قبل عودته للرملة ثانية[1] .

وبهذا أصبح اسم الرملة وأميرها على كل شفة لأنه أصبح يحرك الأحداث في مصر وجنوب الشام وأصبح يخطب باسمه على منابر البلدين بعد أحمد بن علي ، والذي ظل يحكم اسمياً حتى الثالث عشر من شعبان عام ٣٥٨هـ ، ويعتبر هذا التاريخ بداية انقراض الدولة الإخشيدية وقيام الدولة الفاطمية في مصر[2] .

ولكن حتى هذا التاريخ يوم دخول جوهر مصر فإن أمير الرملة وكبير الإخشيديين لا يزال حراً طليقاً في الرملة على رأس قواته بمقدرات الرملة وفلسطين المادية والمعنوية ، فهل يستسلم لما جرى في مصر أم يتخذ جانب المقاومة يا ترى ؟

إن المنطق السليم يقتضي أن يجابه الحسن الموقف بكل ما يستطيع إذ لا يمكنه التخلي عن الدولة بهذه السهولة سيما وأنه هو المرشح لاستلام الحكم بعد أحمد بن علي الإخشيدي بل وكان بالفعل وَلي عهده ، فاقتضاه الأمر أن يستعد الاستعداد التام وعليه أن يحشد جهوده جميعها لصالح المعركة مع

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١/ ٣٤٧ ، ٥/ ٦١ .
الدواداري : كنز الدرر ٦/ ١٢٠ ، ويشير إلى أن موقف الحسين من أبي الفضل دفع الأخير إلى مراسلة المعز الفاطمي في القيروان .

(٢) الكندي : ولاة مصر ص ٣١٠ ويقول : دخل جوهر مصر يوم ١٧ شعبان .
ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥/ ٦٠ ، الدواداري : كنز الدرر ٦/ ١٢١ ويقول : دخول جوهر مصر يوم ١٢ شعبان ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٤/ ٢٢ .

الفاطميين ـ المحتلين الجدد لمصر ـ ولكن جهوده فشلت لعدة أسباب منها: أن القرامطة في تلك الفترة كانوا قد وصلوا الشام ، بل إلى الرملة بالذات ـ مكان تجمع قوات الحسن ـ فاضطر هذا إلى منازلتهم ، ولكنه لم يستطع الثبات فانهزم ثم جرى بينهما الصلح ، وظل القرامطة بموجبه في الرملة طيلة شهر كامل وكان هذا أواخر عام ٣٥٨هـ[١] .

وكانت هذه الحوادث ذات تأثير مباشر على الحسن وقواته ، بل اعاقته عن واجبه الأول والتصدي للفاطميين ، ثم إن هذه الحرب قد أضعفت الحسن وقللت من استعداده وبددت جهوده ، ثم إن هذا الانهزام قد أطمع الفاطميين به وباتوا متأكدين من هزيمته فما دام لم يصمد أمام القرامطة فإنه لم يصمد أمامهم بالتأكيد ، فأسرع هؤلاء وأرسلوا قواتهم بقيادة جعفر بن فلاح إلى جنوب الشام والتقى بالحسن وكان جانب الحسن هو الأضعف لأن قلوب سكان الرملة فلسطين والجنود ليست معه لأنه لم يكن يعاملهم بالود والحسنى ولم يضع مصالحهم في المقدمة بل لجأ إلى مصادرة أموالهم الأمر الذي دفع حتى بعماله على القدس وطبرية ودمشق إلى التقاعس عن نجدته وقت الشدة أمام قوات الفاطميين بقيادة جعفر بن فلاح ، مما كانت نتيجته الهزيمة المحققة بل وأسره وإرساله إلى مصر ودخول جعفر مدينة الرملة في منتصف رجب عام ٣٥٩هـ[٢] .

---

(١) الدواداري: كنز الدرر ٦/ ١٢٢ .
سهيل زكار: أخبار القرامطة عن اتعاظ الحنفا للمقريزي ص ٣٦٤ .
محمد كرد علي: خطط الشام ، دار العلم للملايين بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م ، ص١٩٦ .

(٢) ابن الأثير: الكامل ٨/ ٥٩١ .
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥/٦١ .
الدواداري: كنز الدرر ٦/ ١٢٣ ، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٤/٣٢ .
حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٣/ ١٤٩ وذكر: أن الحسن أرسل إلى شمال أفريقيا للمعز وظل هناك حتى وفاته عام ٣٧١هـ .

وقد أساء جعفر بن فلاح إلى فئات كثيرة من أهل الرملة وذلك لمساندتهم الأمير الإخشيدي وقتـل كثيراً منهم وصادر الأموال ، ثم أتاح له هذا الانتصار فرصة ترتيب الأمور في مدينة الرملة فأخذ يتقرب إلى من بقي من سكانها في محاولة لارضائهم والتخفيف من ويلات ما أوقعه بهم من ظلم .

ولما اطمأن جعفر إلى ترتيباته في الرملة توجه إلى الشمال فاخضع طبرية ، وكان عاملها هوفاتك الإخشيدي وهو ممن تقاعس عن نجدة الحسن بن عبيدالله الإخشيدي من قبـل[١] ، فرحب هذا بجعفر وسلمه المدينة ، وبعد ذلك سار جعفر إلى أن دخل دمشق وبسط سيطرته على جهات حوران وذلك عام ٣٥٩هـ[٢] .

وبهـذا تكـون الـرملة ـ مدار بحثنـا ـ قد دخلت ضمن السيادة الفـاطمية الجديدة وأصبح عليها أن تتأثر بمؤثرات من نوع جديد خاصة وأنها ستتأثر من الآن فصاعداً بموجة من العداء الشديد للعباسيين ، لأن القوة المسيطرة تكن أشد العداء للعباسيين بل وتسعى لتحطيم خلافاتهم ، ولكن هل تستجيب الرملة إلى دواعي الحقد على العباسيين وتصبح سيفاً من سيوف الفاطميين المسلطة على رقاب الخلافة العباسية !؟ فهذا ما سنعالجه في الفصل القادم .

---

(١) ابن الأثير: المصدر السابق نفسه ، الدواداري : كنز الدرر ٦/ ١٢٥ .
(٢) المصدران السابقان نفسهما .

الفصل السادس

مدينة الرّملة في الفترة الفاطميّة

٣٥٨ - ٤٩١هـ



الاحتلال الفاطمي للرملة وبلاد الشام:

إن احتلال الفاطميين لمصر قرّبهم من هدفهم المنشود الرامي إلى تحطيم الخلافة العباسية وإقامة الخلافة الفاطمية على انقاضها ، لذا سرعان ما أرسل هؤلاء جعفر بن فلاح إلى بلاد الشام واستطاع هذا أن يخضع الرملة وطبرية ودمشق إلى نفوذه بل ويخطب فيها للفاطميين بدلا من العباسيين[1] ، وهكذا أصبحت الرملة فاطمية ويصدر تعيين ولاتها الفاطميون الشيعة وباسمهم يحكمون .

والرملة بموقعها المتميز كمفتاح لبلاد الشام لمن يريدها من مصر جعل الفاطميين يهتمون بها وذلك نظراً لخطورة موقعها بالنسبة لمخططهم الرامي إلى الوصول لبغداد ، هذا بالإضافة إلى أنها حلقة الوصل بين مصر والشام والعراق ، ولذا حرص الفاطميون طيلة تاريخهم على تأكيد وجودهم في الرملة التي أصبحت جزءاً من دولتهم[2] .

---

(1) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص1 ، المقريزي : اتعاظ الحنفا تحقيق الشيال ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧ ، ص١٢٠ - ١٢٣ .
سهيل زكار: أخبار القرامطة ص١٧٠ عن كتاب «تثبيت دلائل النبوة» ، وورد فيه «أن الفاطميين قصدوا الوصول إلى نيسابور وتحطيم الخلافة العباسية» .
(2) فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٢/ ١٩٣ .

الرملة بين القرامطة والفاطميين :

دخل جعفر بن فلاح دمشق عام ٣٥٩هـ وظل بها حتى قتل عام سنة ٣٦٠هـ من قبل الأمير القرمطي الحسن بن الأعم في ذي القعدة(١)واستطاع الحسن أن يسيطر على وسط بلاد الشام ويحتل دمشق وجنوب بلاد الشام ويدخل الرملة ويسيطر على الإقليم برمته .

والمهم أن القرامطة سيطروا على جنوب الشام ووسطه ومعنى هذا تهديد للوجود الفاطمي في مصر بالإضافة إلى الشام ، ويجب أن نشير إلى تصرف سكـان الرملة في هذه الأثناء فانهم ساندوا القرامطة الذين أبدوا من التسامح والاهتمام بمصالح السكان منذ دخولهم الرملة الشيء الكثير ، ويجب أن يفهم جلياً أن الرملة أصبحت وقتذاك مركزاً لتجمع العناصر المناوئة للفاطميين الشيعة خاصة تلك العناصر التي لا تزال تتمنى عودة الحكم الإخشيدي والعناصر التي تنـاوىء الفاطميين على أساس أنهم شيعة مخالفون لمذهبهم(٢) ، لذا فليس

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٢ .

ابن الأثير: الكامل ٨/ ٦١٤ ـ ٦١٥ ويعلل سبب هجوم القرامطة بأنهم كانوا يتلقون من الأخشيديين ٣٠٠,٠٠٠ دينار سنوياً ولكن جعفر لما جاء ودخل دمشق قطعها عنهم فقتلوه انتقاماً لذلك .

ابن الأبار: الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ١/ ٣٠٤ .

ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب ١/ ٢٣١ .

الدواداري : كنز الدرر ٦/ ١٣٥ .

ابن خلدون: العبر ٤/٤٩ ويقول قتل جعفر بن فلاح عام ٣٦١ والأصح ٣٦٠ لاتفاق المصادر المعاصرة .

المقريزي : اتعاظ الحنفا ص١٢٧ .

المقفى : نقلاً عما حققه سهيل زكار تحت عنوان تاريخ أخبار القرامطة ص١٠٤ ، وكذلك عن ثابت بن سنان نفس الكتاب ص٥٧ ، ولكن ثابت بن سنان يقول قتل جعفر ٣٦١هـ والصحيح أواخر عام سنة ٣٦٠هـ .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص١ ، ٢ المقريزي : اتعاظ الحنفا ص١٢٧ ، ابن =

غريباً أن رحب أولئك وهؤلاء بالسيطرة القرمطية بدلاً من السيطرة الفاطمية .

ولكن الفاطميين لم يقفوا موقف المتفرج مما يجري على الساحة الشامية بمجموعها في الوسط أو الجنوب أمام الهجوم القرمطي الكاسح الذي أزال نفوذهم من دمشق وطبرية والرملة ، فإن واليهم على الرملة سعادة بن حيان أرسل إلى جوهر الصقلي في مصر يخبره بحقيقة الهجوم القرمطي وأنه شخصياً أعجز من أن يستقبل القرامطة ويقف أمامهم ويمنعهم من التقدم نحو مصر للإطاحة بالدولة الفاطمية هناك .

وهنا لجأ جوهر إلى عدة اجراءات من شأنها أن تعمل على افشال القرامطة فيما إذا فكروا بالهجوم على مصر فأقام خندقاً حول القاهرة ، وفي نفس الوقت بدأ يتجهز للمسير إلى الرملة لمقابلة الحسن بن الأعسم القرمطي قبل أن يتوجه إلى القاهرة وينال من قواته وبالفعل فإن الحسن القرمطي قد نظم قواته وسار صوب القاهرة ولم تستطع قوات الفاطميين في الرملة مجرد مناوشته ريثما تصل النجدة من القاهرة[1] ، واضطر هذا أن يترك الرملة ويذهب إلى يافا المطلة على الساحل ليكون أكثر حركة عن طريق البحر ، ولكن الحسن الأعسم لم يتركه بل قرر القضاء عليه قبل التوجه إلى مصر ، فطارده وحاصره في المدينة حصاراً قاسياً حتى هلك أكثر أتباعه جوعاً .

وكما يبدو فإن القرامطة بعملهم هذا أثبتوا أنهم كانوا جادين في مهاجمة مصر والإطاحة بحكومتها ، بدليل أنهم أقاموا الخطبة العباسية في كل الأملاك التي سيطروا عليها من بلاد الشام ، وهنا فإن معظم القبائل العربية القاطنة جنوب الشام في الرملة وفلسطين انضمت إلى القوات القرمطية ودعمتها بكل طاقاتها ما دامت تود اعادة الخطبة للعباسيين والغاء الخطبة الفاطمية للشيعة ،

= تغري بردي : النجوم الزاهرة ٤/٦٠٢ حوادث ٣٦١هـ .

(١) ابن خلدون : العبر ٤/ ٥٠ .

سهيل زكار: أخبار القرامطة ص١٨٩ (عن كتاب تثبيت دلائل النبوة) .

وهـذا الأمـر كان نتيجتـه أن زادت الأعبـاء الملقاة على كاهل الفاطميين في المنطقة[1] ، وجعل الأمور تبدو وكأنها ثورة منظمة شاملة ضد الوجود الفاطمي في بلاد الشـام وحتى في مصر لأن توجهات القرامطة كانت ترمي إلى التوجه لمصر أيضاً .

إن إقدام القرامطة على إقامة الخطبة في بلاد الشام للعباسيين من جديد وبعد مدة قصيرة من سيطرة الفاطميين عليها قد جلب للقرامطة رضى الخلافة العباسية ومساندة القبائل العربية في جنوب فلسطين والرملة ، وحتى قبل إقامة الخطبة العباسية فإن العباسيين قدموا الدعم المادي والمعنوي للقرامطة بمجرد اعـلان هؤلاء عن مشـروعهم في غزو الشام ومصر ومحاربة الفاطميين أعداء العباسيين فكيف بعد أنْ حققوا إقامة الخطبة لهم في بلاد الشام عملياً ؟ .

وظل الحسن الأعسم يحاصر الفلول الفاطمية في يافا حتى هلك قسم كبير منهم ثم كلف أحد قادته بالاستمرار في محاصرتهم واتجه بجموعه إلى مصر عام ٣٦١هـ ، وكانت الجموع القرمطية الحاقدة على الحكم الفاطمي تتقوى على طول خط سيرها إلى مصر بمن ينضم إليها من العناصر الحاقدة على الفاطميين حتى بلغت اعداداً كبيرة استطاعت أن تسيطر على جزء كبير من الأرض المصرية حتى عين شمس ، ولكن قوات جوهر الصقلي التي جهزها من مدة كانت أقدر على كسب المعـركة ضد القوات القرمطية فاستطاعت أن تردها على أعقابها

---

(١) سهيل : أخبار القرامطة ص٥٩ عن تاريخ ثابت بن سنان «دلائل تثبيت نبوة محمد ﷺ» .
ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص١ ، ٢ .
النويري : نهاية الارب ص ٣١٥ (عن أخبار القرامطة لسهيل زكار) الدواداري : كنز الدرر ٦/ ٣٥ـ ١٣٦ .
ابن خلدون: العبر ٤ / ٥٠ .
المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١٨٨ .

خاسرة بل وطاردتها حتى وصلت الرملة مركز تجمعها في جنوب الشام(١) .

ولم تكن هذه الهـزيمـة نهـائية للقرامطة فإنهم عادوا إلى يافا المحاصرة وشددوا الحصار من جديد الأمر الذي جعل جوهراً يرسل نجدة بحرية للمدينة المحـاصرة ، وقد استطاع القرامطة أن يقضوا على هذه النجدة ولم ينج منها سوى مركبين غنمهما الروم في البحر(٢) .

ويعلق الدواداري(٣) على هذا بقوله ، لما انهزم القرامطة من مصر عائدين إلى قواعدهم في الرملة (عند ذلك أرسل جوهر ابن اخته ابراهيم نجدة إلى ابن حيان المحاصر في يافا ، ولما علم المحاصِرون أن جيش مصر «في طريقه» إليهم ساروا عنها واتجهوا إلى دمشق) .

وهـذا يعـارض ما جاء سابقـاً من أن القـرامطة قد دمروا النجدة البحرية الفاطمية المرسلة إلى يافا المحاصرة ، ولسنا هنا بصدد ترجيح رواية على أخرى لأن تطور الأحـداث أثبت بعـد ذلك أن القرامطة عادوا ثانية إلى الإحساء مع الاحتفاظ لأنفسهم بحق العودة متى شاؤوا إلى بلاد الشام ومصر ، وكان أملهم تحطيم الخلافة الفاطمية مع أن الطرفين يعتنقان مذهب الشيعة .

وهذا يفسر لنا سرعة حضور المعز لدين الله الفاطمي من أفريقيا إلى مصر

---

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٢ ، ابن الأثير: الكامل ٨/ ٦١٥ .
سهيل زكـار: أخبـار القرامطة من ٥٩/ ٦٠ ص١٨٨ ، ١٨٩ (تاريخ ثابت بن سنان) .
ص٢٧٢ عن أخبار الدول المنقطعة لابن ظافر . ص٣١٦ عن نهاية الارب للنويري .
المقريزي : اتعاظ الحنفا ص١٣٠ ، يقول عاد سعادة بن حبان إلى مصر وليس إلى يافا ، أي ينفي قصة حصار يافا .

(٢) ابن الأثير: الكامل ٨/ ٦١٦ .

(٣) الـدواداري : كنـز الدرر ٦/ ١٤٣ ، سهيل زكار: أخبار القرامطة ، وورد فيه أن جند الفاطميين قد استعملوا قوارير النفط ضد القرامطة حتى أجلوهم عن يافا إلى الشام ومنها رحلوا للاحساء .

حيث وصل الإسكندرية أواخر شعبان عام ٣٦٢هـ واتجه فوراً للقاهرة فوصلها في ٥ رمضان من نفس العام[1] .

وجاء في المصادر المعاصرة على لسان هلال الصابي أن القرامطة بزعامة الحسن الأعسم قد عادوا ثانية عام ٣٦٢هـ لمقارعة الفاطميين وبالطبع عادوا إلى جنوب الشام إلى مركز تواجدهم السابق في الرملة ومنها إلى مصر . وقاموا بعدة هجمات على المدن والقرى المصرية ونهبوا وسلبوا وكانت هناك موقعة في ميسول الطواحين هزم فيها المعز الذي كان يقود قواته وتقهقر إلى القاهرة منهزماً ، ثم إن الحسن الأعصم استطاع أن يحاصر القاهرة وهدد المعز وكادت الدولة تسقط لولا أن المعز لجأ إلى الدبلوماسية الهادئة فقد عرض على الحسن دفع مبلغ من المال مقابل عودة الحسن الأعصم وهنا وافق الحسن على قبض الأموال وعاد إلى الرملة[2] ، ويظهر لنا هنا أن القرامطة ليسوا طلاب حكم بمقدار ما هم طلاب مال وغزو وتدمير .

ويبدو أن المذهب لم يكن تأثير في مجريات الحياة آنذاك فيما بين القرامطة والفاطميين الشيعة ، وأن القرامطة كانوا يجرون وراء المكاسب المادية بدليل أنهم هاجموا الفاطميين في القاهرة وعادوا بمجرد حصولهم على مبلغ من المال وإلا لو كانوا طلاب حكم لما قبلوا العودة خاصة وأنهم يحاصرون الخليفة الفاطمي في عاصمته الجديدة وكان بامكانهم أن يحققوا مكاسب أخرى إلا أنهم عادوا مما يبرهن على قصر نظرهم في فهمهم للأمور آنذاك ، ولكن ربما اعتقدوا

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٨/٦٢٢ ، الدواداري : كنز الدرر ٦/١٤٤ ، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/٢٧٣ ، ابن خلدون: ٤/٤٩ .

(٢) زكار: أخبار القرامطة ص٧٣ عن تاريخ هلال الصابي ، ص١٧٠ عن كتاب دلائل تثبيت النبوة .

المقريزي : اتعاظ الحنفا ص١٤٢ ويقول بالهجوم على تنيس عام ٣٦٢هـ دون ذكر حكاية المعز والأموال .

ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٤/ ٧٤ ـ ٧٥ .

أنهم مرفوضون من الخلافة العباسية والبـويهيين المتسلطين عليها .

وحق لهم هذا الاعتقاد فإن المطيع العباسي رفض أن يولي الحسن الأعسم بلاد الشام ومصر لأنه شيعي المذهب ومتسلط ولا يؤمن شره وحياده مع الفاطميين رغم عزمه على قتالهم ثم إن عز الدولة البويهي الشيعي المتسلط على الخلافة في بغـداد كان بدوره لا يحبـذ هذا مع أنه شيعي ويخشى أن ينضم الحسن الأعسم للفاطميين وبذلك ينازعونه الحكم على أساس أنهم من نسل فاطمة بنت الرسول ﷺ وأحق من بني بويه بالخلافة وكان هذا سلوك البويهيين العام تجاه الفاطميين وإلّا لماذا لم يتحدوا سوياً ويقضوا على الخلافة العباسية وكان هذا عليهم سهلاً ومتيسراً[1] ؟ .

وفي عام ٣٦٣هـ عاد القرامطة ثانية إلى بلاد الشام في طريقهم إلى مصر ولما عرف بهم المعز الفاطمي وأنهم فعلاً قد أصبحوا على أبواب مصر أرسل كتاباً إلى الحسن الأعصم يذكر له فيه فضله وفضل أهل بيته وأن الدعوة الفاطمية والقرمطية دعوة واحدة ، وأن دعوة القرامطة في الأصل هي للمعز وآل بيته ، ثم هدده في نفس الـوقت وتوعده بالويل إذا هو لم يرجع من حيث أتى ، ولكن الأعسم رد على كتاب المعز بكتاب جاء فيه «وصل كتابك الذي قلَّ تحصيله وكثر تفضيله ، ونحن سائرون إليك على إثره والسلام»[2] .

(١) زكار: أخبار القرامطة ص١٧٠ عن دلائل تثبيت النبوة لثابت بن سنان وص١٨٨/ ١٨٩ ، ص٧٣ عن تاريخ هلال بن الصابي .

(٢) زكار: أخبار القرامطة ص٦٠/٦١ ، عن تاريخ ثابت بن سنان ، ص٢٧٢ عن الدول المنقطعة .

ابن ظافر: الدول المنقطعة سنة ١٩٧٢ ، القاهرة ص٢٥ ويقول: والجواب ما تراه لا ما تسمعه .

ابن الأثير: الكامل ٨/ ٦٣٨ ، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٢٧٦ .

المقريزي: اتعاظ الحنفا ص١٨٨ ـ ١٨٩ ، ٢٠١ ـ ٢٠٢ .

واستمر القرمطي يغذ السير إلى مصر حتى وصل عسكره مصر وعسكر في عين شمس ومنها أرسل جنوده تعيث فساداً في أرجاء مصر فسلبوا ونهبوا وقتلوا وشردوا وهنا تشجعت الفئات الحاقدة على الفاطميين وانضمت إلى القرمطي مستغلة الظروف لتحقيق مكاسب على حسابِ المعز ، وكان يصاحب القرمطي الأمير حسان بن الجراح الطائي أمير الرملة وفلسطين بجموعه المحاربة الأمر الذي جعل كفة القرمطي ترجح[1] .

ولمجابهة هذا الموقف المتأزم لجأ المعز إلى استعمال الحيلة والخديعة في معاملته وكان يهدف إلى اخراج القرمطي من مصر بأقل الخسائر الممكنة وفق الظروف المتاحة أمامه ، ونزل المعز على رأي مستشاريه بضرورة الاتصال بابن الجراح واغرائه بالمال لينفصل عن القرمطي ، ولما اتصل به المعز وجد عنده ليونة وبذلك تحقق من رأي مستشاريه وتأكد من إمكانية اتمام العملية وبذل له ١٠٠ ألف دينار إن هو تخلى عن حليفه ، ثم أرسل وحلّفه على أن لا يخونه ويعود ثانية للقرمطي فوافق ابن الجراح ، وكانت الخطة المتفق عليها تقضي بانهزام ابن الجراح حالما يصله المال من صفوف القرمطي ومعه اتباعه وجنوده المقاتلين[2] .

ولما وصل المال إلى ابن الجراح اتفق مع كبار رجاله على الغدر فيما إذا

---

(١) زكار: أخبار القرامطة ص٦٢ عن تاريخ ثابت بن سنان .
ابن الأثير: الكامل ٨/ ٦٣٨ ، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٢٧٦ .
ابن خلدون: العبر ٤/ ٥٠ المقريزي: اتعاظ الحنفا ص٢٠٥ .

(٢) زكار: أخبار القرامطة ص٦٢ ، ص١٩٠ ، ابن القلانسي: ذيل دمشق ص٣ ، ابن الأثير: الكامل ٨/ ٦٣٩ ، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٢٧٦ .
المقريزي: اتعاظ الحنفا ص٢٠٥ ، علي ابراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي نهضة مصر سنة ١٩٦٣م ، ص٥٢ .
ابن خلدون: العبر ٤/ ٥٠ .

قامت الحرب فوافقوه وكان المعز قد استكثر الأموال المتفق عليها مع ابن الجراح فلجأ إلى إرسال أموال مزيفة ، ولما حصلت الحرب فعلاً تظاهر ابن الجراح بالهزيمة فاستغرب القرمطي ذلك خاصة وأنه يعرف ثبات وشدة جنود الرملة فثبت بجنوده وقاتل بشجاعة ولكن هذه الشجاعة لا تجدي بمفردها بعد خسرانه لقوات الرملة ومقدراتها الأمر الذي اضطر معه إلى الانهزام والخروج من مصر بعد أن خسر كثيراً من المعدات والقتلى والأسرى(١) .

إن هذه الهزيمة جعلت القرامطة يتأكدون أن ظروفهم هذا العام لا تسير وفق المطلوب فعادوا إلى الشام ومنها إلى الإحساء، وعلى الرغم من أن المعز أرسل قائده أبا محمود بن ابراهيم بن جعفر في عشرة آلاف مقاتل ليتتبع فلول القرامطة إلا أنه ظل عاجزاً عن تحقيق هذه المهمة لخوفه من حركة التفاف يقوم بها القرمطي ، ويبدو أن وصول القرامطة إلى مصر قد أشاع الخوف في نفوس الفاطميين حتى كبار قادتهم أمثال أبي محمود وغيره بدليل أن هذا لم يجرؤ على مطاردة فلول القرامطة المنهزمة ولو فعل لكسب كثيراً ولقضى على هذه الفلول وأراح مصر منها لمدة طويلة(٢) .

ولكن مهما قيل فإن خيانة ابن الجراح لحليفه القرمطي لم تكن إلّا سعياً وراء المال ولا يهم ابن الجراح من أين وكيف يأتي هذا المال فالمهم تحصيله ، ويبدو لي أن مجموعة كبيرة من السكان في الرملة وغيرها من جنوب فلسطين

---

(١) زكار: تاريخ القرامطة ص٦٢ ، ص٣٢١ عن تاريخ ثابت بن سنان والنويري .
المصادر السابقة نفسها ، ابن القلانسي : ذيل دمشق ص٣ ويقول الهزيمة في رمضان عام ٣٦٣هـ .

(٢) زكار: أخبار القرامطة ص٢ عن تاريخ ثابت بن سنان ، ابن القلانسي : ذيل دمشق ص٣ .
ابن الأثير: الكامل ٨/ ٦٣٩ ، ابن كثير: البداية ١١/ ٢٧٦ .
ابن خلدون: العبر ٤/ ٥٠ .

كانت تستنكر هذا العمل من ابن الجراح وتود نجاح القرامطة ويمثل لنا هذا الجانب أبا بكر النابلسي الرملي وهو أحد مشايخ الرملة وكان يرى قتال المغاربة (الفاطميون) ويحث على ذلك ربما لمخالفتهم في المذهب وكان يقول: لو معي عشرة أسهم لرميت تسعة في المغاربة وواحداً في الروم ، وهذا يبرهن لنا بلا شك عن مقدار ما كانت جماهير الرملة تكنه للفاطميين ويدلل لنا على سبب مساندتها للقرامطة الذين أظهروا طاعة الخلافة العباسية ، كما يبرهن لنا على ما لقيه أبا بكر النابلسي من العنف والتنكيل وعلى مقدار الحقد الفاطمي الدفين على كل من لا يرى رأيهم فقد عذب الشيخ وقتل وسلخ وحشى جلده تبناً ونصبت جثته وجلده على الخشب أياماً(١) .

ولم يكتف رجال الفاطميين وولاتهم في الشام باعادة السيطرة بعد طرد القرامطة بل أساؤوا إلى الشعب في كل المواقع في الرملة وطبرية ودمشق وغيرها ، وحصل في الفترة ما بين (٣٦٣ ـ ٣٦٤) ما أسفر عنه أن أبا محمود والى الفاطميين على دمشق قد أخرج منها نتيجة لما اقترفه من أعمال مشينة وقدم الرملة مرغماً وبأمر من المعز وظل في الرملة غير محبوب من السكان حتى قدم الفتكين التركي إلى بلاد الشام(٢) .

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٨/ ٦٤٠ ، زكار: أخبار القرامطة ص٦٢ .
المقريزي : اتعاظ الحنفا ص٢١٠ .

(٢) زكار: أخبار القرامطة ص٦٣ ، ابن الأثير: الكامل ٨/ ٦٤٠ ـ ٦٤٣ .
الدواداري : كنز الدرر ٦/ ١٦٨ ، ابن خلدون: العبر ٤/ ٥١ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص٢١٢ ـ ٢١٤ .



أفتكين والرملة :

وأفتكين (هفتكين) تركي الأصل كان مولى للمعز البويهي وولده ، وقد استطاع أن يفلت من فتنة الأتراك التي جرت في العراق أيام مولاه بختيار بن معز الدولة وعضد الدولة البويهيان ، وقد انضم إليه جماعة من الأتراك فسار بهم إلى أن قدم إلى حمص في بلاد الشام ثم استقر حول دمشق بعد ذلك[1] .

وكان في دمشق ريان الخادم والياً عليها للمعز وقد ساءت الأمور في زمنه وحلت الفوضى وغلب الأحداث على شؤونها وأساءوا إلى الأهالي ، وكان قدوم هفتكين إلى دمشق فرصة لمشايخ ورجال المدينة استغلوها بالطلب منه لتولي الأمر واخماد الفتنة فاستجاب لهم وحقق الأمن وأَقام الخطبة العباسية بدلاً من الخطبة الفاطمية[2] ولكنه لم يشأ أن يقطع الاتصال مع المعز فأخذيسترضيه، والظاهر أن افتكين قرر أن يستفيد من التناقض الحاصل بين العباسيين والفاطميين ليضمن لنفسه بقاءً أطول في دمشق ، وأدرك المعز هذا وأراد أن يستقدم أفتكين إلى مصر وأظهر له ذلك وأنه من ثم سيعيده إليها والياً فاطمياً ولكن أفتكين لم يفعل لأنه لم يأْمن جانب المعز وظل يماطله حتى مات المعز وتولى العزيز عام ٣٦٥هـ .

وأراد أفتكين أن يستغل الفرصة ويزيد أملاكه على حساب الفاطميين فأقدم

---

(١) زكار: أخبار القرامطة ص٦٦ ، وأورد زكار في الحاشية أن لفظ أفتكين وردت بصيغ مختلفة منها: هفتكين ، الفتكين ، وبفتكين وغيرها والصحيح «الب تكين» عبدٌ جَلِد وأخذ هذا عن الكاشغري في ديوان لغات الترك ١/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧ طبعة الاستانة ١٣٣٣هـ .

ابن الأثير: الكامل ٨/ ٦٥٦ ، ابن كثير: البداية ١١/ ٢٧٧ ـ ٢٨٠ ، ابن خلدون: العبر ٣/ ٤٣٠ .

(٢) الدواداري: كنز الدرر ٦/ ١٦٩ ، ابن كثير: ١١/ ٢٨٠ ـ ٢٨١ ، المقريزي: اتعاظ الحنفا ص٢٢٠ .

وسيطر على الشريط الساحلي من صيدا إلى عكا بالإضافة إلى طبرية وغيرها من المواقع ، وعاد إلى مقره في دمشق[1] .

وعند ذلك استشار العزيز وزيره يعقوب بن كلس في مجابهة الموقف فأشار عليه بإرسال جوهر الصقلي بالعساكر إلى الشام ، ولما علم أفتكين بمسير جوهر جدد عهده مع الدماشقة الذين أعلنوا تضامنهم معه في وجه أي قوة تهدد وجودهم وأعلنوا أنهم مستعدون للدفاع عن دمشق حتى الموت ، وتجلى هذا التضامن عندما وصل جوهر بعد أن اكتسح جنوب الشام من جديد وأكد سيادته على تلك الجهات ، وبدأ يحاصر دمشق . .

ولم يكتف أفتكين بالاستعداد وتجهيز الجيوش بل أرسل مراراً يستنجد بالقرامطة ، ولما عرف جوهر بهذا الأمر وأن الحسن القرمطي فعلاً في طريقه إلى دمشق أخذ يحسب للأمر حسابه واتخذ عدة اجراءات احتياطية ، وما أن وصل الحسن حتى تراجع جوهر إلى جنوب دمشق في طريقه إلى الرملة وذلك عام ٣٦٦هـ خوفاً من الوقوع بين فكي الكماشة ، القرامطة وافتكين وأهل دمشق[2] .

---

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص١٤-١٥ .
ابن الأثير: الكامل ٨/ ٦٥٧ ، الدواداري : كنز الدرر ٦/ ١٧٥ - ١٧٦ .
ابن خلدون : العبر ٥٢/٤ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٢) زكار: أخبار القرامطة ص٦٨ ، ٧٦ عن تاريخ ثابت بن سنان .
الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ص٢٢٥/ ٢٢٦ ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص١٤-١٥ .
الدواداري : كنز الدرر ٦/ ١٧٧ - ١٧٩ ، وورد فيه : ان جوهراً قاتل هفتكين من ذي القعدة سنة ٣٦٥هـ وحتى ربيع آخر عام ٣٦٦ ، وأنه انتصر على هفتكين بدمشق ولكن هفتكين تقوى بالدماشقة وانتصر لعدة أسباب : هجوم فصل الشتاء ، عدم قدرة جوهر على التحرك بحرية ، نقص الأموال والفرسان وهلاك الدواب ولما لم يصل إلى شيء راسل افتكين في الصلح فرفض واتفق ان يرحل جوهر دون أن يتبعه أحد وكان جوهر قد علم بمسير الحسن القرمطي إلى الشام فرحل في ٣ جمادى الأولى عام ٣٦٦هـ . =

والمهم أن القرمطي وصل وتحالف مع أفتكين ضد جوهر والقوات الفاطمية وسارا خلفه حتى أدركاه وقد نزل بظاهر الرملة وسيَّر أثقاله إلى عسقلان ، وقد تجمع لافتكين جيش كثيف قوامه العناصر العربية التي انضمت إلى أهل دمشق وأهل الرملة والقرامطة وأصبح قوام جيشه يقدر بخمسين ألفاً(١) .

نزلت القوات المتحالفة بالقرب من نهر أبي فطرس في موقع يدعى بالطواحين على بعد ٣ فراسخ من الرملة ، وكان جوهر قد احتمى بزيتون الرملة ، ولكن هذه القوات قطعت النهر وحرمت جوهراً من الاستفادة منه ، الأمر الذي اضطره إلى الخروج من الرملة والرحيل إلى عسقلان ، وهنا لم يلق المساعدة من أهل الرملة الذين انحازوا إلى جانب هفتكين والقرامطة ضد الفاطميين .

ثم إن القرمطي وافتكين لم يتركا جوهراً لهمومه وأحزانه بل تبعاه إلى عسقلان بجموعهما ومعهما أهل الرملة وضربوا الحصار على قواته في المدينة لمدة طويلة حتى قلت الأقوات وارتفع السعر ، وكان الفصل شتاءً مما أعاق حركة الملاحة وأخَّر نجدات الاسطول المصري الأمر الذي زاد في وطأة الحصار على جوهر وقواته(٢) .

= ابن كثير: البداية ١١/ ٢٨١ .

المقريزي: اتعاظ الحنفا ص٢٣٨/ ٢٣٩ ويقول ظل افتكين طيلة ٣٦٥هـ يكاتب القرامطة ويقول ظل جوهر وافتكين في قتال على دمشق طيلة سبعة شهور حصلت خلالها ١٢ دفعة (هجمة) دون فائدة ، ورحل عن دمشق في ١١ ربيع ثاني ٣٦٦هـ .

سعيد عبدالفتاح عاشور: الحركة الصليبية ١/ ط/٣ سنة ١٩٧٥م ، ١/ ص٦٥ .

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص١٦/١٧ .

فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص٢١٢ .

(٢) زكار: أخبار القرامطة ص٦٨/ ١٠٨ تاريخ ثابت بن سنان ، وتقول روايته بوفاة الحسن الأعسم القرمطي عام ٣٦٦هـ .

ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص١٧/١٨ بيروت طبع ١٩٠٨ ، ويقول الحسن =

لجأ جوهر هنا إلى الدبلوماسية الهادئة مع هفتكين فأخذ يراسله ويدعوه إلى طاعة العزيز ويمنيه بالأموال والمناصب إن هو أجاب ولكن القرمطي كان دائماً يخوف هفتكين من جوهر والعزيز وأنهما لا عهد لهما وذلك ليبقى على تحالفه معه وهذا ناتج عن أن القرمطي يكره العزيز وجوهراً ودولتهما(1) .

ولكن رغم كل هذا فان اجتماعاً تمَّ بين هفتكين وجوهر وهما على صهوة جواديهما وجرت بينهما محادثات أسفرت عن أن هفتكين مال إلى رأي خصمه جوهر ولكنه في نفس الوقت لا يمكنه التخلي عن حليفه القرمطي ، وهذا واضح من رده عليه وعلى عرضه للدخول في خدمة العزيز عندما قال له : «أنا والله واثق بك في صحة الرأي والمشورة منك ، لكنني غير متمكن مما تدعوني إليه بسبب القرمطي الذي أحوجتني أنت إلى مداراته والقبول منه»(2) .

= القرمطي اشترك في عسقلان وظل يقاتل طيلة سنة ٣٦٧هـ .
ابن الأثير: الكامل ٨/ ٦٥٨ ويؤيد ابن القلانسي فكأنه أخذ عنه .
المقريزي : اتعاظ الحنفا ص٢٤١ ويقول هلك الحسن القرمطي عام ٣٦٦هـ وقام بعده ابن عمه جعفر ويؤيد كل من :
ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ١/ ٣١٨ موت الحسن القرمطي عام ٣٦٦هـ .
ابن عساكر: تاريخ دمشق (تهذيب تاريخ دمشق) ليدران ٤/ ١٤٨ موت الحسن ٣٦٦هـ .
الذهبي : العبر ٢/ ٣٤١ مات الحسن القرمطي بالرملة عام ٣٦٦هـ .
ابن ظافر: الدول المنقطعة ص٣١ ويقول: كان جعفر القرمطي مع هفتكين على عسقلان وليس الحسن القرمطي ، وهذا يؤيد موته عام ٣٦٦هـ لأن الحصار استمر ٣٦٦هـ وجزءاً من عام ٣٦٧هـ .
الدباغ (مصطفى مراد): بلادنا فلسطين ١/ق ، ٢/ ص ١٥٩ .

(1) ابن القلانسي : ذيل دمشق ص١٧ .

(2) زكار: أخبار القرامطة ص٦٩ تاريخ «ثابت بن سنان» .
ابن الأثير: الكامل ٨/ ٦٥٩ ، ابن خلدون : العبر ٤/ ٥٢ ابن كثير: البداية ١١/ ٢٨١ .

ومع أن هذا الرد يحمل في طياته اللوم لجوهر لأنه هو السبب الذي دفع بهفتكين إلى الاستعانة بالقرامطة إلا أنه من جانب آخر يظهر لنا أن نية هفتكين ليست صافية للقرمطي بل هو مجبر على محالفته مضطر لكي يتغلب على ما يعترضه من صعوبات ، ولما عرف جوهر بنية هفتكين وميله إلى الصلح ، طلب منه أن يسمح له بالخروج من عسقلان كي يعود لمصر شاكراً له هذا الصنيع فوافقه على ذلك[1] .

ولما عاد هفتكين إلى مقر قيادته أخبر القرمطي بما تمَّ مع جوهر فأجابه هذا بأَنه أخطأ فيما تمَّ الاتفاق عليه وأن المصلحة تقضي بحصار جوهر إلى النهاية لأنه سيعود إلى القاهرة ويؤلب العزيز ضدهما ، ولكن هفتكين لم يلتفت إلى آراء حليفه ولم يوافقه على تحطيم جوهر وجيشه الذي طال حصاره في عسقلان (حوالي ١٧ شهراً) واذن لجوهر وجماعته بمغادرة عسقلان عائدين إلى القاهرة[2] بعد أن خرجوا من باب عسقلان وعليه سيف هفتكين معلق .

وكان الاتفاق الذي تمَّ ما بين جوهر وافتكين يقضي باقامة صلح بينهما

---

(١) الأنطاكي (يحيى بن سعيد): تاريخ الأنطاكي ص١٥٤/ ١٥٥ .
الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ص ٢٢٦ ويقول: اتفق على أن يخرج جوهر من عسقلان تحت سيف القرمطي ورمح هفتكين المعلقين على باب عسقلان ، وذلك اذلالاً له ، ابن القلانسي : ذيل دمشق ص١٧ ، ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق لبدران ٣/ ٤١٦ ، ابن ظافر: الدول المنقطعة ص٣١ ، ابن خلدون: العبر ٤/ ٥٢ ويقول خرج جوهر من تحت سيف الأعسم وهفتكين وهذا معناه اتفاقهما على ذلك .
المقريزي: اتعاظ الحنفا ص٢٤١ ويقول خرج جوهر من تحت سيف هفتكين المعلق على بوابة عسقلان بعد حصار ١٧ شهراً .
علي ابراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي ص١٠٨/ ١٠٩ .
(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص١٨ ، ابن الأثير: الكامل ٨/ ٦٥٩ .
ابن كثير: البداية ١١/ ٢٨١ .
علي ابراهيم حسن: المرجع السابق .

يقسم بلاد الشام على أن تكون من غزة إلى مصر للمغاربة وأن تكون المنطقة من عسقلان وما إليها من أعمال الشام إلى الفتكين ، وتقام الدعوة في هذه المناطق للعزيز وما يجبى منها من أموال لألفتكين ومعنى هذا أن الفتكين رضي بالدعوة إلى العزيز الفاطمي وأن الرملة أصبحت من أملاكه التي يسيطر عليها تحت راية العزيز[1] .

والمهم خرج جوهر سالماً مع من بقي من جماعته وتوجهوا من عسقلان لمصر ، ولما وصل مصر أخبر العزيز بما تمَّ ونصحه بالخروج إلى ملاقاة هفتكين والقرمطي والا قدما إلى القاهرة وفي ذلك هلاكه وزوال دولته ، عندها جمع العزيز الجيوش وسار متوجهاً إلى بلاد الشام للقاء هفتكين والقرامطة والذين كانوا قد تمركزوا في جهات الرملة ، ونالوا عطف العرب المتواجدين في تلك الجهات بل وانضم هؤلاء إليهم[2] .

وفي المحرم ٣٦٨هـ التقى العزيز بجيوش هفتكين والقرامطة المتحالفة بالقرب من الرملة[3] وكان اللقاء شرساً أثبت فيه الفتكين (هفتكين) دربة عسكرية عالية وثبت في القتال بشكل أعجب به خصمه العزيز فأرسل إليه يستميله ويمنيه بالمناصب الرفيعة والأموال إن هو انفصل عن القرامطة ولكنه لم يفعل وأجاب على طلب العزيز بأنه من المستحيل أن ينفصل عن القرامطة الآن وبعد نشوب القتال ولو كان هذا العرض مبكراً لكان له موقف آخر ، وهذا يثبت لنا أن هفتكين

---

(١) الأنطاكي : تاريخ ص١٥٤ / ١٥٥ ابن عساكر: تهذيب تاريخه ٣/ ٤١٦ يقول بأمان دون ذكر الصلح .

ابن ظافر: الدول المنقطعة ص٣١ ويقول الاتفاق خروج جوهر وجماعته عراة بعد أن يعلق لهم في قوس باب عسقلان سيف هفتكين ورمح القرمطي .

(٢) الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ص٢٢٧ ، ابن الأثير: الكامل ٨/ ٦٦٠ ، ابن كثير: البداية ١١/ ٢٨١ .

(٣) ابن خلدون: العبر ٤/ ٥٢ ويقول: كان اللقاء عام ٣٦٧هـ .

(الفتكين) لم يكن في قرارة نفسه راض عن حربه مع العزيز .

والمهم أن ظروف المعركة كانت بجانب العزيز نظراً لعدم تماسك الجبهة المعادية تماسكاً تاماً يدل عليها موقف هفتكين السابق ولأن العزيز استعمل سلاح الدبلوماسية واستمال إليه كثيراً من العرب الذين في صفوف هفتكين والقرامطة ، هذا بالاضافة إلى تصميم العزيز على النصر ولا شك في أن وجوده في أرض المعركة كان له أثر في استماتة جنوده في الحرب وبالتالي مكن من كسب النصر ، واستطاع العزيز من خلال ما قام به جيشه من هجمات مركزه ايقاع حوالي ٢٠ ألف إصابة بين قتيل وجريح وأسير في صفوف العدو[1] ، وتجب الإشارة هنا إلى أن جماعة من الديالمة كانوا قد خرجوا من بغداد وانضموا إلى جيش افتكين وعند اشتداد المعركة صاحوا «زنهار ، زنهار» الأمان الأمان مما

---

(١) الأنطاكي (يحيى بن سعيد): تاريخه ص١٥٥ ، الهمذاني: تكملة تاريخ الطبري: المصدر السابق نفسه .
ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ص١٩ ، ابن ظافر: الدول المنقطعة ص٣٢ .
ابن الأثير: الكامل المصدر السابق نفسه ويقول: المعركة حصلت عام ٣٦٧هـ .
ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر ص١٧٦ ويقول: خرج العزيز عام ٣٦٧هـ وظفر بالتركي وعاد .
الدواداري: كنز الدرر ٦/ ١٨٧ يقول: حصلت الموقعة في محرم ٣٦٨هـ وخرج العزيز أواخر عام ٣٦٧هـ .
ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٢٨١ ، ابن خلدون: العبر ٤/ ٥٢ .
القلقشندي: صبح الأعشى ٦/ ٤٣٥ .
المقريزي: اتعاظ الحنفا ص٢٤٢ ـ ٢٤٤ ، ويضيف سبباً آخر إلى هزيمة هفتكين وهو أن جماعة من الديلم البويهيين قد انضموا إلى جيوشه وأثناء المعركة طلبوا الأمان وانضموا إلى جيش العزيز .
عاشور: الحركة الصليبية ١/ ٦٥ ، حسن ابراهيم: تاريخ الإسلام ٣/ ١٥١ ، علي ابراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي ص١١١ .

آثـر على نفسية جيش هفتكين والقـرمـطي وكـان له مردود سيء على سير المعركة(١) ، وكذلك يجب أن نشير أيضاً إلى أن المفرج بن الجراح كان على مقدمة جيش العزيز المتجه إلى حرب هفتكين والقرمطي وهذا من شأنه تقوية مركز العزيز(٢) ، ويلاحظ أن أعراب الرملة كانوا قسمين قسم مع حسان وأبيه المفرج بن الجراح ويميلون للفاطميين والقسم الآخر انضموا إلى جيش هفتكين والقرمطي لحقدهم على الفاطميين أعداء المذهب .

ويلاحظ كذلك أن المفرج بن الجراح كان يود أن يبني له ملكاً في الرملة وفلسطين وهذا في ظل هفتكين والقرمطي غير ممكن التحقيق إذن فالمصلحة تقضي أن يتحالف مع العزيز ويكسب ثقته ومن خلال ذلك يمكنه تحقيق ما تصبو إليه نفسه وهذا بين لنا مساندته للعزيز رغم صحبته لهفتكين ، وهذا واضح مَن أن المفرج قد استجاب لنداء العزيز عندما أعلن جائزة ١٠٠ ألف دينار لمن يأتيه بهفتكين وسلمه إليه عندما جاءه مستجيراً به بعد فشله في معركته مع العزيز عام ٣٦٨هـ(٣) ، وقبض المبلغ وهذا الأمر جعل العزيز يركن إليه ويثق به ويوليه أمر الرملة بعد ذلك جزاء لخدماته التي قدمها .

وبعد ذلك سار العزيز باسراه ومعهم هفتكين إلى مصر وقد أكرمه ولم يصبه بمكروه وفشل في القاء القبض على القرمطي وعاد هذا إلى الإحساء ، وأصبح هفتكين في مصر من أخلص خلصاء العزيز وظل حتى قتله يعقوب بن كلس فيما

---

(١) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص٢٤٢ ـ ٢٤٤ .

(٢) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص٢٤٢ .

(٣) الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ص٢٢٧ ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص١٩ ، ابن ظافر: الدول المنقطعة ص٣٢ .
ابن الأثير: الكامل ٨/ ٦٦٠ ، الدواداري : كنز الدرر ٦/ ١٨٧ .
ابن كثير: البداية ١١/ ٢٨٢ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص٢٤٢ ويقول حسان بن علي بن مفرج والصحيح مفرج بن دغفل ، ولا يهم إن كان حسان أو والده المفرج .

بعد حسداً له[1] .

وهنا تخلص العزيز هفتكين من القرمطي الذي رفض ما عرضه العزيز من أموال وعاد إلى الإحساء [2] وأثبت العزيز أنه من طراز الحكام الذين يتقنون الحرب والسياسة وحفظ بلاد الشام الجنوبية من أن تفلت من قبضته .

---

(١) المصادر السابقة .

(٢) الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ص٢٢٨ ، ويقول: قدم العزيز للحسن القرمطي (جعفر القرمطي وليس الحسن) ٧٠ ألف دينار تدفع كل عام واستخلفاه لكنه رفض وعاد ، ابن القلانسي : ص٢٠ يقول الحسن القرمطي والمال ٣٠ ألفاً أخذها .
ابن الأثير: الكامل ٦٦١/٨ ، ابن كثير: البداية ٢٨٢/١١ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص٢٤٢ .

الرملة وآل الجراح الطائيين :

إن العزيز عندما عاد من نواحي الرملة عام ٣٦٨هـ ظافراً بافتكين وجماعته الأسرى إلى مصر ، فوَّض أمر الرملة إلى المفرج بن دغفل بن الجراح الطائي(١) وفي نفس العام جهّز العزيز الفضل بن صالح على جيش الشام وقلده الشام كله ولقبه بالقائد وخلع عليه وقلده سيفاً محلى بالذهب وأعطاه مئة ألف درهم وخمسون قطعة ثياب ملونة(٢) ، ونزل الفضل بن صالح الرملة بجوار المفرج بن دغفل بن الجراح أميرها وأعطاه سجلاً بولايتها من العزيز .

وقد سلك المفرج سلوك المتسلط وأظهر طاعة العزيز من غير أن يعمل باوامره ويتصرف بأحكامه وكثر جمعه(٣) ، ولم يكن يُكنُّ الود العميق لقائد العزيز الفضل بن صالح ، وكذلك ابن صالح كان يبادله نفس الشعور ولكنهما ظاهرياً يعملان باسم العزيز وفي انسجام تام .

---

(١) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص٢٤٩ .

(٢) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص٢٤٦ .

(٣) ابن الأثير: الكامل ٨/ ٦٩٩ ويقول المتسلط على الرملة هو دغفل بن الجراح وليس المفرج بن دغفل .

الرملة وآل الجراح وأبو تغلب بن حمدان :

وأبو تغلب هو فضل الله الملقب عدة الدولة والمعروف بالغضنفر ابن ناصر الدولة بن حمدان وقد جرت له مع عضد الدولة حوادث كثيرة سار عضد الدولة بن بويه إلى الموصل واحتلها فهرب أبو تغلب بجيشه وسار إلى الشام وحاصر دمشق وكتب إلى العزيز بولاية المدينة فأجابه ظاهراً[1] ومنعَهُ باطناً وقد حاصر أبو تغلب دمشق وضيق عليها وانتظر قدوم النجدات من مصر .

وكان في الرملة المفرج بن الجراح أميراً من قبل العزيز ومعه القائد الفاطمي الفضل بن صالح وقد أحضر سجلاً بولاية الرملة لابن الجراح وأفهمه أنه معه ضد أبي تغلب الذي يحاصر دمشق[2] ، وكان ابن الجراح قد أراد اخضاع قبائل عقيل في بلاد الشام لسلطته ، وصادف أن استنجدت هذه القبائل بأبي تغلب فسار إليها ولكن ابن جراح أرسل إليه أن لا يفعل فأعلن أبو تغلب أنه يتوسط في الأمر ويرضى بحكم العزيز[3] .

وسار أبو تغلب عن دمشق بعد أن يئس من وصول نجدة مصر إلى جوار بني عقيل جهات الفوار وكان الفضل قد سار إلى جهات طبرية وجرى اجتماع الفضل بن صالح وأبي تغلب وتمَّ التوصل إلى أن يكونا معاً ضد ابن الجراح وأن يتجه الفضل إلى دمشق ففعل وأخضعها ثم سار إلى جهات الساحل الفلسطيني[4] .

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ١١٧ ، العمري (محمد أمين): منهل الأولياء ومشرب الأصفياء ص٨٩ .
حسن ابراهيم: تاريخ الإسلام ٣/ ١١٩ .

(٢) الدواداري: كنز الدرر ٦/ ١٩٣ .

(٣) مسكويه: تحارب الأمم ٢/ ٤٠١ ـ ٤٠٢ ، ابن الأثير: الكامل ٨/ ٦٩٩ .

(٤) مسكويه: المصدر السابق ٢/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣ ، ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ص٢٢ .

=

وهنـا تظهر لنا شخصية الفضل بن صالح التواقة إلى تحقيق مآربها مهما كلف الأمر فقد اتفق الفضل مع ابن الجراح ومع أبي تغلب على أن ينصر كلاً منهما ضد الآخر وحقق هدفه ودخل دمشق وسيطر عليها لصالحه ، ولما اطمأن أبو تغلب إلى هذه الترتيبات سار نحو الرملة فخاف ابن الجراح وهرب وأقبل يجمع الجنود من المنطقة وهو واثق إلى أن الفضل سيكون معه إلى أن يقضي على أبي تغلب ، وفي نفس الوقت ظن أبو تغلب نفس الظن وجمع ما قدر عليه من بني عقيل وقدم الرملة[1] .

وفي صفر من عام **٣٦٩هـ** كان اللقاء بين أبي تغلب وجند الرملة بقيادة ابن الجراح وكان اللقاء قاسئياً بين الطائفتين من العرب ، عرب أبي تغلب وعرب ابن الجراح ، فلما حملت عرب ابن الجراح على عرب أبي تغلب انهزموا وهنا قدم الفضـل بن صالـح وكـان قد جمـع جيوشه بجهات عسقلان إلى ابن الجراح واجتمع به حسب الاتفاق السابق ، وقيل لأبي تغلب أن الفضل قد اجتمع بابن الجراح فلم يحرك ساكناً لأنه يعتقد أن الفضل سيخذل ابن الجراح وينضم إليه حسب الاتفاق السابق أيضاً ، ولكن أبا تغلب لما رأى عساكر الفضل تقاتل مع عساكر ابن الجراح عرف أنه خُدع مما جعل جماعته تتفرق وتتراخى في القتال فانهزم هو وجماعته[2] ، وكانوا حوالي ٧٠٠ غلام بعد تفرق بني عقيل من حوله

= الدواداري : كنز الدرر ٦ ص١٩٢ .

المقريزي : اتعاظ الحنفا ص٢٥١ .

(١) مسكويه : تجارب الأمم ٢/ ٤٠٣ .

ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٢٢ .

الدواداري : كنز الدرر ١٩٣/٦ .

المقريزي : اتعاظ الحنفا ص٢٥١ .

(٢) مسكـويه : المصدر السابق ٢/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣ ، الأنطاكي (يحيى بن سعيد) : تاريخه ص١٦٠ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٦٩٩ .

الدواداري : كنز الدرر ٦/ ١٩٣ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص٢٥١ ، عبدالمنعم خفاجي : بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي ١/ ٣١-٣٢ .

فضعفت حاله ووقع أسيراً في قبضة ابن الجراح ولأنه يحقد عليه قتله لئلا يصبح لديه مركز عند العزيز إذا ما وصل إليه إلى مصر بعد أسره وإذا حدث هذا فمعناه أنه سيصبح منافساً خطيراً لآمال ابن الجراح في الانفراد بحكم فلسطين وغيرها من بلاد الشام ، الأمر الذي يفسر لنا تصرف ابن الجراح مع أبي تغلب فقد قتله وأحرقه بالنار[1] ، وذلك ليتخلص من منافس خطير وإلى الأبد .

وهكـذا حقق ابن الجـراح مقصـده وقضى على منافس خطير لو قدر له الـوصول إلى العزيز في مصر ، وكان مع أبي تغلب زوجته بنت سيف الدولة وأخته جميلة بنت ناصر الدولة فسيرهما إلى حلب وبها أبو المعالي سعد الدولة فأمسك عنده أخته وبعث بنت عمه جميلة إلى بغداد إلى عدو أخيها خوفاً من غضب عضد الدولة فاعتقلت في داره وصار أبو المعالي يدعى بأبي الرذائل على فعلته تلك[2] .

وعـاد ابن الجـراح إلى حكم الرملة واتبع أسلوب الشدة مع السكان مما

---

(١) مسكويه: المصدر السابق نفسه ، الأنطاكي (يحيى بن سعيد): تاريخه ص١٦٠ .
ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ص٢٣ ويشير إلى أن ابن الجراح أحرق أبي تغلب بعد أن قتله .
ابن الأثير: الكامل ، المصدر السابق نفسه ، ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/ ١١٧ قتل في صفر ٣٦٧هـ والأصح ٣٦٩هـ .
الدواداري: كنز الدرر ٦/ ١٩٤ ـ ١٩٥ الذهبي: العبر ٢/ ٣٤٤ ويقول: مات أبو تغلب سنة ٣٦٧هـ على يد مفرج الطائي والأصح ٣٦٩هـ ، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٢٩٢ .
المقريزي: اتعاظ الحنفا ص٢٥٢ ، العمري: منهل الأولياء ١/ ٨٩ ، حسن ابراهيم: تاريخ الإسلام ٣/ ١١٩ ، عبدالمنعم خفاجي: بنو خفاجة ١/ ٣١-٣٢ .
(٢) ابن الأثير: الكامل ٨/ ٦٩٩ ويقول: ارسلت جميلة إلى الموصل وسلمت إلى أبي الوفاء نائب عضدالدولة بن بويه فسيّرها إلى بغداد وهذا بمساعدة ابن جراح .
العمري: منهل الأولياء ١/ ٨٩ .

جعلهم يركنون إلى الدعة والسكون ، ويصور لنا المقريزي حالة الرملة وفلسطين بعد أن عاد إليها ابن الجراح وتخلص من أبي تغلب قائلاً[1]: «وعادت الديار لابن الجراح فأتت طي عليها فتعطلت الزروع من القرى» .

وأراد العزيز أن يؤكد سيادته على بلاد الشام بعد القضاء على أبي تغلب فأرسل قائده سليمان بن جعفر بن فلاح الكتامي في ٤ آلاف مقاتل فنزل هذا مدينة الرملة فاعتبر المفرج أن هذا العمل غير ودي بالنسبة له بل وموجه ضده وضد طموحاته في اقامة امارة قوية له في الرملة وجهاتها ، ولذا لم يستقبل سليمان بالود الواجب باعتبار أن العزيز سيد المنطقة وما هو إلا تابع له وعليه واجبات التبعية واستقبال قائد سيده العزيز ، ولكن سليمان سرعان ما غادر الرملة في طريقه إلى دمشق[2]، ثم جرت أمور بين سليمان وقسام المتولي علىدمشق بعد الفتكين أَمَر العزيز بعدها سليمان أن يرحل عن دمشق[3].

وفي عام ٣٧٠هـ قام قادة الفاطميين بحركات في بلاد الشام يشتم من خلالها فرض السيطرة على الرملة ودمشق كالحركة التي قام بها الفضل بن صالح ذو الأصل اليهودي الذي كان له فضل كبير في القضاء على أبي تغلب في العام الماضي ، وكان قصده السيطرة على فلسطين والقضاء على آل جراح الذين ينزعون إلى تزعم العنصر العربي آنذاك ولكن ابن الجراح كان له بالمرصاد، ومُطّلِع على خفايا نفسه وأهدافه، مع أنَّ الفضل أظهر مراراً أنه يريد الذهاب إلى حمص وحماة في حركة القصد من ورائها القضاء على ابن الجراح في الرملة وقسام في دمشق[4].

سار الفضل حتى نزل دمشق وهنا تأكد ابن الجراح أن هذه الحركة موجهة ضده في الرملة وهو أعجز بمقدراته من أن يواجه جيوش الفضل ، وسار يتنقل

---

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٢٣ .
المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢٥٢ .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٢٣ وما بعدها .

(٣) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٢٥٣/ ٢٥٤ .

(٤) الدواداري : كنز الدرر ٦/ ١٩٩ ، المقريزي : المصدر السابق نفسه .

بحذر من الفضل واقتضاه الأمر أن يطلب العفو من العزيز فأجابه إلى طلبه وأمر الفضل بالكف عنه(١) ، وبعد ذلك عاد ابن الجراح إلى قواعده في الرملة وجعل يقوم بتصرفات هوجاء أسفرت عن هلاك قسم كبير من اقتصاد المنطقة حتى كنت تزور الرملة فلا تجد شيئاً تأكله ، وهلك الفلاحون عماد الاقتصاد الوطني آنذاك وأصبحوا من الذين يتعاطون الصدقات ، ومما يعجب له أن الخراب والقحط قد عمَّ بلاد الشام برمتها عدا حلب وحمص ، وما هذا إلا لكثرة حروب المنطقة والتفات الأمراء إلى اعداد الجيوش واهمال أمر الزراعة نتيجة لأطماع الأمراء(٢) .

إن مجمل أعمال ابن الجراح في إقليم الرملة وفلسطين قد جلبت المجاعة لسكان المنطقة بعكس سكان منطقتي حلب وحمص مما جعل العزيز صاحب مصر والشام يركن إلى بكجور والي حمص ويعده بولاية دمشق ، وهذا بالطبع على حساب ابن الجراح في الرملة حيث كان يطمح إلى امتداد ولايته إلى تلك الجهات(٣) .

والمهم أن ابن الجراح لم يكن صادق الولاء للفاطميين بل كان متأرجحاً في علاقته معهم حسب المصلحة الأمر الذي جعل الفاطميين يبادلونه نفس الشعور خاصة بعد أن خلع طاعتهم وبدأ يتصرف وفق طموحاته الاستقلالية(٤) ، وأرسل العزيز جيشاً ليؤدب ابن الجراح ويحد من نفوذه في الرملة ومن نشاطه المعادي للفاطميين وكان هذا الجيش بزعامة بلتكين التركي فنزل هذا أرض الرملة(٥) .

---

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٢٤ .
الدواداري والمقريزي : المصدران السابقان نفسهما .

(٢) ابن القلانسي : المصدر السابق نفسه ص٢٤ .
الدواداري والمقريزي : المصدران السابقان نفسهما .

(٣) الدواداري : كنز الدرر ٦/ ١٩٩ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص٢٥٥ .

(٤) خاشع المعاضيدي : الحياة السياسية في بلاد الشام ص٥٥ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٢٥ .



الرملة وآل الجراح وبلتكين :

في عام ٣٧١هـ[١] أرسل العزيز بلتكين التركي أحد قادته على رأس جيش فاطمي بعد أن استجاب لمشورة وزيره يعقوب بن كلس ، وكان هذا الجيش خليطا من العناصر العربية ومن العجم والترك والمغاربة والمصريين وغيرهم ، ونـزل هذا الجيش في الرملة ومنطقتها يريد تأديب المفرج بن الجراح ، ولما عرف ابن الجراح بهذا الجيش يقترب من الرملة خرج عنها وكان معه جنود من العجم والترك يرمون بالنشاب جيدا بالإضافة إلى ما اجتمع إليه من العرب ، ثم جاء والي طبرية إلى بلتكين ومعه عرب قيس ثم دارت المعركة بين الطرفين بين بلتكين وابن الجـراح والي الرملة المتمرد على الفاطميين وقام بلتكين بحركة التفاف حول جيش ابن الجراح واستطاع أن يحرز النصر عليه وعلى جيش الرملة فهـرب ابن الجـراح إلى الشمال إلى حمص ومنها إلى أنطاكية حيث احتمى بحاكمها فأَمَّنَهُ[٢] .

ويعزي ابن الأثير[٣] هزيمة ابن الجراح إلى أن العرب لم يكونوا متحدين معه قلباً وقالباً بل انضمت قيس إلى بلتكين مما قوّى جانبه ووفر له امكانية النصر وذلك نكاية بابن الجراح .

---

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٢٥ ، ويقول : كان هذا عام ٣٧٠هـ ونحن نميل إليه لأنه أكثر معاصرة من غيره ، ثم كانت الحروب عام ٣٧١هـ .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٢٥-٢٧ ، ابن الجوزي : المنتظم ١٤٧/٥ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٩-٧ ويقول : كانت الحرب عام ٣٧٠هـ لا عام ٣٧٢هـ ، الدواداري : كنز الدرر ٦/ ٢٠٥ .
ابن خلدون : العبر ٥٣/٤ .
المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٢٥٦ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤/ ١٥١ ـ ١٥٢ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه .

ويجب أن يفهم جلياً أن ابن الجراح الذي غادر الرملة إلى انطاكية كان راغباً في اللحاق بالدولة البيزنطية ليعمل من خلال سياستها على اضعاف قوة الفاطميين وانه رضي أن يصبح ألعوبة بأيدي حكامها ، وصادف أن كان خروج الإمبراطور البيزنطي إلى بلاد الشام وهنا عز على ابن الجراح أن يكون في صفوفه فكاتب بكجور في حمص ولجأ إليه والتحق بخدمته[1] .

واستطاع بلتكين بعد ذلك أن يفرض سيطرته على دمشق وأكد سيطرته على جنوب الشام ووسطه أي على الرملة وطبرية ودمشق وأعاد هذه المنطقة إلى حظيرة الدولة الفاطمية[2] .

وفي عام **٣٧٣**هـ حصلت عدة تطورات في بلاد الشام كان أهمها أن أصبح بكجور صاحب ابن الجراح والياً على دمشق[3] ، وسلك مسلكاً أساء إلى الأهالي وظل حتى عام **٣٧٨**هـ حيث عزل وسارت جيوش الفاطميين إلى الشام وجرت عدة حوادث تسلم إثرها منير الخادم ولاية دمشق بدلاً من بكجور[4] وخرج هذا إلى الرقة ، وحاول من هناك أن يكسب ثقة العزيز من جديد وهوّن عليه أمر احتلال حلب من سعد الدولة وأن حلب مفتاح بغداد فإذا أخذها استطاع دخول بغداد وتدمير الخلافة العباسية فكتب هذا إلى ولاته بالشام أن يكونوا طوع أمر بكجور[5] .

وهنا سارع سعد الدولة صاحب حلب إلى الخلاص من بكجور فدبر قتله

---

(١) الدواداري ، المقريزي ، ابن خلدون : المصادر السابقة نفسها .

(٢) ابن الأثير: الكامل ٩/ ٨ .

(٣) ابن الأثير: الكامل ٩/ ٣٧ .

(٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٢٨-٣٠ ، ابن الأثير: كامل ٩/ ٥٨ .

(٥) ابن الأثير: الكامل ٩/ ٨٥-٨٦ .

وتخلص منه وذهبت أحلام العزيز أدراج الرياح[1] .

وكان بكجور لما ولي دمشق في الفترة (٣٧٣ ـ ٣٧٨هـ) قد ضم إليه ابن الجراح والي الرملة المطرود من قبل بلتكين ، ولما خرج منير الخادم من مصر عام ٣٧٨هـ ونجح في أن يصبح والياً على دمشق كان يعلن أن أحد أهدافه بل هدفه الرئيسي أن يخرج ابن الجراح من بلاد الشام كلها ويطرده من قاعدته في الرملة وإلى الأبد وذلك لفساده وعصيانه ويطلب مساعدة حليفه بكجور ، ولكن بعد أن تأزمت الأمور وخرج بكجور من دمشق إلى الرقة خرج معه ابن الجراح زعيم العرب في الشام والذي كان يسيطر على مقدرات الرملة وفلسطين .

ولجأ العزيز إلى أن يوقع بين بكجور وابن الجراح فكتب إلى بكجور انما أرسلت إليك منير الخادم للاتفاق معك على حرب ابن الجراح الذي أفسد البلاد ولست انت المقصود بهذه التحركات[2] ولكن جرت أمور حاول من خلالها بكجور استعادة ثقة سعد الدولة به فرضي عنه وأعاده إلى حمص ثانية ولكنه سرعان ما ساءت العلاقات بينهما وقتل بكجور[3] .

وشهد عام ٣٨٠هـ تحالفاً جديداً بين ابن الجراح وجيوش الخلافة الفاطمية المرسلة من مصر إلى دمشق لتأديب منير الخادم الذي اتهم بمراسلة خليفة بغداد ، وهنا لا بد إلا أن يكون العزيز قد رضي عن ابن الجراح واعاده إلى الرملة

---

(١) ابن القلانسي : ذيل دمشق ص٣٨ ، ابن الأثير: كامل ٨٧/٩ .

(٢) الدواداري : كنز الدرر ٦/ ٢٢١ ، وورد فيه : أن عام ٣٧٨ شهد قتالاً بين ابن الجراح وبكجور من جهة ومنير الخادم من جهة أخرى ومعه بشارة والي طبرية وجماعات من الأعراب حاقدة على ابن الجراح وأسفر هذا القتال عن هزيمة بكجور وتأكد هذا من عدم استطاعته الوقوف أمام بشارة ومنير الخادم فقرر أن يسلم دمشق ويذهب للرقة وذلك في منتصف شعبان ٣٧٨هـ وأما ابن جراح فدخل البرية مع أحلافه ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص٢٦٠ .

(٣) المقريزي : المصدر السابق نفسه .

وإلّا كيف يتحالف ابن الجراح مع جيش الخلافة الفاطمية ما لم يكن التقارب قد حصل أو في سبيل الحصول عليه على الأقل .

وكان جيش الخلافة الفاطمية بقيادة منجوتكين ، وهنا تظهر لنا المصلحة الخاصة بأجلى مظاهرها ، فَعَدُوُّ الأمس أصبح حليف اليوم والوالي المتمرد المطرود عاد إلى قواعده والخليفة العزيز أراد اخضاع منير الخادم لاتهامه بالاتصال بالعباسيين بأي ثمن وابن الجراح في نفس الوقت أراد العودة إلى الرملة بأي ثمن هو الآخر إذن التقت المصالح وتقاربت الأهداف فكان الرضى والتحالف .

ولا شك في أن ابن الجراح قد جمع مقدرات الرملة من جديد في هذا اللقاء وأعاد إلى الرملة ثقلها في المنطقة من جديد واستطاع هو وحليفه منجوتكين من هزيمة منير الخادم في دمشق وذلك في ١٩ رمضان عام ٣٨١هـ[1] .

وذكر ابن القلانسي[2] أن عام ٣٨٧هـ شهد ظهور المفرج بن دغفل بن الجراح ومعه سنان بن عليان وانضما إلى منجوتكين القائد الفاطمي ووالي الشام الذي قضى على منير الخادم سابقاً وتسلط على جهات الشام وأراد التمرد على القاهرة ، فأمر الحاكم بأمر الله الخليفة الجديد قائده سليمان بن فلاح أن يسير إلى بلاد الشام ، وكان منجوتكين قد نزل الرملة ومعه المفرج وسنان ، ويبدو أن المفرج أراد أنْ يستغل الفوضى الحاصلة في القاهرة نتيجة انتخاب الحاكم بأمر الله للخلافة وهو بعد صغير السن فأقدم على الاستيلاء على الرملة

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٤٠ .
ابن ميسر: المنتقى ص ١٧٠ ويقول: خلع العزيز على حسان بن المفرج وأمره بالمسير مع منجوتكين.
المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠ .
(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٤٦/ ٤٧ ، ابن خلدون ٤/ ٥٦-٥٧ .

بمساعدة حلفائه ، ولكن سليمان استطاع أن يهزم هؤلاء بالقرب من عسقلان ودخل الرملة منتصراً .

وقد استطاع المفرج وسنان أن يتقربا إلى سليمان بن فلاح وتنكرا لمنجوتكين وتركاه وحيداً مما كان نتيجته أن أُسر ، وكان أسره قد تم عن طريق علي بن الجراح الذي طمع بمبلغ من المال قدمه سليمان بن فلاح ومئة ثوب وكراع(١) ويبدو هنا لنا طمع آل الجراح في المال واستعدادهم إلى اتباع الغدر ولو مع حلفائهم في سبيل ذلك .

وفي عام ٣٨٧هـ تشجع المفرج بن دغفل ونزل الرملة ونهب مستغلاً ظروف الإدارة الفاطمية السيئة المضطربة آنذاك فقد كان برجوان الخادم هو المسير للأحداث في القاهرة وساءت الأحوال ما بينه وبين سليمان بن فلاح لأن هذا طرد جيش بن الصمصامة عن الشام فذهب إلى القاهرة وأخذ يحرض رجال الإدارة ضد سليمان وكانت النتيجة أن أرسلت القاهرة جيشاً (بن) الصمصامة ليهدىء الأحوال في الشام والرملة ويقضي على سليمان بن فلاح ، وكان في الرملة آنذاك سليمان بن فلاح وواليها وُحَيْد الهلالي ومعهما خمسة آلاف جندي والمفرج بن دغفل .

وقد واتت الظروف المناسبة جيشاً بن الصمصامة واستطاع أن يوقع بسليمان ويأسره(٢) ويهزم المفرج بعد أن طارده إلى أحد جبال طيء ثم قبل توبته واعترف به والياً على الرملة وأمنه(٣) ، وقيل اتصل بالخليفة فعفى عنه وأمنه(٤) .

---

(١) المصدران السابقان نفسهما .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٥٠ .

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٥١ ، أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ، ابن الأثير: الكامل: ٩/ ١٢٠ ، ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر ص١٧٩ ، محمد كرد علي : خطط الشام ٢ / ٢١٥ .

(٤) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ٢٢٧ .
ابن الأثير: الكامل ٩/ ١٢١ .

وورد في حوادث عام ٣٩٣هـ أن أبا ظاهر محمود بن محمد النحوي والي ديوان الحجاز اتفق مع الحاكم بأمر الله أن يكفيه الأمور جميعها ويوفر له الأموال اللازمة هو وابن العداس فيما إذا أقدم الحاكم على الخلاص من الوزير أبي العلاء فهد بن ابراهيم فلما تم لهما ما أرادا خرج أبو ظاهر محمود بن محمد النحوي إلى بلاد الشام وابتدأ بالرملة فصادر عمالها وموظفيها وصادر منهما مبالغ ضخمة تقدر بحوالي ٢٠٠,٠٠٠ دينار واستعمل العنف في سبيل تحصيلها وفعل هذا مع باقي مدن الشام ، وكانت نتيجة هذه الأعمال أن عادت على الخليفة الحاكم بأسوأ مردود وضج الناس به فأرسل إلى واليه وحيد الهلالي في الرملة بالتخلص من النحوي[1] .

وقد أرسل إليه بصفة الاستعجال مع خادمه درى ناظر المعونة فركب ووافى الرملة عصر اليوم الثالث من مسيره وسلم الرسالة إلى وحيد الهلالي فقام هذا بعمله خير قيام واستطاع أن يتخلص من محمود بن محمد النحوي ويرسل برأسه إلى الحاكم[2] .

والمهم أن المفرج بن دغفل بعد أن أمَّنه الحاكم بأمر الله بقي في أملاكه في نواحي الرملة يترقب فرصة الانقضاض من جديد بمعنى أنه لم يكن صادق التصرف تجاه القاهرة ، وقد استقبل عام ٣٩٤هـ أبو القاسم الحسين بن علي المغربي الهارب من غضب الحاكم الذي قضى على والده وأخويه وبقي أبو القاسم في كنفه مدة معززاً مكرماً[3] ، والأصح ما رواه الذهبي من أن هذا كان سنة ٤٠١هـ .

ويبدو أن هذا التصرف من قبل المفرج لم يثر حفيظة الحاكم من جديد ولم

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٦٠/ ٦١ .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٦١.

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٦٣ - ٦٤ (عن الذهبي أن هروب المغربي كان عام ٤٠١ هـ - الحاشية).

يعتبره حدثاً خطيراً في وقته وأن المغربي الطريد لا حول له ولا قوة ويبدو كذلك أن ظروف الحاكم آنذاك كانت تتطلب أن يبقى المفرج إلى جانبه في جنوب الشام المتحفز دوماً إلى الثورة والانسلاخ عن جسم الدولة في القاهرة ، بدليل أن عام **٣٩٥ ـ ٣٩٦هـ** شهد مقدم أولاد المفرج الثلاثة إلى القاهرة علي وحسان ومحمود مع أحلافهما من العرب وساعدوا الحاكم في القضاء على ثورة أبي ركوة الوليد العائد في نسبه إلى هشام بن عبدالملك الأموي والذي أصبح خطراً يهدد أمن الفاطميين خاصة وأن اتباعه بلغوا ستة عشر ألفاً من المقاتلين الأشداء ، وكان يقود حملة القضاء على أبي ركوة الفضل بن عبدالله قائد الحاكم الفذ ، واستطاع هذا أن يهزم جموع أبي ركوة الذي هرب إلى النوبة وبالحيلة أعيد إلى القاهرة وأعدم ثاني يوم من وصوله كما أعدم الفضل بن عبدالله فيما بعد **٣٩٧هـ**[١] ، وهكذا عادت الخلافة الفاطمية تنظر إلى آل الجراح حسان واخوته ووالدهما بعين الرضى والتقدير لمشاركتهما في القضاء على خطر أبي ركوة .

والظاهر أن بني الجراح قد عادوا إلى الإفساد في جهات الرملة فاعتبر الحاكم أن عملهم يشكل خطراً عليه ولكن عليه أن يعاملهم بحذر لأنهم قادرين على ايجاد المشاكل له باستمرار[٢] ، وصادف أن أمر الحاكم بأمر الله عام **٣٩٨هـ** بهدم كنيسة القيامة في القدس وكلف والي الرملة بالإشراف على هذه العملية وعليه أن يستصحب معه الأشراف والقضاة والشهود ووجوه البلد وينزل

---

(١) يحيى بن سعيد الأنطاكي : تاريخه ص٢٠٠/ ٢٠١ ويقول سياروخ (ياروختكين) إلى المفرج عام ٤٠١هـ إلا أنه أسره وقتله ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ ص٦٣/٦٤ عن الذهبي حاشية «١» .

ابن الأثير: الكامل ٩/ ١٢٢ ويقول كان مسير ياروختكين وقتله عام ٣٨٦هـ .

Encylo peclea of I slam Voll. 11. P 482 - 85.

المعاضيدي : الحياة السياسية ص٥٦ ، سرور: سياسة الفاطميين ص١٣٩ يشير إلى أن قتل ياروخ سنة ٣٨٩هـ .

(٢) ابن زيني دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ص١٦ـ١٨ .

بمن معه بيت المقدس وينهب ويدمر الكنيسة[1] ، فنفذ ما أراده الحاكم فضج المسيحيون من جراء ذلك العمل فتدخل ابن مفرج وساعدهم على البدء في اعادة بناء الكنيسة ، والظاهر أنه أراد هذا ليتقرب منهم على حساب الحاكم بأمر الله .

ويبدو أن الظروف قد ساءت حوالي عام ٤٠١هـ بدليل أن الحاكم أرسل ياروختكين إلى بلاد الشام على رأس جيش ، إلا أنه ما كاد يصل إلى مشارف غزة حتى لقيه المفرج وولده حسان واشتبكا معه واستطاعا القضاء عليه وأصبحا يصولان ويجولان في جنوب الشام وقد وصلهما المغربي أبو القاسم الحسين بن علي الذي قتل الحاكم أباه وأخويه وعمه فهرب إلى آل المفرج واستعان بهم وذكرنا أنه هرب من الحاكم إلى آل المفرج عام ٣٩٤هـ والصحيح في حدود عام ٤٠١هـ[2] .

والمهم أن المفرج وبنيه قد أصبحوا خطراً يتهدد الخلافة الفاطمية فلما أرسل الحاكم الهدايا اليهم وطالبهم بمساعدته في بلاد الشام رغم قتل ياروختكين من باب السياسة والمصانعة أجابوه «سبق السيف العذل» حيث كانوا قد اتفقوا مع أبي القاسم الحسين بن علي المغربي على إقامة خلافة علوية مضادة للفاطميين في الرملة يحققون من خلالها ما عجزوا عن تحقيقه حتى الآن من الاستقلال .

---

(١) يحيى بن سعيد الأنطاكي : تاريخ يحيى بن سعيد ص ٢٠٠/ ٢٠١ .
ابن ظافر: الدول المنقطعة ص ٤٨/ ٤٩ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ٧/ ١٦٤ .
ابن ظافر: الدول المنقطعة ص٤٨-٤٩ ابن الأثير: كامل ٩/ ٣٣١ - ٣٣٢ .
ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢/ ١٧٤ - ١٧٥ .
احمد السباعي : تاريخ مكة ص ١٩٧/ ١٩٨ ، ويذكر زيادة عليه حكاية الانتقاص من الصحابة .

آل الجراح وقيام خلافة أبي الفتوح شريف مكة في الرملة :

شهدت الرملة عام ٤٠١هـ قيام خلافة علوية حسنية مناوئة للحكم الفاطمي في القاهرة ، وقبل الكلام عن أحداث قيام تلك الخلافة علينا أن نشير إلى صعوبة تحديد سنة اعلانها في الرملة وذلك لأن معظم المصادر والمراجع تختلف في تحديد زمن اعلانها .

والمعروف أن من تولى هذه الخلافة من الأشراف هو الشريف الحسن بن جعفر المعروف بأبي الفتوح ولقب بالراشد وقد تولى رئاسة مكة وما ينضاف إليها فترة طويلة تمتد من عام ٣٨٤ ـ ٤٣٠هـ[1] ، وفي عام ٤٠١هـ على تحديد أوثق المصادر والمراجع[2] أعلن الحسن خلافته في الرملة وناوأ الحاكم بأمر الله بل ناصبه العداء .

أ ـ أسباب قيام الخلافة :

تختلف المصادر في أسباب الخلافة كما اختلفت في زمن قيامها وتنحصر هذه الأسباب في ثلاثة أسباب حسبما جاءت بها المصادر والمراجع فأولاها :

أن الخليفة الحاكم بأمر الله قد قتل والد وزيره أبي القاسم الحسين بن علي المغربي وعمه فهرب هذا إلى حسان بن المفرج في الرملة وحرَّضه على خلع طاعة الحاكم والخطبة للشريف أبي الفتوح الحسن بن جعفر العلوي أمير مكة فأجابه إلى ذلك[3] .

---

(١) ابن زيني دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ص١٦ـ١٨ .

(٢) يحيى بن سعيد الأنطاكي : تاريخ يحيى بن سعيد ص ٢٠٠ / ٢٠١ .
ابن ظافر: الدول المنقطعة ص ٤٨ / ٤٩ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ٧/ ١٦٤ .
ابن ظافر: الدول المنقطعة ص٤٨ـ٤٩ ابن الأثير: كامل ٩/ ٣٣١ ـ ٣٣٢ . =

وثانيها: أن الحاكم نفسه كان قد أمر عام ٣٩٥هـ صاحب مكة الشريف الحسن بن جعفر أن يعلن من على المنابر سجلاً ينتقص فيه قدر الصحابة وبعض أزواج النبي ﷺ وأموراً من هذا القبيل فشق ذلك على الأمير الحسن بن جعفر، ولما كان الخطيب على المنبر تجمعت العرب حول مكة وضرب الناس الخطيب بالحجارة، وتأثر الأمير الحسن وأعلن عصيانه للحاكم بأمر الله ودعا لنفسه بالخلافة فانتخبه الناس وانتقل إلى بلاد الشام فزاد جمعه واحتضنه آل الجراح في الرملة[1].

وثالثها: أن الخليفة الحاكم كان قد أرسل ياروخ (ياروختكين) ٤٠١هـ لاخضاع تمرد الشام وبينما كان هذا في طريقه إلى دمشق في نواحي الرملة تصدى له حسان بن مفرج ووالده مفرج بن الجراح وأسراه وقتلاه وسيطرا على جنوب فلسطين وأنه لما أرسل إليهما الحاكم بأمر الله يعتب عليهما قالا له لقد سبق السيف العذل وكانا قد أرسلا إلى الحسن بن جعفر أمير مكة وبايعاه بالخلافة ولقباه بالراشد[2].

ونحن نرى هنا أن هذه الأسباب الثلاثة مجتمعة لم تكن كافية لدرجة إعلان الخلافة العلوية في الرملة لوحدها لو لم تكن نفس الحسن بن جعفر

= ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ١٧٤ ـ ١٧٥.
احمد السباعي: تاريخ مكة ص ١٩٧/ ١٩٨، ويذكر زيادة عليه حكاية الانتقاص من الصحابة.

(١) دحلان (احمد زيني): خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ص١٦/١٨.
السباعي (احمد): تاريخ مكة جـ/١ ط/٤ سنة ١٣٩٩/ ١٩٧٩م ص١٩٧/ ١٩٨.

(٢) يحيى بن سعيد الأنطاكي: تاريخه ص ٢٠١.
ابن الأثير: الكامل ٩/ ١٢٢ ويقول كان ارسال ياروختكين عام ٣٨٦هـ لا عام ٤٠١هـ، ونحن هنا نثق برواية الأنطاكي لأنه أقرب إلى الأحداث ولأنها تتفق ومجريات أحداث الثورة واقامة الخلافة كما سنوضح ونشير إلى أن ابن الأثير نقل السبب الثاني. انظر ص٣٣١/ ٣٣٢ جـ/٩ وخلط في التواريخ.

قد شالت من الخلفاء الفاطميين ، بل لعل الأصح أن الحسن كان يطعن في شرعية الخلافة نفسها وأكد هذا الاتجاه ما لجأ إليه الحاكم من الطعن بالصحابة ونساء الرسول ﷺ ، ثم أعان على ذلك رغبة آل الجراح في الاستقلال في الرملة وفلسطين ايماناً منهم بأحقية وشرعية إقامة كيان سياسي لهم ، وما هذه الأسباب المعلنة إلا الأسباب التي عجلت بتظافرها قيام تلك الخلافة العلوية في الرملة ، ويدعم هذا الاتجاه وهو الطعن في شرعية خلافة الفاطميين وأصلهم ، ما ذكره الوزير أبو القاسم المغربي عند اجتماعه بحسان بن المفرج في الرملة فقد أخبره وهو وزير الحاكم والمطلع على خفايا الأمور بأن نسب الفاطميين مطعون فيه ، ولكن قد يكون هذا القول لأن الوزير متأثر بقتل والده وعمه من قبل الحاكم إلا أن ايمان حسان بن المفرج به يدل على أن المسلمين لم يكونوا يثقون بنسب الفاطميين وشرعية خلافتهم ، وقد ذكر أبو القاسم لحسان أن الشريف الحسن بن جعفر معروف ولا مطعن في نسبه ثم أكدت أعمال الحاكم الشاذة هذا الاعتقاد وقوّته في النفوس مما جعل أهل الحجاز وعرب الشام يؤمنون بدعوة الحسن بن جعفر لأنه صحيح النسب ثابته إلى آل البيت الكرام[1] ، وهكذا تهيأت النفوس وأعلنت الخلافة العلوية في مكة ، ثم انتقلت إلى الرملة[2] بعد ذلك .

(١) ابن الجوزي : المنتظم جـ/٧ ، ص ١٦٤ .

(٢) احمد عمر الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، نشر عمادة شؤون المكتبات ، الرياض جامعة الملك سعود عام ١٩٨١م ، ص٥٢ . ويشير إلى أن الخلافة أقيمت أولاً بمكة ثم انتقلت إلى الرملة وكان قيامها أواخر عام ٤٠٢هـ ، ونقل ذلك عن (عبدالله غازي : إفادة الأنام) مكتبة النصيف بجدة ٣/ ورقة ٥٤ .

أبو شجاع الروذراوري : ذيل تجارب الأمم ص ٢٣٦ .

الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ/١٥ مؤسسة الرسالة ـ لبنان ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م ، ١٥/ ١٧٧ ـ ١٧٨ يؤيد قيام الخلافة ٤٠٢هـ .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، نشر أسد طرابزوني مطبعة دار بشر الثقافة ١٣٩٩/ ١٩٧٩م ، ١ ص٧٢ـ ٤٧٣ يقول قيام الخلافة في حدود سنة ٤٠٠هـ .

ب ـ زمن قيام الخلافة العلوية في الرملة :

وقبل الإجابة على أي تساؤل بالنسبة إلى تاريخ اعلان الخلافة العلوية في الرملة ، علينا بعد أن تقصينا أسباب قيامها أن نتقصى تاريخ اعلانها لنصل إلى التاريخ المقبول لقيامها ، وهنا نقول:

ورد فيما نقله ابن الجوزي(١) أن إعلان قيام الخلافة العلوية في الرملة قد تمَّ عام ٣٨١هـ بتحريض من الوزير المغربي وحسان بن المفرج المتسلط على جهات الرملة زمن الخليفة العزيز ، وأن هذا الخليفة قد دفع ٥٠ ألف دينار ثمناً لتمرد حسان ووالده على الحسن بن جعفر الخليفة العلوي في الرملة وكانا سبباً في افشال خلافته مع أنهما أحد الأسباب في اقامتها مما يبرهن أن هذا العمل من جانب آل الجراح يدل على قصر نظر أو لأنهم شعروا أن لا مركز لهم بجانب الحسن بن جعفر لأن نسبه يهيء له رضى الجميع ولا يستطيع آل الجراح إقامة كيان سياسي لهم بجانبه فآثروا أخذ المال والانقلاب عليه لأنهم شعروا أن بإمكانهم التحرك بحرية أكبر إلى جانب الحاكم بأمر الله الفاطمي من تحركهم مع الحسن بن جعفر الذي لا مطعن في نسبه ولا مطعن في انتخابه فعمل هؤلاء على افشال هذه الخلافة كما عملا على اقامتها من قبل .

ثم ذكر ابن الجوزي(٢) أن أبا الفتوح الحسن بن جعفر العلوي قد تلقب بالخلافة عام ٤٠١هـ دون أن يشير إلى حضوره للرملة ، وهنا يلاحظ أن ابن الجوزي قد نقل روايتين متناقضتين ارتضاهما لنفسه .

وأما ابن الأثير فيقول(٣) أن الحاكم الفاطمي قتل والد الوزير المغربي

(١) ابن الجوزي : المنتظم ١٦٤/ ١٦٥ المصدر السابق نفسه .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ٧/ ٢٥٢ .

(٣) ابن الأثير: الكامل جـ/٩ ص١١٦ ، ١٢٣ ، ٣٣١/ ٣٣٢ في حوادث عامي ٣٨٦ ، ٤١٤هـ .

فهـرب هذا وخـرض آل الجـراح وأمير مكة الحسن بن جعفر على خلع الحاكم وإقامة الخطبة للحسن بن حعفر وعمل على احضاره إلى الرملة وكثـر الأتبـاع والمؤيدون وتلقب بالـراشد ويستفاد من هذا القول إن هذا العمل قد تمَّ زمن الحاكم والذي استلم الحكم عام ٣٨٦هـ أي أن اعلان الخلافة العلوية لم يكن عام ٣٨١هـ كما جاء في ابن الجوزي زمن الخليفة العزيز المتوفى عام ٣٨٦هـ ولكن بعد ذلك في حدود ٣٩٠هـ .

وأما ابن خلكان[1] فقد ذكر أن الخلافة العلوية في الرملة كانت بعد قتل الحاكم بأمر الله لوالد وعم أبي القاسم الوزير المغربي وبتحريض من هذا الوزير نكاية بالحاكم بأمر الله ، ولكن ابن خلكان يقرر أن قتل الحاكم لوالد وعم أبي القاسم كان عام ٤٠٠هـ في الثالث من ذي القعدة[2] .

ومعنى هذا أن الخلافة أقيمت في عام ٤٠١هـ أو بعدها لأن أبا القاسم لا يمكنه أن يذهب من الرملة إلى مكة ويتفق ويحرض كلاً من آل الجراح والحسن في مدة قصيرة إذ يلزمه الوقت الكافي بمعنى أن خروجه من مصر كان بعد مقتل والده وعمه في الثالث من ذي القعدة عام ٤٠٠هـ كما أشار ابن خلكان .

وأما ابن كثير[3] فذكر لنا أن الخلافة العلوية أقيمت عام ٣٨١هـ في مكة والرملة ، إلا أن الحاكم بأمر الله الذي تولى بعد والده العزيز آنذاك قد أفسـد أمـر الخـلافة بأمواله التي دفعها لآل الجراح واسقط هذه الخلافة المضادة لوجود الدولة الفاطمية ، ثم ذكر في مكان ثان[4]: أن الحاكم قد ولي الخلافة بعد والده عام ٣٨٦هـ فكيف يتفق هذا وولاية الحاكم عام

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٥ .

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ١٧٧ .

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٣٠٩ ـ ٣١٠ .

(٤) المصدر السابق ١١/ ٣٢٠ .

٣٨١هـ كما نقله ابن كثير نفسه سابقاً ، بينما ذكر في مكان ثالث: أن الحسن بن جعفر[1] قد عصى على الحاكم عام ٤٠١هـ وأقام خلافته في مكة والرملة ، والمدقق يلاحظ التناقض الحاصل في روايات ابن كثير نفسه ، والظاهر أنه نقل روايات سابقيه دون أن يناقشها مما جعل رواياته متناقضة إلى حد بعيد .

وإذا ما عدنا إلى ما كتبه ابن ظافر[2] لوجدناه يقرر أن الخلافة العلوية في الرملة قد أقيمت في حدود ٤٠١هـ بعد قتل والد وعم الوزير أبي القاسم المغربي في ٣ ذي القعدة عام ٤٠٠هـ .

وأما ابن سعيد الأنطاكي في تاريخه[3] فيذكر صراحة ، بل يؤكد على أن الخلافة العلوية في الرملة قد أقيمت عام ٤٠١هـ على يدي آل المفرج المتسلطين في جهات الرملة وفلسطين ليقفوا أمام الحاكم بأمر الله الفاطمي .

وبعد أن استعرضنا هذه الروايات حسب زمنها ومن خلال ما ورد فيها من آراء مختلفة يمكننا أن نقول:

أولاً : إن رواية ابن الجوزي الأولى تقول: إن الخلافة في الرملة أقيمت زمن العزيز الفاطمي ولم يقل بهذه الرواية سوى ابن الجوزي ومن نقل عنه أنها في عام ٣٨١هـ ، والمعروف أن العزيز لم يرد عنه في غير ابن الجوزي أنه ثار عليه أحد وأعلن الخلافة المضادة لخلافته ، ثم أن ابن الجوزي نفسه يعود فيذكر أن الخلافة العلوية في الرملة حصلت زمن الحاكم بن العزيز وليس العزيز ، ومن الغريب أن ناشر

---

(١) المصدر السابق ١١/ ٣٤٤ .

(٢) ابن ظافر: الدول المنقطعة ص٤٨/ ٤٩ .

(٣) يحيى بن سعيد الأنطاكي : تاريخه ص٢٠٠/ ٢٠١ .

المنتظم لابن الجوزي قد رجح أن الخلافة قد قامت زمن العزيز في الرملة وليس زمن الحاكم دون أن يشير إلى المصادر التي اعتمدها في هذا السبيل واستند عليها من أن الخلافة أقيمت في الرملة عام ٣٨١هـ مع أن العزيز استمر خليفة حتى عام ٣٨٦هـ . ومما يشكك في أقوال ابن الجوزي ورواياته أنه نفسه يشير في مكان آخر إلى أن الخلافة قد أقيمت في الرملة عام ٤٠١هـ(١) ، الأمر الذي يقتضينا أن نرفض روايات ابن الجوزي الأولى ونتمسك بروايته الأخيرة القائلة بقيام الخلافة عام ٤٠١هـ لأنها أدق وأصح وتتمشى مع مجريات الأحداث والمصادر الموثوقة ، لأن ابن الجوزي يذكر أن سبب قيام الخلافة العلوية في مكة والرملة يعود إلى تحريض الوزير أبي القاسم المغربي بعد قتل والده وعمه من قبل الحاكم عام ٤٠٠هـ ، فهل يعقل أن يقوم الوزير المغربي بالتحريض على الحاكم قبل أن يلي الخلافة عام ٣٨١هـ أو على الحاكم بعد عام ٣٨٦هـ سنة توليه الخلافة مع أن المصادر تشير إلى أن علاقة الوزير المغربي ووالده وعمه كانت حسنة بالحاكم في أيامه الأولى ، ثم ساءت فيما بعد حتى غضب عليهما وقتلهما عام ٤٠٠هـ كما تؤكده المصادر ، وابن الجوزي نفسه .

ثانياً: إن ابن الأثير يقول في حوادث سنة ٤١٤هـ(٢): أن حادثة إعلان الخلافة في الرملة قد حصلت عندما غضب الوزير أبو القاسم المغربي على الحاكم لقتله والده وعمه عام ٤٠٠هـ كما تؤكده المصادر الأخرى(٣) وهذا القول يرجح أن الخلافة قد أقيمت عام

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٧/ ٢٥٢ .

(٢) ابن الأثير: الكامل ٩/ ٣٣١ حوادث ٤١٤ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ / ١٧٧ .

٤٠١هـ بعد مقتل والد الوزير وعمه .

وهذا القول نفسه يتنافى مع ما أورده ابن الأثير في رواية أخرى ذكر فيها أن الخلافة أقيمت زمن الحاكم ولكن في حدود ٣٩٠هـ[1] أو قبلها وفي تلك الفترة كانت علاقة الوزير المغربي ووالده وعمه حسنة بالحاكم وآل بيته مما يستبعد ثورته عليه ويؤكد أن ثورته وإقامة الخلافة بعد عام ٤٠٠هـ عام مقتل الحاكم لوالد الوزير المغربي وعمه - أي في حدود ٤٠١هـ .

ثالثاً: وأما رواية ابن خلكان[2] القائلة بأن الخلافة العلوية في الرملة قد جاءت نتيجة لتحريض الوزير المغربي للثورة على الحاكم بأمر الله في مكة والرملة بعد قتل والده وعمه وأخويه في ٣ ذي القعدة عام ٤٠٠هـ لتؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الخلافة أقيمت في عام ٤٠١هـ أو بعده - أي بعد تاريخ عملية القتل الجماعي من قبل الحاكم لآل الوزير المغربي .

رابعاً: وقد نقل ابن كثير رواية ابن الجوزي القائلة بإعلان الخلافة عام ٣٨١هـ ، ثم نقل روايته الثانية القائلة بأن الخلافة أقيمت عام ٤٠١هـ كما مر بنا ، وهذا يثير الشك حول ما نقله من رواية ابن الجوزي الأولى ويؤكد الثانية لأنها أقرب إلى المنطق ، لأن ابن الجوزي وابن كثير يذكران أن الخلافة تمت بتحريض من الوزير أبي القاسم المغربي بعد قتل والده وعمه وأخويه والمعروف أن قتلهما تم أواخر عام ٤٠٠هـ مما يؤكد الخلافة بعد ذلك ويدعم رواية ابن الجوزي التي نقلها ابن كثير من أن الخلافة العلوية في الرملة قد أقيمت عام ٤٠١هـ .

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٩/ ١٢٢ - ١٢٣ .

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ١٧٧ مصدر سابق .

خامساً: وقد جاء فيما أورده الأنطاكي وابن ظافر فيما بعد أن الخلافة العلوية قد أقيمت في الرملة ومكة عام ٤٠١هـ كما مر فيما نقلاه .

سادساً: والخلاصة أن ما يتفق مع المنطق السليم بعد أن استعرضنا الروايات السابقة أن الخلافة قد أقيمت في مدينة الرملة على يد أبي الفتوح الحسن بن جعفر العلوي أمير مكة وبتحريض من أبي القاسم الوزير المغربي - وزير الحاكم بأمر الله الفاطمي وحسان بن مفرج الطائي عام ٤٠١هـ[١] .

ومما يرجح هذا أن الحاكم الفاطمي نفسه كان قد أرسل إلى مكة من فتح دار جعفر الصادق وصادر منها أشياء كثيرة مما جعل العلويين لا يحبذون خلافته بل واستنكروا أعماله ومن ثم مالوا إلى خلافة أبي الفتوح في مكة والرملة وغيرها عام ٤٠١هـ[٢] ، هذا علاوة عما ذكرناه سابقاً من مرسوم الحاكم بأمر الله الذي أمر أن يذاع من على منابر مكة وفيه طعن بالصحابة وأزواج الرسول ﷺ .

ويجب أن نشير هنا إلى أن أبا الفتوح الحسن بن جعفر خليفة مكة والرملة كان قد رفض طلباً للخلافة العباسية طالبته فيه بإقامة خطبتهم في مكة إلا أنه رفض وأعلن الخطبة للفاطميين في الحجاز[٣] ، فما الذي غيَّره يـ ترى !؟ .

---

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٧٧ - ١٩٧٨ يقول عام ٤٠٢هـ .
السخاوي : التحفة اللطيفة ١/ ٤٧٢ - ٤٧٣ ، يقول في حدود ٤٠٠هـ .

(٢) ابن الأثير: الكامل جـ/ ٩ حوادث عام ٤٠٠هـ .
احمد الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، الرياض ١٩٨١م ، ص٥١/٥٢ يقول الخلافة ٤٠٢هـ ، وقد نقل هذا عن ابن خلدون ٤/ ١٠١ طبعة بولاق ١٢٨٤هـ ، مصر .

(٣) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص٢٣٦ .

لعل الحسن قد تشجع بعدما أعلن أن الفاطميين يعودون بنسبهم إلى ميمون القداح اليهودي[1] واعتقد من هذا المنطلق أنه أحق منهم في الخلافة خاصة وأنه علوي أصيل أو أنه اندفع تحت تأثير المال الذي قدّمه له أغنياء مكة والجزيرة ، أم أنه استجاب لطموحه مستغلاً تحريض الوزير المغربي وحسّان بن المفرج بن الجراح الغاضبين على الحاكم بأمر الله والساعين إلى الإطاحة به ، أم أن هناك أسباباً نجهلها ربما تكشف عنها المصادر في المستقبل .

ج ـ قيام الخلافة في الرملة وفشلها:

بعد أن اقتنع أبو الفتوح الحسن بن جعفر أمير مكة بإمكانية الثورة قرر الدعوة لنفسه متشجعاً بتأييد أهل مكة وما وردها من حجاج عام ٤٠١هـ ، ومستغلاً تهيئة الظروف التي أعدها الوزير المغربي ، خاصة وأن هذا الوزير أفتى الحسن بإمكانية استغلال أموال البيت الحرام وما به من فضة وضربه دراهم وقد تشجع أهالي الجزيرة وأغنيؤها وتبرعوا له بالأموال حتى أن شخصاً من الأغنياء في جدة يدعى المطوعي قد توفى وعنده أموال للهند والصين فأوصى لأبي الفتوح بمئة ألف دينار ليصون بها تركته والودائع التي لديه ، وهنا أفتاه المغربي بإمكانية استغلال هذه الأموال والتركة نفسها في

= ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ١٦٤ ، ابن الأثير: الكامل: ٩/ ١٢٣ .
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ١٧٥ ، ويشير إلى أن الحسن قد لام المغربي على توريطه بعد أن رأى آل الجراح قد مالوا عنه لجهة الحاكم تحت إغراء الأموال وهذا أمر له من الوجاهة شيء كثير في تغيير وجهة نظر الحسن بن جعفر (أبو الفتوح) .

(١) صدر منشور يطعن في نسب الفاطميين في بغداد عام ٤٠٢هـ ويعيدهم إلى أصل ديصان الحزمي .
ابن الأثير: الكامل جـ/ ٩ حوادث ٤٠٢هـ .

سبيل إقامة خلافته[1] ، وتشجع أبو الفتوح عندما دعمته قبائل العرب من هذيل وجهات الجزيرة وأعلنت دعمها له والثورة ضد إجراءات الحاكم فيما يختص بالطعن في الصحابة ونساء الرسول ﷺ ، فأعلن نفسه خليفة وتلقب بالراشد في مكة[2] .

وقد لعب الوزير المغربي دوراً رئيسياً في سبيل إقامة هذه الخلافة فقد سعى لدى آل الجراح في الرملة والحسن في مكة وأقنع الطرفين بالثورة على الحاكم بأمر الله ولما هيأ الظروف أقنع الحسن بإعلان الخلافة في مكة فبايعه أهل الحرمين ، وبعد ذلك عاد الوزير المغربي إلى الرملة واجتمع بمفرج بن الجراح وبنيه حسان ومحمود وعلي وأخذ بيعتهم لأبي الفتوح الحسن .

ولما تمَّ له ما أراد اعتلى المنبر يوم الجمعة في الرملة وخطب الناس وكانت خطبته في مجملها مطاعن على الحاكم بأمر الله وأسلوبه في الحكم وسياسته في بناء الدولة ، وكان أول ما استفتح به وهو يشير إلى جهة مصر قوله تعالى : **﴿تِلْكَ آيـاتُ الْكِتـابِ الْمبينِ نَتْلُوا عَلَيْكَ من نَبَأ مُوسى وَفِرْعَوْنَ بالحقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُـونَ إنَّ فِرعَوْنَ عَلا في الأرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنهُم يُذَبِّـحُ أَبناءَهُم وَيَسْتَحيي نِسَاءَهُم إنَّهُ كَانَ مِنَ الـمُفسِدينَ وَنُريدُ أن نَمُنَّ عَلى الَّذينَ استُضْعِفُوا في الأرْضِ وَنَجعَلَهُم أَئِمَّةً وَنَجعَلَهُم الْوارِثينَ وَنُمكِّنَ لَهم في**

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ١٦٤/٧ ، احمدالزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ص٥١/ ٥٢ ونقل أن الخلافة أقيمت بمكة عام ٤٠٢هـ في آخره .
ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢/ ١٧٤ ، حاشية «٣» .

(٢) المصدران السابقان .
الأنطاكي (يحيى بن سعيد) : تاريخه ص٢٠١ ويشير إلى أن آل مفرج قد أقاموا دعوة أبي الفتوح وضربوا له السكة قبل قدومه الرملة .

الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنهُم مَا كَانُوا يَحذَرونَ﴾[1] .

وبعد أن اطمأن الوزير إلى أوضاع الرملة وأخذ البيعة من أهلها لأبي الفتوح عاد ثانية إلى مكة وأقنع أبا الفتوح بالمسير إلى الرملة ، فسار أبو الفتوح وسار معه جمع من الأعراب إلى الرملة وكان أينما حل يزداد جمعه حتى وصل الرملة ، ولما وصلها تلقاه المفرج وبنوه وترجلوا له وقبلوا الأرض ومشوا في ركابه ودخل الرملة بعد أن دانت له معظم الشام[2] .

ويصف ابن الجوزي دخوله الرملة راكباً فرسه ومتقلداً سيفاً زعم أنه سيف علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ (ذو الفقار) وفي يده قضيب ذكر أنه قضيب رسول الله ﷺ وحوله جماعة من بني عمه وبين يديه ألف عبد أسود[3] ، وما هذه إلّا لاعتقاده بأحقيته بالخلافة بل بأحقية علي وجماعته وآله بها قبل غيرهم .

وقد قام أبو الفتوح (الراشد) بعدة اجراءات في الرملة كان أهمها أنه نزل دار الإمارة بها وأنشأ كتاباً قريء على الناس بأن لا يقبِّل له أحدٌ جملة الأرض وأن هذا الشيء ينفرد به الله وحده ولا تجوز مشاركته من عاقل[4] ، وعلى العموم فقد نادى أبو الفتوح بإقامة العدل وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[5] .

د ـ موقف الحاكم من خلافة الرملة العلوية :

ولما عرف الحاكم بأمر الله بما حصل وأن هناك خلافة جديدة تقف ضد

---

(١) القصص ٢ ـ ٦ .

(٢) ابن ظافر: الدول المنقطعة ص٤٩ .

(٣) الأنطاكي (يحيى بن سعيد): تاريخه ص٢٠١ ، ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ١٦٤ . ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ١٧٤ حاشية «٣» .

(٤) يحيى بن سعيد الأنطاكي: تاريخه ص٢٠١ .

(٥) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ١٦٤ ، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ١٧٤ ـ ١٧٥ . دحلان (احمد زيني): خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ص١٧ .

خلافته وتطعن في شرعيتها وقد آلت إليها بلاد الحجاز والشام وساندتها قبائل العـرب انزعج أشد الانزعاج ولجأ إلى أسلوب الملاينة والملاطفة مع آل الجراح في الرملة لأنهم قادرون على افشال هذه الخلافة بمقدار قدرتهم على تشجيعها وإقامتها ، فأرسل إليهم بالأموال شرط تركهم أبي الفتوح ، وبعد مناقشات طويلة مال آل الجراح إلى الأموال وقيل إنه بذل لهم (لحسان ومحمود وعلي) ٥٠ ألف دينار لكل منهم سوى الهدايا والثياب والحظايا مما جعلهم يحجمون عن تشجيع الخلافة الجديدة بل ووقفوا أمامها[١] ، ويشير ابن ظافر[٢] في أحد رواياته أن الحاكم بأمر الله أرسل الجيوش إلى الرملة لتخضعها بقيادة ياروخ تكين إلا أن حسان استطاع أن يقف أمام ياروخ تكين عند رفح والداروم وأسره وقتله أخيراً ، ثم يضيف إلى أن الحاكم لاطف آل الجـراح ، وهـذه الـروايات فيها نوع من التضارب فكيف يعامله الحاكم بالقسوة ويعامله باللطف بعدها ويبذل له الأموال ، وقضية كهذه معالجتها باللطف أفضل كما أشار ابن الجوزي وغيره[٣] ، ثم إن ابن سعيد الانطاكي يشير إلى أن قتل ياروخ تكين كان من قبل حسان وأبيه قبل الخطبة لأبي الفتوح ويجعل قتل ياروخ تكين سبباً في الخطبة لأبي الفتوح إذ يقول : في هذا العام ٤٠١هـ أمَّر الحاكم ياروخ على الشام ولقبه أمير الأمراء ، ومعه زوجته بنت يعقوب بن كلس الوزير الفاطمي إلا أن المفرج وأولاده اعترضوه في ظاهر غزه وهزموه وأسروه وقتلوه أخيراً فلما أرسل إليهم الحاكم يستعتبهم كانـوا قد استـولوا على الرملة وأقاموا الخطبة لأبي الفتوح[٤] ، إذن إرسال

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٧/ ١٦٤ .
ابن ظافر: الدول المنقطعة ص٤٩ ، ابن الأثير: الكامل ٩/ ١٢٣ ، ٣٣٢ دون تفصيل في الهدايا ، دحلان: المرجع السابق ص١٧ .
(٢) ابن ظافر: مصدر سابق ص٤٩ / ٥٠ .
(٣) ابن الجوزي : المصدر السابق نفسه .
(٤) الأنطاكي (يحيى بن سعيد) : تاريخه ص٢٠١ .

ياروخ ومقتله سبب عند ابن سعيد لإقامة الخلافة في الرملة في حين أن ارسال ياروخ وقتله نتيجة عند ابن ظافر لإقامة الخلافة العلوية في الرملة ، ولكن ابن الأثير[1] ينفي حكاية ياروخ تكين في هذه الأثناء فيشير إلى أن إرسال ياروخ تكين قد تمَّ عام ٣٨٦هـ ولنفس السبب الذي تقدم به ابن سعيد من قبل .

والمهم أن الحاكم بأمر الله استطاع أن يعالج مشكلة الخلافة الجديدة ونجح في مسعاه عندما اتفق مع آل الجراح على خيانة صاحبهم مقابل عدد من الدنانير ويبدو أن الحاكم عرف من خلال تعامله مع آل الجراح أنهم أصحاب نهب وغزو أكثر منهم طلاب حكم فاتبع معهم الإسلوب الذي يرضون عنه في تعامله معهم فبذل لهم الأموال[2] ، ومن يتمعن في الأمر أكثر يلاحظ أن آل الجراح عموماً كانوا يسعون إلى تثبيت ملكهم في فلسطين ولكنهم شعروا أنهم أمام الخليفة الجديد الذي لم يطعن المسلمون في نسبه أضعف منهم أمام الخليفة الفاطمي المطعون في نسبه عند المسلمين الأمر الذي جعلهم يميلون إلى جانب الحاكم بأمر الله ، ثم أن قبولهم بالخلافة الجديدة في الرملة ليستغلوها إلى جانبهم في تثبيت ملكهم وأنهم لا يريدون خلافة تحظى بتأييد جماهير المسلمين في الأماكن المقدسة والاَّ فكيف يتصرفون إزاءها ؟

ولم يكتف الحاكم بإجراءاته في الرملة بل أرسل إلى مكة إلى ابن عم

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٩/ ١٢٢ .

(٢) احمد عمر الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ص٥٤/٥٥ ، ويذكر أن الحاكم أكرم آل الجراح جميعهم المفرج وحسان وعلي ومحمود وحقق جميع مطالب حسان فقد أرسل هذا والدته إلى الحاكم تطلب أشياء من جملتها جارية من إماء القصر فأجابه الحاكم إلى كل ما سأله وكتب إليه أمانا بخط يده وأهداه جارية ومبلغاً من المال ، انظر أيضاً:
أبو شجاع الروذراوري : ذيل تجارب الأمم ٢/ ٢٣٨ .
ابن ظافر: الدول المنقطعة ص٥٨ .

أبي الفتوح فولاه الحرمين وأنفذ له ولشيوخ بني حسن مالاً وهدايا في محاولة للتأثير على أبي الفتوح[1] .

وفي الواقع لما شعر أبو الفتوح بأن بني الجراح قد مالوا عنه وإن أمواله قد نفذت ، حزن وذهب إلى الوزير المغربي وكان بصحبته وقال له : «أنت أوقعتني فخلصني ، فركب معه إلى مفرج وأخبراه بخبر أولاده فقال لهما : وما تريدان مني ؟ فقال له العلوي : إن لي عليك حق وأود أن تجازيني عليه بأن تبعث معي من يوصلني إلى مكة ولا تحوجني أن أركب فرسي المسن وأهرب بنفسي فتتخطفني العرب ، فضمن له مفرج ذلك وبعث معه جماعة من طي حتى بلغ مكة»[2] .

ثم سلك المفرج بن الجراح نفس السلوك مع الوزير المغربي وأرسل معه من أوصله إلى أرض العراق سالماً ولم يصب بأذى ، ثم إن أبا الفتوح عندما عاد إلى مكة أرسل يعتذر للحاكم فقبل عذره وعفى عنه وأقام أبو الفتوح دعوة الحاكم في الحجاز من جديد[3] .

وأما بنوا الجراح فقد دخلوا بدورهم في طاعة الحاكم بأمر الله من جديد وأعادوا له الخطبة ولكن الحاكم ظل يعاملهم بحذر ويوقع بهم كلما سنحت

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٧/ ١٦٤ .

(٢) الأنطاكي (يحيى بن سعيد): تاريخه ص٢٠١ ويقول أرسل معه غلاماً أوصله إلى مكة يعرف بأبي القول .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ٧/ ١٦٥ ويروي القصة أن أبا الفتوح ذهب لفرج وقال له: إنما فارقت نعمتي وأبديت للعزيز صفحتي سكونا إلى ذمامك وأنا الآن خائف من غدر حسان ، فأبلغني مأمني وسيّرني إلى وطني فرده إلى مكة وكاتب العزيز واعتذر إليه فعذره . ابن خلكان : وفيات الأعيان ص٧٤/ ١٧٥ حاشية «٣» ، في رواية تحمل نفس المعنى الذي أشار به ابن ظافر .

(٣) المصادر السابقة نفسها .



له الفرصة كما سنذكره فيما بعد .

والمهم أن الحاكم واجه هذا التطور الخطير الذي طرأ في الحجاز والشام والذي كاد يعصف به وبخلافته بكل برود وهدوء واستمال آل الجراح مقابل حفنة من الدنانير والهدايا والثياب وأعاد أبا الفتوح تابعاً له في مكة وانقشعت تلك السحابة التي طالما هددته بالغرق(١) ، وظل أبو الفتوح وفياً للفاطميين طيلة حياته(٢) .

هـ ـ وضع آل الجراح بعد ذلك :

وظل بنوا الجراح هم الغالبون على شؤون فلسطين والرملة حتى عام ٤٠٤هـ وعظمت مصادرتهم للناس وتعسفوا في معاملتهم فهرب قسم من النصارى من فلسطين إلى بلاد الروم ـ أنطاكيا واللاذقية ـ وقطنوهما(٣) وفي هذا العام توفي المفرج بن دغفل الذي استطاع بسط سيطرته على الرملة القدس(٤) .

وليست هذه هي مجمل سياسة آل الجراح ضد المسيحيين في المنطقة ، بل تشير المصادر إلى أن آل الجراح قد مالوا إلى استرضاء المسيحيين على حساب الحاكم الذي أمر بهدم كنيستهم وألزم مفرج النصارى ببنيان كنيسة القيامة في القدس(٥) ، وفي نفس الوقت لجأ آل

(١) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ٢٣٨ ، ابن خلدون : العبر ٤/٥٧ ، ويصر على أن الخلافة أقيمت عام ٣٨١هـ .

(٢) المصدران السابقان .

(٣) الأنطاكي (يحيى بن سعيد) : تاريخه ص٢٠١ ـ ٢٠٢ .

(٤) الأنطاكي (يحيى بن سعيد) : تاريخه ص٢٠٧ ، أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص٢٣٩ ، الدباغ : بلادنا فلسطين جـ/١ ق/٢ ص٣٩٣ .

(٥) الأنطاكي (يحيى بن سعيد) : المصدر السابق ص١٩٥/ ١٩٦ ، ٢٠١ مع أنه ذكر اضطهاد آل الجراح للنصارى حتى اضطروهم للهرب من الشام .

الجراح إلى التقرب من الإمبراطور البيزنطي[1] ولكن الفاطميين لم يتركوهم أحراراً في هذا السبيل ، فقد أرسلوا إليهم الجيوش بقيادة علي بن جعفر بن فلاح الكتامي فقصدت هذه الجيوش الرملة وتقابلت مع حسان لأن والده كان قد توفي وهزمته ووصلت دمشق ودخلتها[2] .

وقد عامل الجيش الفاطمي حسان بن مفرج زعيم الرملة وفلسطين معاملة سيئة جداً وصادر أمواله فاضطر للهرب ، وفي نفس الوقت أرسل والدته إلى شقيقة الحاكم بأمر الله ، ست الملك ، تطلب الشفاعة لولدها فتدخلت ست الملك لدى شقيقها واستطاعت أن تؤثر عليه ويصدر أمراً بالعفو عن حسان وسمح له بالعودة إلى قاعدته في الرملة[3] .

وبعد ذلك ركن حسان في الرملة إلى الهدوء والسكينة ولم يحاول اثارة القلاقل في وجه الحكم الفاطمي بل بالعكس انضم إلى الجيش الفاطمي المتجه إلى محاربة حلب وحصارها عام ٤٠٦ هـ عندما طلب منه الحاكم بأمر الله تقديم العون والمساعدة[4] .

وهذا يدلنا على أن آل الجراح قد ضعفت شوكتهم وتقلصت سلطتهم السياسية طيلة ما تبقى من عهد الحاكم ، وفي المقابل قوي النفوذ الفاطمي في الرملة وبلاد الشام .

ولما توفي الحاكم بأمر الله الفاطمي عام ٤١١هـ ، اعتلى عرش الفاطميين ولده الظاهر فخرج عليه حسان بن مفرج أمير عرب جنوب فلسطين وأقوى شخصية في المنطقة الفلسطينية واستولى على أراضٍ

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٧/ ٢٣٩ ، المعاضيدي : الحياة السياسية في بلاد الشام ص٥٩ .

(٢) سرور: سياسة الفاطميين الخارجية ص١٤١ ، المعاضيدي : المرجع السابق نفسه .

(٣) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص٢٣٩ ، المعاضيدي : المرجع السابق نفسه .

(٤) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص٢٣٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ١/ ٢١٥ .

واسعة من فلسطين وغيرها ، وخرج في نفس الوقت صالح بن مرداس الكلابي زعيم حلب ، وبذا تأثر حكم الظاهر في بلاد الشام كثيراً وبدا وكأن الأمور قد أفلت زمامها من يديه[1] .

ويصور لنا المسبحي[2] تطورات الوضع في الرملة وجهاتها عام ٤١٤ ـ ٤١٥هـ تصويراً حقيقياً يكشف لنا عن تحركات حسان بن الجراح في خلافة الظاهر آنذاك ، فقد نال هذا ثقة الظاهر وخلع عليه الظاهر وعلى أولاده الخلع من العمائم والأثواب المذهبة والخيول المسرجة .

ويبدو أن سلطة حسان بن الجراح قد زادت وسيطر على عدة أماكن جنوب فلسطين حتى أن بعض بني الجراح اشترك مع أحد رجال الفاطميين الطامعين في زيادة أملاكهم جنوب الشام والمدعو عبدالله بن ادريس في نهب إيلة ، ويبدو أن ابن ادريس قد طلب من حسان بن الجراح التوسط لدى الظاهر ليقطعه وادي القرى فلما رفض الظاهر طلب حسان،أقدم عبدالله بن ادريس على مهاجمة إيلة ونهبها واشترك معه احد بني الجراح ، وهنا اضطر الظاهر أن يرسل قائده علي بن نجا لتدبر الأمر هناك[3] .

ولكن عبدالله بن ادريس لم يكتف بما قام به من نهب إيلة وجهاتها بل أقدم على نهب العريش[4]، ويبدو أنه لم يحصل على موافقة حسان بن الجراح الصريحة على ما قام به من أعمال ، الأمر الذي دفعه إلى اعتقال

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٩/ ٢٣٠ ، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/ ٤٠٧ ، ابن خلدون: العبر ٤/٦١ ، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٤/ ٢٤٨ حوادث ٤١١ ، المقريزي: الخطط ١/ ٣٥٤ .

(٢) المسبحي : أخبار مصر في سنتين ص٢١ .

(٣) المسبحي : أخبار مصر ٥٦/٥٧ .

(٤) المسبحي : أخبار مصر ص١٦٥ .

أولاد الجراح في جهات العريش نكاية بحسان ، ولأنه لم يقدم له العون المطلوب .

وفي رجب عام ٤١٥هـ جرى تنصيب نصرالله بن نزال على ولاية الرملة فارتاح الظاهر ورجال دولته لأنهم أعجز من أن يرسلوا الجيوش في فصل الشتاء الذي حل آنذاك ، ولعل هذا التنصيب كان بمباركة حسان بن الجراح وآله ليستطيع أن يحقق له مكاسب من وراء ذلك وهذا ما ثبت بعد ذلك .

ففي الثامن والعشرين من نفس الشهر وردت الأخبار إلى الظاهر أن ما تم في جهات الرملة من تعيين نصرالله بن نزال استغله حسان بن مفرج لصالحه حيث كان يهدف من ورائه إلى موادعة الظاهر على سبيل الحيلة والخديعة وتخليص رجاله الذين أسرهم الدزبري القائد الفاطمي في أحد جولاته العسكرية ضد آل الجراح ، فقد احضر سجلاً بخط الدبيكي كاتب الظاهر وعليه ختمه يعلن فيه لابن الجراح أن أسر رجاله أبو الفول والأنصاري ما هو إلا بتصرف الدزبري الخاص ودون علمه ويعتذر إليه عن ذلك بمحاولة لكسبه إلى جانبه[1] .

وحاول حسان استغلال هذا لصالحه فجمع عساكر الظاهر في الرملة وأعلمهم بما أرسله الظاهر إليه وأخبرهم بأن عليهم أن يذهبوا إلى عسقلان لتخليص رجاله من الاعتقال وإلا فإنه سيهدم عسقلان حجراً حجراً ، فذهب الوفد من الرملة إلى عسقلان وأخبر رجالها أن حساناً قد دخل في الطاعة وعليهم تسليم رجاله المعتقلين لديهم فتم لهم ذلك[2] .

ولكن حسان بن الجراح لم يكن صادق الوعد فيما أقدم عليه ، بل كان

---

(١) المسبحي : أخبار مصر في سنتين ص١٦٦ .

(٢) المصدر السابق نفسه ص ١٦٧ .

يهدف إلى تخليص رجاله المعتقلين في عسقلان والدليل أنه حالما وصل إليه الأنصـاري وأبو الفول عمد إلى قتل ٧٠ رجلاً من عسكر الظاهر في الرملة بالإضافة إلى طائفة من الحمدانية والغلمان وغيرهم وعمد كذلك إلى النهب والسلب وأحـرق حوانيت الـرملة والآدر حتى جعلهـا دكا ، وسبى النسـاء والولدان وصادر الأموال من كبار الشخصيات وكذلك نهب رجال القدس الأغنياء كما فعل في الرملة وظلت النيران مشتعلة في الرملة مدة طويلة[١] ، وقد أصاب السكان في مصر ذعر شديد من أعمال حسان بن الجراح وكان خبر إرسال حسان سرية لجهات العريش كافٍ لترك سكان القرافة لمنازلهم في مصر[٢] .

ولكن الـظاهر رغم كل ذلك لم يكن في استطاعته الوقوف في وجه حسـان بن الجراح فأرسل إليه مع بديع الصقلي رسائل تهدف إلى كسبه لجانبه ويعتب عليه لتصرفه هذا وأنه لا يزال يثق به[٣] .

وهنا أراد حسان أن يستوثق من كتابات الظاهر إليه فأرسل أخاه إلى القاهرة في شعبان ٤١٥هـ ليجس نبض الظاهر وليطلع على حقيقة الأمر ، وقد صادف هذا الأخ الترحاب والإكرام من الظاهر ورجاله وخلع عليه وقدم له الهدايا من الثياب والخيول والأموال وَقُلد سيفاً ومنطقة ذهب ، وضمن له العودة إلى الرملة مع عساكره[٤] .

وكان رجال الظاهر غير راضين عن أفعال حسان بن جراح في الرملة وقد حرَّضوا الظاهر على قتاله وعليه أن لا يهادنه ولا يلجأ إلى ملاطفته ،

---

(١) المسبحي : أخبار مصر في سنتين ١٦٧ ، يحيى بن سعيد (الأنطاكي : تاريخه ص٢٤٤) .
(٢) المصدر السابق ص ١٦٨ .
(٣) المسبحي : أخبار مصر ص ١٦٨ .
(٤) المصدر السابق ص ١٧١ .

ولكن الظاهر لم يستجب لطلباتهم ، وفي هذه الأثناء جاءت الأخبار بأن سنان بن البنا صمصام الدولة قد تحالف مع صالح بن مرداس على حرب دمشق وعساكر الفاطميين وأنهم ضايقوا البلد ونهبوا وسبوا وأن حسان بن الجراح قد أمدهم بالمعونة العسكرية وأرسل إليهم الجنود وأن هذه النجدة قد ساعدتهم في عملية الحصار واستطاع سنان بواسطتها أن يفرض شروطه على دمشق ويقيم معهم الصلح مقابل ٣٠ ألف دينار معجله ومثلها مؤجله وطابت نفوس البلد ولكن هذا لم يتم إلا بعد حروب شرسة بين الطرفين فيما بعد(١) .

ولكن حسان بن الجراح لم يكن يقصد أن يصانع سناناً أهل دمشق وعساكر الظاهر بل كان يود أن يفرض سنانٌ سيطرته على دمشق ويطبق العرب على بلاد الشام ويطردوا عساكر الفاطميين عنها بدليل أنه أرسل إليه لما سمع بعرض الصلح مع دمشق يوبخه على عمله ويحرضه على القتال وأنه على استعداد ليمده بما يطلبه من مساعدة(٢) . وفي نفس الوقت أرسل حسان بن مفرج إلى الظاهر مستغلاً اضطراب أمور الشام كلها جنوبه وشماله يطلب منه ولاية القدس ونابلس إلى اقطاعه في الرملة وجهاتها مقابل أن يقلع عن القتال في بلاد الشام ولكن الظاهر لم يوافق إلا على اقطاعه نابلس وقدم الخلع والهدايا له ولرجاله(٣) .

ويجب أن نعرف أن حساناً لم يكن يثق بالفاطميين رغم كل ما حصل فإنه كان يراسل محسن بن بدوس رئيس الخزانة في القاهرة ويحرضه على الإطاحة بالظاهر مما كان نتيجته أن اكتشف هذا الأمر وأعدم محسن بن

(١) المسبحي : المصدر السابق ص ١٧٢ ـ ١٧٤ .
(٢) المصدر السابق ص ١٧٥ .
(٣) المسبحي : أخبار مصر ص ١٧٥ .

بدوس في شعبان سنة ٤١٥هـ[1] ، وكانت العلاقات الفاطمية مع آل الجراح تمتاز بنوع من الخصوصية والحذر ويشوبها شيء من الخوف والرغبة في تحسينها باستمرار ، وانسجاماً مع هذا الأمر لم يغضب الظاهر كثيراً ، بل لجأ إلى الأنعام على آل الجراح المقيمين في مصر آنذاك والخيول المسرجة واللجم المصفحة مما يدل على احترامهم وتقديرهم أمام الناس ولعله قصد من وراء ذلك إلى ادخال الطمأنينة إلى قلب حسان ودعوته للإقلاع عن اثارة الفوضى في بلاد الشام[2] .

وقد لجأ حسان إلى ما يشبه هذه السياسة فقد أرسل إلى الظاهر جواباً أعلن فيه أنه سيكفي الظاهر أمر الشام وأنه ليس بحاجة إلى والٍ فاطمي ليوفر الأموال على الدولة وطمأنه بأن أمور دمشق قد سويت مع سنان بن البنا وأن صالح بن مرداس سيدبر أمر حلب ، ولم يستطع الظاهر أن يرد على رسالة حسّان وأجاب رسوله بغضب ليس لك عندنا جوابَ[3] ، ويستدل من هذا الرد المقتضب أن الظاهر كان في غاية الحزن والأسى عما حصل في الشام وأنه في سبيل تدبر الأمر ، ومما زاد الأمور سوءاً أن بني الجراح المقيمين في مصر قد هربوا بما خلع عليهم من الهدايا والذهب إلى أخيهم حسان بعد أن تركوا أخاً لهم مريضاً في القاهرة[4] ، وهذا جعل الظاهر يعتقد بأن حساناً لن يسكت ، بل سيبقى مصدر قلق وعامل شغب في بلاد الشام .

وقد صدق ما اعتقده الظاهر فإن حساناً بن الجراح لم يكن يقصد سوى الاستقلال في جنوب الشام ، بل ذهب إلى أكثر من هذا في تطلعاته وكان

---

(١) المصدر السابق ص ١٧٧ .
(٢) المصدر السابق نفسه ص ١٨١ .
(٣) المصدر السابق ص ١٨٣ .
(٤) المصدر السابق نفسه ص ١٨٤ .

يود أن يرى العرب يسيطرون على الشام جميعه هو في فلسطين وسنان بن البنا في دمشق وصالح بن مرداس في حلب وهذا يفسر لنا إقدامه في نفس العام على إقامة حلف عربي معهم ، والدليل أن حساناً قد لجأ إلى محاربة أصحاب الدزبري في جهات عسقلان وقد أشرف جنود الدزبري على الهلاك[1] لقلة الغذاء وارتفاع الأسعار ، وفي نفس الوقت استمر حسان يحيك المؤامرات ضد القاهرة فقد كشف النقاب عن مؤامرة يديرها حسان مع بني قرة في جهات البحيرة في مصر ليساندوه في دعوته ضد القاهرة والخلاص منه ويمنيهم بتحسين أحوالهم ويذكرهم بالعهود السابقة معهم ، الأمر الذي أسفر عنه اعتقال رسول حسان الذي يشرف على تدبير المؤامرة في الجيزة آنذاك في شوال ٤١٥هـ[2] .

(١) المسبحي : أخبار مصر ص ١٨٧ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٨ .



حروب حسان بن الجراح والدزبري وزوال نفوذ آل الجراح :

شهد عام ٤١٥هـ قتالاً جرى بين حسان بن مفرج بن الجراح والدزبري قائد الفاطميين في الشام الذي سار من عسقلان واستطاع أن يوقع بحلل حسان بن الجراح وكان هذا القائد قد حقد على العرب جميعاً وكان يوصي رجاله بأن لا ينهبوا شيئاً إلا بعد أن يتمادوا في القتل لكل من يجدوه دون تمييز بين كبير وصغير وذكر وأنثى وقيل إنه استطاع أن يوقع بأحد مراكز حسان ويقتل الألوف وينهب النساء العربيات وقتل من وجده من الكتاب والجهابذة المستخدمين على استخراج أموال البلد وأرسل يطلب نجدة الظاهر ويعلمه أنه صلى العيد في الرملة وانتقل إلى لد وقتل من ولد أبي الفول صاحب حسان بن الجراح وعلى العموم لم يفلت من يده شخص يعتقد أنه عون لحسان وجماعته(١) ، وهكذا ساءت العلاقات بدرجة مكشوفة بين حسان والظاهر الفاطمي ، ولم يعد حسان يهمه الاّ أخذ الثار وبأي اسلوب يتيسر .

جمع حسان رجاله وحرَّض العرب على مساندته ليثأر لشرفهم الذي دنّسه الدزبري باعتدائه على أموالهم وعرضهم ورجالهم ودخل الرملة متحدياً الدزبري والظاهر ، وهنا خاف الدزبري ورجع عن لد والرملة مسرعاً إلى قاعدته في عسقلان لقربها من البحر حتى يتسنى له استقبال النجدات الفاطمية بحراً(٢) ولكن حساناً لجأ إلى معاقبة من كانوا عينا عليه للدزبري وأوقع بكل من تعامل

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٤/ ٢٠٥ .

*** منتخب الدولة الدزبري كان يتولى قيسارية للفاطميين وفي عام ٤١٤هـ ولاه الظاهر أمر فلسطين جميعها فكان لا بد من أن يقابل حساناً بن المفرج في حروب كثيرة ، انظر المقريزي : الخطط ١/ ٣٥٤ ويقول عنه ابن القلانسي التزبري نسبة إلى القائد الذي اشتراه تزبرين الديلمي سنة ٤٠٠هـ عندما ورد من وراء النهر ، انظر النجوم الزاهرة ٤/ ٢٥٢ حوادث ٤٢٠هـ .

(٢) المسبحي : أخبار مصر ص ٢١١ .

مع الدزبري ضد رجاله وأزال أي أثر لعدوانه[1] .

ولم يسكت الدزبري عن أعمال حسان بل اجتمع بدوره مع والي القدس الفاطمي مبارك الدولة فتح ومع فتاح بن بويه الكتامي واستطاع أن يوقع باتباع حسان بل ويقتل ولداً لعلي بن مفرج شقيق حسان[2] .

وشهد عام ٤١٥هـ حرباً أخرى بين الدزبري وحسان إذ تشجع الدزبري بمرض حسان بن مفرج والذي اشفى منه على الموت وهاجمه وكان في جهات نابلس في رجب من هذا العام ولكن حساناً كان قد شفي ولما عرف بتقدم الدزبري استعد له وجمع حوالي ثلاثة آلاف من رجاله الأشداء وهزم الدزبري الذي عاد إلى الرملة وحسان في أثره وكانت الوقعة على باب الرملة واستمرت ثلاثة أيام بلياليها ودحره وعاث فساداً في جهات طبريه وعكا وغيرها ليعلن للدزبري والظاهر أنه لا يزال قوة قادرة على التأثير في مجريات الأحداث[3]، ثم إن حساناً بن الجراح بات مقتنعاً أكثر من أي وقت مضى بضرورة الاتحاد مع سنان بن البنا وصالح بن مرداس في حلف قوي يستطيع مقارعة الدزبري والظاهر إلى النهاية فاضطر الدزبري إلى طلب النجدة من مصر لكنها لم تحضر[4]، وكانت شروط الحلف الثلاثي تقضي بـ[5]:

أولاً : أن تكون المنطقة من حلب إلى عانه لصالح بن مرداس .

ثانياً: المنطقة من الرملة إلى مصر لحسان بن الجراح .

ثالثاً: المنطقة التابعة لدمشق وضواحيها تكون لسنان بن البنا بن عليان .

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٢١١ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٧ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٤٧ .

(٥) المسبحي : المصدر السابق نفسه .

سهيل زكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ص٧٠ .

وسـار أفـراد هذا الحلف وفق سياسة تقضي بالإطاحة بالحكم الفاطمي وإعادة الحكم العربي إليها ولتحقيق هذا لا بد من التعاون مع البيزنطيين القوة الأخـرى في بلاد الشـرق الأدنى التي يحسب حسـابهـا ، فجـرى الاتصـال بالامبراطور البيزنطي لعقد حلف معه[١] ولكن الامبراطور لم يلتفت إلى طلباتهم واعتبرهم خوارج على الفاطميين[٢] .

ويعود سبب رفض الامبراطور التعاون مع أقطاب الحلف الثلاثي إلى أن علاقات البيزنطيين بالفاطميين كانت حسنة منذ أيام العزيز الفاطمي والذي عقد صلحاً معهم ضمن شروط فرضها العزيز تقضي بإطلاق سراح أسرى المسلمين والدعاء للخليفة الفاطمي بجامع القسطنطينية بعد اعادة بنائه وأن يقدم الروم الأمتعة المطلوبة ، ويكون أمد الصلح سبع سنوات[٣] ، ثم إن الخليفة الحاكم قد حرص على أن تسود علاقته بالبيزنطيين روح التفاهم وتوصل معهم إلى صلح لمدة عشر سنوات ، ثم استمر الظاهر في صلحه معهم على نفس النهج[٤] ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ربما اعتقد الامبراطور البيزنطي أن هذا الحلف سوف لن يكتب له النجاح ولن يستطيع الوقوف في وجه الفاطميين أو ربما تأكد لديه أنه سوف لن يحقق له مكاسب وسط الجو المتلبد بالغيوم في بلاد الشام فما دام العرب قد تجمعوا ضد الفاطميين فلا مانع يحول دون استمرار تجمعهم ضد قواته فأقلع عن فكرة التدخل بين المتصارعين .

والمهم أن الـظاهر بإمكاناته المادية والمعنوية آنذاك لم يشأ أن يسير في

---

(١) ابن الأثير: الكامل حوادث عام ٤١٤هـ جـ/٩ وليس عام ٤١٥هـ ص٢٣٠ .
ابن العديم : زبدة الحلب ١/ ٢٢٣ .
المعاضيدي : السياسة الخارجية ص٤٧ .

(٢) يحيى بن سعيد الأنطاكي : تاريخه ص ٢٤٤/ ٢٤٥ ، المعاضيدي : المرجع السابق نفسه ص٦٠ .

(٣) حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام ٣/ ٢٣٩ .

(٤) المرجع السابق نفسه ٣ ص ٢٣٩ .

طريق العداء المكشوف مع هؤلاء خاصة مع حسان بن جراح فعمل على اعادة ثقته به ، وتقرب إليه أكثر من ذي قبل[1] .

ولكن حسان بن الجراح كان قد استوحش من الظاهر فعاد وأكد حلفه مع صالح بن مرداس وسنان بن عليان وكان قد صاهر سناناً وزوجه أخته واجتمعوا في فلسطين الأمر الذي جعل الظاهر يرسل الجيش بقيادة أنوشتكين الدزبري لقتالهم[2] .

والتقى الدزبري بحسان بن جراح ولكنه هزم وعندها اشتد ساعد حسان وقرر أن يستمر في القتال حتى يخرج الدزبري وجيشه من الشام وأرسل إلى صالح بن مرداس بالحضور لنجدته فحضر كما أرسل إلى قسطنطين صاحب أنطاكيا يستنجده بدوره فأرسل إليه ٣٠٠ رجل تقوى بهم[3] ، ثم اقتضت الظروف المتجددة في شمال الشام عودة صالح بن مرداس إلى حلب فعاد .

واستمر حسان في قتال الدزبري عام ٤١٦هـ واستطاع أن يتفوق عليه ودخل الرملة عام ٤١٧هـ ، واستطاع كذلك أركان الحلف تحقيق مكاسب كبيرة في بلاد الشام على الفاطميين وظهر العرب على أنهم طلاب وحدة في وجه الدولة الفاطمية آنذاك في بلاد الشام[4] .

وبحلول عام ٤٢٠هـ ظهر وكأن الحلف قد تفسخ ولما يمضي على اقامته سوى خمس سنوات فقد توفي سنان بن عليان عام ٤١٩هـ[5] ، وانحاز أحد

(١) الأنطاكي : تاريخه ص ٢٤٥ ، ويقول : «فاستصلحهم الظاهر حينئذ» .
(٢) المصدر السابق نفسه ص ٢٤٥ / ٢٤٦ .
(٣) يحيى بن سعيد الأنطاكي : تاريخه ص ٢٤٦ .
(٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٣ .
ابن العديم : زبدة الحلب ١ / ٢٢٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ / ٢٤٨ - ٢٦٨ ، المعاضيدي : السياسة الخارجية ص٦٠ .
(٥) يحيى بن سعيد الأنطاكي : تاريخه ص ٢٥٣ مات في جمادى الثانية عام ٤١٩هـ .

أحفاده إلى جانب الفاطميين وبقي صالح بن مرداس وحسان بن المفرج وكان عليهما أن يتصديا إلى القوات الفاطمية بقيادة الدزبري فتم اللقاء في الأقحوانة على نهـر الاردن قرب طبرية وانتهى هذا اللقاء بهزيمة ساحقة حلت بأعضاء الحلف العربي وقتل أحد أقطابه صالح بن مرداس وولده الأكبر ، بينما نجا ولده الأصغر نصر الذي عاد مسرعاً إلى حلب[١] ، حيث سيطر على الموقف بعد موت والده وأخيه الأكبر ولم يزل على حلب حتى عام ٤٢٩هـ حيث هزمه أنوشتكين بعد ذلك وقتله عام ٤٣٠هـ[٢] .

وبعد هذه الهزيمة لم يسكت حسان بل جمع ما قدر عليه من قوات واتجه صوب الامبراطور البيزنطي يطلب حمايته الآن بعد أن طلب عونه فيما مضى فاستقبله الامبـراطـور البيزنـطي بالحفاوة واستعان به حتى أنه خرج مقاتلاً مع القوات البيزنطية عام ٤٢١هـ وكان له فضل الاستيلاء على أفامية[٣] .

وورد في تاريخ ابن سعيد الأنطاكي[٤] أن اتصال حسان بن الجراح بانطاكيا كان عام ٤٢٢هـ ثم أشـار إلى وقـوع معـركة فاصلة بين الدزبري وحسان بن الجـراح في نفس العام أسفرت عن هزيمة ساحقة لحسان بن الجراح ونهبت

---

(١) الأنـطاكي (يحيى بن سعيد): تاريخـه ص ٢٥٣ ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٧٣-٧٤ ، ابن ظافـر: الـدول المنقطعة ٦٣-٦٤ ، ابن الأثير: الكامل ٩/ ٣٦٩ ، ٣٩٢ ، ابن العديم: زبدة الحلب ١/ ٢٣١ ، ٢٥٠ - ٢٥٢ ، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤/ ٢٥٢ - ٢٥٣ ، ٥/ ٣٤ .

(٢) ابن ظافر: الدول المنقطعة ص٦٤ .
ابن الأثير: الكامل ٩/ ٢٣١ يقول: قتل نصر عام ٤٢٩ لا عام ٤٣٠هـ ، ابن خلدون ٤/ ٦١ .

(٣) ابن الأثير: الكـامـل ٩/ ٤٢٠ ، أبو الفداء : المختصر ٢/ ١٤١ ، ويقول ابن الأثير احتلال أفامية ٤٢٢هـ .

(٤) يحيى بن سعيد الأنطاكي : تاريخه ص ٢٦١ ، مرجع سابق .

أمواله واضطر إلى الهرب إلى البرية ودخل آل الجراح بعدها وآل رافع إلى بلاد الروم جهات أنطاكيا .

وهكذا زال نفوذ بني الجراح وتميز تاريخهم بالفتن والاضطرابات فحاربهم الفاطميون مراراً واستمالوهم أحياناً أخرى ، كما استطاع البيزنطيون الاستعانة بهم لتحقيق أهدافهم شمال الشام ، أي أن هؤلاء سلكوا مسلكاً متقلباً يتفق وميولهم في اقامة ملك لهم جنوب الشام في الرملة ونواحيها فكانوا لا يتورعون عن سلوك الصعاب في سبيل ذلك(١) ، وقد حاولوا تجميع القوات العربية وسلخ بلاد الشام عن السيادة الفاطمية ولكنهم فشلوا بسبب سلوكهم غير الودي اتجاه شعب المنطقة وقبائلها ، ثم إن هذه القبائل بما فيها آل الجراح من العرب القاطنين الشام لم تستطع اقامة حلف راسخ البنيان موطد الأركان يستغل مقدرات المنطقة لصالح اقامة كيان واحد في بلاد الشام ضد السيادة الفاطمية بل سلكوا أسلوباً اعتمد على النهب والسلب وكانت الغنائم والأموال أحب إليهم من غيرها وبمعنى آخر لم تكن لهم سياسة ثابتة وخطة محكمة في الاستقلال بل كل حروبهم تعتمد السلب وكأنهم طلاب مال لا طلاب حكم مستقل ، فكان من نتيجة ذلك أن تشتت جهود المنطقة وتكلف الفاطميون كثيراً في سبيل اخضاعها لصالحهم مما صرف الجميع عن الاتجاه صوب الأعداء الحقيقيين وهم البيزنطيون بشكل موحّد ولو فعلوا لنالوا الشيء الكثير في هذا المجال الحيوي للجميع ، ولكن بنوا الجراح لم يتركوا فرصة تمر دون استغلالها فيما بعد ، فقد استغل هؤلاء أحداث عام **٤٣٣**هـ حيث فسدت الأمور على الدزبري وتوفي في جمادى الأولى وقام حسان بن مفرج وخرج على السيادة الفاطمية أيام المستنصر في فلسطين وصادف أن خرج معز الدولة بن صالح بن مرداس الكلابي في حلب واحتل القلعة ، ولا يستبعد أن يكون هذا بتنسيق من الطرفين في حلب وفلسطين ، إحياء للحلف الذي ضم آل الجراح وآل مرداس عام

---

(١) المعاضيدي : السياسة الخارجية ص٦١ مرجع سابق .

٤١٥هـ[1] .

ومهما يكن من أمر فإن حسان بن الجراح قد حاول أن يثبت من جديد أنه لا يزال قادراً على مضايقة الفاطميين في فلسطين فكان خروجه من هذا القبيل ولكن الحسن بن احمد الذي تولى أمر دمشق بعد الدزبري تصدى لحسان واستطاع أن يحد من قوته ويلحق به هزائم كثيرة[2] ، ولم يعد لآل الجراح ذلك النفوذ السياسي كما كانوا في الماضي ، وخمدت حركتهم التي نشطت في القرن الرابع وأوائل الخامس الهجريين ، وكانت إمارتهم التي أقامها المفرج بن دغفل وولده حسان بن المفرج تمثل طموحات العرب ضد العناصر غير العربية الحاقدة على العرب والمتسلطة على مقدراتهم باسم الإسلام ، ولعل أروع تجسيد لهذا المعنى قيام الحلف الثلاثي الذي أشرنا إليه سابقاً في الفترة (٤١٥ ـ ٤٢٠هـ) ، ولكن بعد هزيمتهم الساحقة أصبحوا مستغلي فرض لإثبات وجودهم أكثر منهم قوة يحسب حسابها[3] ، وفي القرن السادس الهجري بدأ

(١) ابن الأثير: الكامل ٩/ ٥٠١ ـ ٥٠٢ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) سهيل زكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ط/٢ منقحة ، دار الفكر سنة ١٩٧٥ ص٦٩/٧٠/٧١ ، يقول: كانت سياسة الفاطميين ترتكز على دعامتين: الأولى الجانب النظري ، والثانية الجانب العملي . فالجانب النظري كانت الدولة تهدف إلى السيطرة على العالم الإسلامي ، بل العالم كله ولاسقاط الخلافة العباسية عليها أن تسيطر على الشام واستطاعت السيطرة على الجنوب ولكنها فشلت في الشمال لبعد المسافة عن مصر وضعفها العسكري ووجود البيزنطيين . ثم قاوم الشمال الوجود الفاطمي كالجنوب رغم أن معظمهم شيعة ، وكانوا يكرهون نظم الفاطميين الاقتصادية والإدارية لاعتمادهم على عناصر المقاربة المجلوبة من شمال أفريقيا وكان عرب الشام شماله وجنوبه يطمحون إلى تكوين دول لهم ثم قام الحلف العربي في الشام من الشمال والوسط والجنوب ، وعلى العموم تمسك الفاطميون بجنوب الشام ، وكانت وصية يعقوب بن كلس للعزيز: سالم الروم ما سالموك ، واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ولا تبق على دغفل بن الجراح ان عرضت لك فيه فرصة .

نجمهم يعلو من جديد أيام أميرهم الفضـــل بن ربيعــة بن حازم بن علي بن مفرج بن دغفل بن جراح الذي ترأس آل فضل وعرب الشام وتجلت هذه القوة أيام نورالدين زنكي في النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي[1] .

(١) الدباغ (مصطفى): بلادنا فلسطين جـ/١ ، ق/٢ ص ٣٩٣ .

الرملة بعد زوال نفوذ آل الجراح :

وعادت الرملة بعد زوال نفوذ آل الجراح مدينة تابعة للفاطميين بدون قلاقل أيام المستنصر الفاطمي ينعكس عليها ما يجري في القاهرة من أحداث ، ولم تعدلها تلك السمعة كما كانت أيام بني الجراح الذين حاولوا إقامة كيان سياسي لهم هناك .

وأخذت المصادر بعد ذلك لا تذكر الرملة إلا عندما يعتريها خطب طبيعي كالزلازل أو القحط والخراب أو قيام شخصية منها بخدمة الدولة الفاطمية ، ومن هذا القبيل ما ذكر أن الرملة قد تعرضت للزلازل عام ٤٣٩هـ فتفرق أهلها من جراء ذلك في البلاد المجاورة وتأخرت حركة العمران فيها[١] ، وفي عام ٤٤٠هـ شهدت الرملة طرفاً من الخلاف السياسي بين المستنصر وناصر الدولة بن حمدان بعد فشله في حربه مع ثمال بن صالح بن مرداس حيث اعتقله في الرملة[٢] وصادر أمواله .

وفي عام ٤٤٠هـ أيضاً وصل الرملة رسول صاحب القسطنطينية ليتوسط في الصلح ما بين المستنصر وابن مرداس في حلب ولكن تدخله لم ينجح وفشلت وساطته[٣] ، ويعتقد أنه توسط ليس لصالح المسلمين ، بل ليكون له فضل على الطرفين وبالتالي فهو المستفيد لأنه يعرف مسبقاً أن صلحهما لن يستمر فيكون قد قدّم خدمة لابن مرداس الساعي إلى الاستمرار في حلب خارجاً عن سيادة الفاطميين وكسبه إلى جانبه في أي صراع محتمل ونفس الشيء ينطبق على علاقته مع المستنصر .

---

(١) الفارقي : تاريخ الفارقي ص ١٦١ .

(٢) القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٨٤ ، ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر ص٧ـ٨ .
المقريزي : الخطط ١/ ٣٥٥ .

(٣) ابن ميسر: المنتقى من تاريخ مصر ص٨ .
المقريزي : الخطط ١/ ٣٥٥ ، يذكر الحوادث ولا يشير إلى مقدم رسول ملك الروم .

وفي عام ٤٤٢هـ علا شأن الـرملة وانتشـرت سمعتهـا إثر اعتلاء قاضيها اليازوري وزارة المستنصر بالله الفاطمي في مصر ، وهذا لن ينسىٰ مدينته إلا أن أيامه لم تدم طويلاً فأقيل عام ٤٤٩هـ واغرم أموالاً كثيرة(١) .

وفي عام ٤٥٦هـ اسندت ولاية الرملة إلى شهاب الدولة دري المستنصري وذلك في ذي القعدة من هذا العام وظل بها حتى وفاته عام ٤٦٠هـ(٢) ، وشهد كذلك عام ٤٥٨هـ اعتلاء عرش ولاية الشام لأمير الجيوش بدر الجمالي فأخذ هذا يعمل على اعادة الأمن إلى نصابه في تلك الربوع فنهب حلل طي وكلب وحاصر دمشق وصادر أموال رجالها وقدم هذه الأموال هبة إلى حازم بن الجراح الذي أطلق سراحه من سجن المستنصر وأرسل مع الشريف أبي طاهر بن أبي الجن ليفسد أمور الشام على بدر الجمالي وكان هذا عدواً لبدر وصراعهما ما هو إلا حلقة من حلقات الصراع بين رجال المستنصـر في السنوات التي شهدت الشدة المستنصرية ٤٥٧ ـ ٤٦٣هـ ، وهنا نجد رجال الرملة يعودون من جديد إلى ممـارسـة نشـاطهم محـاولين العودة إلى الرملة ، وكان يصحب الشريف وحازم بن الجراح ابن عم حازم ، حميد بن محمود بن الجراح وقد فشل هذا في الكسب المـادي كما فعل حازم ، وقد تطورت الحوادث وأسفرت عن اعتقال الشريف والخلاص منه ، وبدأ موقف بدر الجمالي أنه موقف المسيطر على أمور الشام ، ولكن هذا لم يستطع أن يتدخل في الصراع ما بين المستنصر الفاطمي وناصر الدولة بن حمدان ، وقد استطاع أن يستغل الموقف ويحقق له المكاسب ويسيطر على الرملة وساحل بلاد الشام الجنوبي عدا بعض المواقع ظلت تخضع لبدر الجمالي(٣) .

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ٨٤ـ٨٥ وذكر أن الأمير مؤيد عدة الامام حيدر بن غضب الدولة قد تولى النظر في الحرب والخراج في جميع الشام بما فيه الرملة .
ابن الأثير: الكامل ٩/ ٥٧٠ ، ٦٣٥ ـ ٦٣٦ .
ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر ص ٩ـ١١ .
(٢) ابن القلانسي : تاريخ ذيل دمشق ص٩٢ .
(٣) ابن القلانسي : ذيل دمشق ص٩٦ حاشية «١» .

الرملة بين السلاجقة والفاطميين :

استطاع السلاجقة أن يستولوا على بغداد ويطيحوا بالكيان البويهي ويسيطروا على الخلافة العباسية عام ٤٤٧هـ ، ثم بدأ هؤلاء يفرضون سلطانهم على العراق وشمال الشام خاصة بعد موقعة ملاذكر وعام ٤٦٣هـ مع البيزنطيين[١] .

وقد استطاع أحد قواد السلاجقة ، اتسز بن أوق أن يسيطر على جنوب ووسط بلاد الشام ويحتل الرملة والقدس وجهاتها عام ٤٦٣هـ ويطرد ولاة الفاطميين من تلك الربوع[٢] ، ولم يسكت الفاطميون عن هذا العمل ، بل ظلوا يودون طرد السلاجقة من جنوب بلاد الشام إلا أن هؤلاء بقيادة اتسز نفسه تمكنوا أن يخوضوا حرباً خاسرة دارت رحاها حول القاهرة المعزية ، ثم أتبع الفاطميون نصرهم المؤزر بارسال قائدهم نصير الدولة الجيوشي الذي استطاع أن يستولي على ما دفع بيد اتسز من بلاد الشام ويحاصره بدمشق في حدود عام ٤٧١هـ[٣] .

فلما شعر اتسز بمضايقة نصير الدولة استنجد بتاج الدولة تتش السلجوقي الذي كان يسيطر على أجزاء من شمال الشام فقدم وطرد نصير الدولة ولكنه رأى أن يتخلص من اتسز ويسيطر على جنوب الشام ووسطه فلما تم له ذلك وضع ثواية على القدس والرملة وغيرها من المواقع الفلسطينية[٤] .

= ص ٩٤ حاشية «١» .

(١) ابن القلانسي : ذيل دمشق ص٩٨ حاشية «٢» ، ص٩٩ ، ابن الجوزي : المنتظم ٨/ ٢٥٦ .

(٢) المصدر السابق لابن القلانسي ، ابن الأثير: الكامل حوادث عام ٤٦٣هـ ، الفارقي : تاريخ الفارقي ص١٩٢ ويقول: احتل اتسز الرملة عام ٤٧٣هـ والصحيح ٤٦٣هـ ، الذهبي : دول الإسلام ١/ ٢٧٣ .

(٣) ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص ١١٢ .

(٤) المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٩/ ١١٢ .

وكان نائب تتش على القدس والرملة أرتق بن اكسب الذي توفي في حدود ٤٨٢هـ فآلت ولاية القدس والرملة إلى أبنائه سكمان وايل غازي ، وظلا حتى قدمت جيوش الفاطميين ثانية عام ٤٩١هـ فأخرجا منها إلى دمشق في شوال من هذا العام ، ولكن الفاطميين لم ينعموا طويلاً في جنوب بلاد الشام في الرملة والقدس إذ تعرضت هذه الأماكن للغزو الصليبي عام ٤٩٢هـ[1] ، وبذا دخلت الرملة والقدس في فترة تاريخية لها معطياتها المختلفة تماماً حيث أصبحت القدس عاصمة لدولة بيت المقدس اللاتينية (٤٩٢ ـ ٥٨٣هـ) .

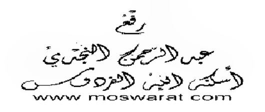
(١) ابن القلانسي : المصدر السابق ص ١٣٥/ ١٣٦ ، ابن الأثير: الكامل حوادث ٤٩٢ ، أبو الفداء: المختصر ٢/٢١١ ، ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ١٥٦ .

القسم الثاني

الجانب الحضاري

الفصل الأوّل

نظام الإدارة والقضاء في الرّملة



التنظيم الإداري في الرملة :

أقيمت المدينة لتصبح مقراً لوالي فلسطين بدلاً من اللد منذ أيام سليمان بن عبدالملك الأموي أيام كان والياً على فلسطين لأخيه الوليد بن عبدالملك ، ولما أصبح سليمان خليفة طمع في اتخاذها مقراً لخلافته هي أو القدس[1] ، ولكن مشاغله وقصر فترة حكمه حالا دون ذلك ، ولئن فشلت الرملة في أن تصبح مقراً للخلافة فإنها نجحت في أن تصبح مقراً لوالي إقليم فلسطين ولمدة طويلة فيما بعد .

وظل والي فلسطين يقيم في المدينة ويدير شؤون الإقليم وإلى جانبه جماعة من رجال الإدارة الآخرين كالقاضي ووالي الخراج وغيرهما من الموظفين .

وقد شهدت الرملة جزءاً كبيراً من الحكم الأموي ثم العباسي حتى قيام الدولة الطولونية في مصر حيث أصبحت الرملة تابعة لمصر يُعَيَّن واليها من الفسطاط بدلاً من دمشق وبغداد ، ثم خضعت المدينة فترة للحكم العباسي المباشر في الفترة ما بين (٢٩٢ ـ ٣٢٣هـ) ، عادت بعدها إلى تبعية الدولة الإخشيدية ثم الدولة الفاطمية في مصر ، وأصبحت للرملة أيام الفاطميين أهمية من نوع خاص فهي مفتاح الشام وبداية الطريق إلى بغداد ومعبر للفاطميين إلى تلك الديار ، واهتم بها هؤلاء كثيراً نظراً لأهميتها في مخططهم الرامي إلى تحطيم الخلافة العباسية .

ومهما يكن من أمر ، فإن قوة السلاجقة المتعاظمة منذ منتصف القرن الخامس الهجري جعلتهم يتوسعون على حساب الأملاك الفاطمية في بلاد الشام مندفعين وراء إحياء مذهب السنة على حساب مذهب الشيعة وتحطيم الخلافة الشيعية الفاطمية فاحتلوا الرملة عام ٤٦٣هـ[2] ، وبعد حوالي ثلاثين

(١) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ١/ ١٢٠ .

(٢) ابن الأثير: الكامل ١٠/ ٦٨ .

=

عاماً شهدت الرملة خلالها طرفاً من الصراع الفاطمي السلجوقي تبعت للغزاة الصليبيين وتبعت إلى حكومة بيت المقدس اللاتينية الصليبية .

وكان الخليفة الأموي هو المسيطر الذي يصدر أمر تعيين والي الرملة وقد مارس جميع الخلفاء هذا الحق ، وظلت الرملة وإقليمها الفلسطيني تابعة للأمويين ما دامت سلطة الخليفة قوية ، ولكن إذا ما شعر أهل الرملة أن تلك اليد قد ضعفت كانوا يثورون على سلطة واليهم الذي يتأثر بضعف السلطة المركزية كما حصل عام ١٢٦هـ[1] عندما ثاروا مع أهل الاردن ضد الوالي سعيد بن عبدالملك والي الوليد بن يزيد بن عبدالملك محاولين التمرد على سلطته وسلطة الدولة المركزية في دمشق والتمتع بنوع من الاستقلال بعد موت الوليد بن يزيد واعتلاء يزيد بن الوليد عرش الخلافة .
ومما يدلنا على نزعتهم الاستقلالية أنهم حاولوا قلب نظام الحكم وانتخبوا لقيادتهم يزيد بن سليمان بن عبدالملك الأموي ، ويزيد بالنسبة إليهم يتمتع بثقتهم لأنه يعتبر ابن الرملة لأنه عاش مع والده وأملاكهما في الرملة قد تركت للنفع العام دون مقابل ، الأمر الذي جعل أهل الرملة يثقون به ويسلمون إليه مقاليد الأمور في وجه خليفة دمشق[2] ، والملاحظ أن يزيد كان يتمتع برصيد قوي من الثقة بالنسبة للرملة لأنها مدينة والده المحببة إليه والتي يكن لها ولأهلها كل محبة وتقدير .

وهنا تحرج موقف الوالي الأموي ، سعيد بن عبدالملك لأن الثورة باسم

= ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ١/ ٣٩٠ .

(١) ابن عساكر: تهذيب بدران ، ٦/ ١٥٣ ويقول : كان سعيد بن عبدالملك والي فلسطين لأخيه الوليد بن عبدالملك فإن صح هذا فمعناه قبل سلمان بن عبدالملك والي الرملة بينما أن الأثير يقول لابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبدالله ثم ليزيد بن الوليد بن عبدالملك وليس لوالده الوليد ، ابن الأثير: كامل ٥/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥ .

(٢) ابن كثير: البداية ١٠/١٣ .

بني أخيه وعليه أن يقبض على زمام الأمور لصالح الخليفة يزيد بن الوليد في دمشق ، ومما زاد في صعوبة الموقف أن فلسطين وثوارها كانوا قد انضموا إلى ثورة الاردن في نفس الوقت وقوي ساعدهم .

وقد استعمل يزيد بن الوليد خليفة دمشق مع الثوار اللطف واللين واستطاع أن يفصل ما بين ثوار الإقليمين وذلك بأن أغرى رؤساء جيش فلسطين بالأموال والمناصب فانفصلوا عن ثوار الاردن فضعف الجميع وعندها استطاع جيش الخلافة السيطرة على الجهتين ، وأصبح ضبعان روح بن زنباع والياً على فلسطين لأنه كان يقود جيش فلسطين مع أخيه سعيد وهما قد انفصلا عن ثوار الاردن وكانا سبباً رئيسياً في القضاء على الثورة[1] .

وقد استلم ضبعان بن روح بن زنباع ولاية فلسطين جزاءً لدوره في اخماد ثورة فلسطين والاردن ، وكانت سلطة الخليفة كافية للايقاع بالوالي إذا ما أراد هذا التمرد على الخلافة ، ومن هذا القبيل ما حصل من مروان بن محمد مع ثابت بن نعيم الجذامي الذي تمرد في فلسطين وحاول الاستقلال فما كان من مروان إلّا أن عزله واستبدله بوالٍ جديد هو الرماحس بن عبدالعزيز وكلفه في نفس الوقت بمهمة القضاء على الوالي الثائر ، وبعد مطاولات وجولات من الكفاح العسكري استطاع الرماحس هزيمة ثابت وأسره مع أبنائه الثلاثة وأرسلهم إلى مروان بن محمد الذي بادر بقطع أيديهم وصلبهم على أبواب دمشق ليكونوا عبرة لمن تسول له نفسه العبث من الولاة بأمن الدولة ومحاولة التمرد عليها[2] .

ولكن مروان بن محمد سرعان ما عزل واليه الرماحس بن عبدالعزيز عن

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٥/ ٢٩٥ ، صالح العلي : موظفو بلاد الشام في العهد الأموي ص٧٤ .

(٢) ابن عساكر: تاريخه تهذيب بدران ٦/ ٣٧٢ يقول : تم قتله عام ١٢٨هـ وكان ثابت قد استغل اليمانية ضد مروان والقيسية ، ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/ ٢٣-٢٤ .
صالح العلي : موظفو بلاد الشام في العصر الأموي ص٧٥ .

ولاية فلسطين واستبدله بالحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع سليل العمال ورجال الإدارة أيام الدولة الأموية وأسند إليه ولاية الشؤون المالية والإشراف عليها ـ أي أدمج وظيفة الوالي بوظيفة مسؤول الشؤون المالية وأصبح يمارسهما شخص واحد بدلاً من شخصين[1] . ومهما يكن فإن يد خلفاء بني أمية ظلت طائلة على عمالهم يعزلون ويولون من يريدون وأنى يريدون حتى والدولة تحتضر .

ولما خلف العباسيون الأمويين في حكم الدولة الإسلامية بسطوا نفوذهم على الأقاليم الإسلامية كافة طيلة العصر الأول عدا الأندلس التي فر إليها عبدالرحمن الداخل ، وكانت أيديهم تصل إلى كل من يحاول العبث في مقدرات الأمن كما حصل للحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع الذي استغل زوال السيادة الأموية واضطراب الأمور في أيام العباسيين الأولى فثار في فلسطين ، ولما ثبت العباسيون أقدامهم بعد مذبحة أبي فطرس والقضاء على مروان بن محمد في مصر هرب الحكم بن ضبعان إلى بعلبك إلا أن يد الخليفة كانت وراءه فألقي القبض عليه وقتل جزاء لما اقترفته يداه[2] .

وهكذا سيطر الخلفاء العباسيون على أمور فلسطين كغيرها من الأقاليم وأصبح الخليفة هو الذي يولي العمال على الإقليم ويوقع بمن يتلاعب في مقدرات الأمن ، والمهم أن والي فلسطين أصبح يتمتع بمركز حساس في الدولة

(١) الكندي : ولاة مصر ص١٢٣ ، ويقول : ثار الحكم بن ضبعان على الحكم الأموي أيام ولاية صالح بن علي على فلسطين عام ١٣٧هـ ولا يمنع هذا من أنه ولي فلسطين أيام مروان التي انتهت ١٣٢هـ .

ابن الأثير: الكامل ٥/ ٤٢٥ ، صالح احمد العلي : المرجع السابق نفسه .

(٢) الكندي : ولاة مصر ص١٢٣ ويقول : بثورة الحكم عام ١٣٧هـ .

ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق لبدران ٤/ ٣٩٣ .

ابن كثير: الكامل ٥/ ٤٢٥ ويقول : كان ذلك عام ١٣٢هـ لا عام ١٣٧هـ ، كما ذكر الكندي .

العباسية نظراً لخطورة موقع الإقليم كحلقة وصل بين مصر وشمال الشام والعراق بالإضافة إلى وجود الأماكن المقدسة في بيت المقدس وكان لبيت المقدس حرمة خاصة لدى العباسيين وكان يهمهم سيادة الأمن والقانون هناك لدرجة أن المنصور العباسي كاد يفتك بأحد المتمردين الذين خرجوا على عامله عبدالوهاب بن ابراهيم الإمام لولا تدخل حاجبه الربيع بن يونس أثناء احضار الثائر إلى بغداد[١] .

ولم يكن أحد يستطيع أن يقف في وجه الخليفة العباسي في العصر الأول إذا ما أراد أن يوقع العقاب والعزل للوالي الذي يظهر أنه ظلم السكان أو اعتدى على أحد في ماله وحريته وعمله أو حاول المساس بالحريات العامة للمجتمع في فلسطين[٢] ، وهذا ما حصل أيام المهدي عندما عزل واليه على فلسطين ابراهيم بن صالح الذي أشيع عنه الظلم والاعتداء على حقوق الأفراد بعد أن زار القدس عام ١٦٣هـ[٣] .

وكان الوالي في فلسطين رغم كل ذلك إذا ما شعر أن هناك فرصة يستطيع من خلالها التمرد على السلطة المركزية اغتنمها ولم يتورع عن العصيان والثورة كما حصل أيام توفي الرشيد فاستغل السكان في الرملة الوضع وثاروا ونهبوا أموال مصر المرسلة إلى العراق واعتبروها غنيمة ، وما هذا إلاّ لأن شخصية الأمين لم تكن جادة وقادرة على السيطرة المطلقة على كل الأقاليم[٤] ، وقد حاول السكان

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/٢٩٤ ـ ٢٩٥ .
الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٣٧ ـ ١٣٩ .
حسن فاضل زعين العاني : سياسة المنصور الداخلية والخارجية وزارة الاعلام العراقية سنة ١٩٨١ ص٤٤١ .
(٢) الجهشياري : المصدر السابق نفسه .
(٣) ابن الأثير: الكامل ٦/ ٦١ .
(٤) الكندي : ولاة مصر ، تحقيق حسين نصار ، دار صادر ، دار بيروت ١٣٧٩ / ١٩٥٩م ص١٧٣ .

وخاصة الفلاحون التمرد في الرملة وفلسطين والشام أيام المعتصم بالله العباسي وثاروا بواليهم متهمين المعتصم بالتواطؤ مع العنصر التركي على حساب العرب عام **٢٢٦ ـ ٢٢٧**هـ(١) ؛ فما كان من المعتصم إلا أن وقف بحزم أمام هؤلاء الثوار الذين هبوا يدافعون عن كرامة العنصر العربي في الدولة واستطاع أن ينزل بهم الهزيمة ويأسر زعيمهم ويتخلص منه .

وفي أيام المتوكل قسَّم دولته بين أولاده فكانت الرملة من نصيب المؤيد بن المتوكل ولكن ظلت أهمية خاصة في قلب الخلفاء للرملة وفلسطين وكان والي فلسطين يتمتع بقوة خاصة لدرجة أن المتوكل استعان بوالي فلسطين عام **٢٤١**هـ في القضاء على ثورة المسيحيين في حمص(٢) .

وكان الوالي كثيراً ما يلجأ إلى ارسال نائب عنه إلى فلسطين ويبقى هو في عاصمة الخلافة خاصة أيام الفوضى فقد تعيَّن عيسى بن الشيخ عام **٢٥٢**هـ والياً على فلسطين للمستعين ، ولكنه لم يذهب إلى ولايته بل أرسل نائبه أبا المغرا إلى الرملة(٣) ، ثم أنه طمع إثر تسلط الأتراك على الخليفة وقتله فأعلن الثورة في الرملة وجهات من بلاد الشام وأصبح قوة يحسب حسابها لدرجة أنه منع أموال مصر من الوصول إلى دار الخلافة مبرهناً على تحديه للخلافة ومبيناً لأهمية الرملة وفلسطين في نفس الوقت(٤) .

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١١/٦ ، ابن الأثير: الكامل ٦/ ٥٢٢/ ٥٢٣ ، ويشير ابن الأثير إلى أن الثورة نشبت في آخر عهد المعتصم وأخمدت في أوائل عهد الواثق وقيل غير هذا .

(٢) ابن الأثير الكامل : ٧/٧٦ .

(٣) ابن الأثير: الكامل ٧/ ١٧٦ .

(٤) الكندي : كتاب الولاة وكتاب القضاة ٢١٤ ـ ٢١٥ ، الصفدي : أمراء دمشق ص٦١ . الكندي : ولاة مصر ص٢٤١ ، العارف (عارف باشا) : تاريخ القدس ويعطي تفصيلات عن الثورة وذكر أن عيسى تمرد أيام المعتز الذي خلف المستعين ثم أيام المهتدي ثم المعتمد الذي قضى عليه ، وكان قد خلفه ابنه منذ أيام المهتدي ، سيدة اسماعيل =

ووصل هذا الوالي في تمرده حداً أصبح معه قادراً على التلاعب بالولاء للسلطة المركزية فلم يبايع للمعتز ، ولم يبايع للمهتدي ، بالخلافة وسلك نفس السلوك مع المعتمد خليفة المهتدي فاضطر الخليفة المعتمد أن يقلده أرمينيا بالاضافة إلى ما بيده من بلاد الاردن وفلسطين[1] ، ثم أرسل إليه أحد قادته فتخلص منه وتولى الإمارة بدلاً منه .

ولكن تظهر لنا هنا شخصية الوالي فإذا كانت قوية فإنها تحاول الثورة خاصة إذا ما شعرت أن يد الخليفة أضعف من أن تنالها أو أن هناك خللاً ما بين الخلافة والولاة[2] .

وفي زمن الطولونيين آلت أمور الرملة وجنوب الشام إليهم وأصبح والي فلسطين يخضع في تعيينه لمصر بدلاً من الخلافة العباسية خاصة بعد عام ٢٦٤هـ ، حيث توفي أماجور عامل العباسيين في الشام[3] ، وكان هذا الوالي قد أناب على الرملة رجلاً يدعى محمد بن رافع ، ولما جاء ابن طولون ليفرض سيادته على بلاد الشام جميعها استقبله ابن رافع بالترحاب وقدم فروض الطاعة فرضي عنه ابن طولون وأقرّه على الرملة باسم الدولة الطولونية ، وظهر ابن طولون وكأنه المسيطر على بلاد الشام ومصر ولكن تربطه بالدولة الخطبة للعباسيين وإرسال بعض الأموال في بعض الأحيان[4] ، ولكن أمراء الدولة الطولونية

= الكاشف: مصر في عهد الطولونيين والإخشيديين ص١٩ ، ٢١ ، ٢٦ .

(١) المقريزي: الخطط ١/ ٣١٥ ، وقيل إن المهتدي هو الذي قلده أرمينيا وأرسل له من قضى عليه .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) ابن الأثير: الكامل ٧/ ٣١٦ - ٣١٧ ، ابن خلدون: العبر ٤/ ٢٩٩ - ٣٠٠ .
المقريزي: الخطط ١/ ٣٢٠ .

(٤) الكندي: الولاة والقضاة ص ٢١٩ .
الكندي: ولاة مصر ص ٢٤٦ .
البلوي: سيرة احمد بن طولون ص٩١/٩٢ .

بدورهم كانوا كثيراً ما يتمردون على العباسيين ويقطعون ما يرسلونه إليهم من الأموال كما حصل عام ٢٦٦هـ حين رفض ابن طولون إرسال التزامه المالي لدار الخلافة العباسية في العراق ، وهذا يعتبر بحد ذاته نقطة تحول في تاريخ المنطقة إذ أصبحت مصر مستقلة لفترات بسيطة ، وكانت الشام بأقاليمها تابعة لمصر في هذا التحول ، وهذا يعني أن والي فلسطين كان يعين من قبل السلطة المركزية في مصر[1] .

وظل مركز مصر هو المسيطر على والي فلسطين إذ يصدر تعيينه من قبل الطولونيين طيلة بقائهم على مسرح الأحداث (٢٦٤ ـ ٢٩٢هـ) عادت الرملة وفلسطين بعدها إلى حظيرة الدولة العباسية من جديد ، وعاد الأمر بيد خلفاء بني العباس يعينون من يرونه أهلاً للولاية على الرملة وفلسطين .

وقد شهدت الرملة ثورة ابن الخليج عام ٢٩٢هـ[2] الذي حاول التمرد على الوضع الجديد وكأنه لم يقبل بتبعية الرملة إلى الخلافة العباسية بل أراد أن تبقى الرملة خارج سيادة العباسيين ، ولكن نظراً لأهمية الرملة في السيطرة على مصر وقف العباسيون ووالي مصر في وجه هذه الثورة وأعادوا سيطرتهم على تلك الربوع ثانية .

ويجب أن نشير إلى أن وضع الرملة وموقعها كان دائماً يغري من يسيطر على مصر أن يفرض سيطرته على الرملة ليكمل حلقة الدفاع الأمامي عن مصر من جهة دار الخلافة العباسية والدولة البيزنطية المتاخمة لشمال الشام .

والمهم أن الفترة ما بين ٢٩٢ ـ ٣٢١هـ شهدت قوة شخصية محمد بن طغج الإخشيد الذي تولى أمر الشام الجنوبية (الرملة) بين عامي (٣١٦ ـ

(١) فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٢/ ١٨٦ .

(٢) ابن بطريق (سعيد) : التاريخ المجموع على التحقيق ص٧٧

ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٣/ ١٤٧ ـ ١٤٩ .

٣١٨هـ) ثم أمر دمشق بل والشام جميعها عام ٣١٩ ـ ٣٢١هـ ثم أضيفت إليه مصر بعد ذلك ، فقد أصبح هذا هو المسيطر على الشام جميعها أي أنه أصبح هو المسيطر على والي الرملة من خلال ولايته على بلاد الشام جميعها[١] .

وقد أصدر الإخشيد أوامره لوالي دمشق قِبَلَهُ الراشدي بمغادرة ولايته والالتحاق بالرملة والياً عليها من قبله ، ومن خلال رواية اعادة الراشدي القائلة «وردّه والياً إلى الرملة» إن الراشدي كان قد ولي الرملة قبل دمشق ثم أعيد إلى الرملة ثانية بأمر من محمد بن طغج الإخشيد والي الشام آنذاك[٢] ، ثم أصبحت فلسطين تحت إدارة الدولة التي أقامها الإخشيد بعد عام ٣٢١هـ عندما اعترف له الخليفة بالولاية غلى الشام ومصر[٣] .

ولا شك أن موقع الرملة وفلسطين كان على الدوام يغري أصحاب الأطماع الاستقلالية عن الخلافة العباسية خاصة وأن مصر والشام الجنوبية مكملتان لبعضهما البعض ، ومن يسيطر على أحدهما يسعى للسيطرة على الجزء الآخر ، ومن هنا سال لعاب محمد بن رائق أحد رجال الدولة العباسية فأراد الإطاحة بالكيان الإخشيدي في مصر والشام الجنوبية وقام بعدة هجمات ضد الإخشيديين أسفرت في مجملها عن الاعتراف بسيادة ابن رائق على الشام الوسطى والشمالية من قبل الإخشيديين ثم أن هؤلاء أيام عزهم أيام محمد الإخشيد قدموا الأموال لابن رائق لأنهم اعتبروه حاميهم من الهجمات المتوقعة سواء من العباسيين أو البيزنطيين ولم يَحْمِ جنوب الشام ومصر من خطر ابن

---

(١) عريب بن سعد: صلة تاريخ الطبري طبع ليدن ١٨٩٧م ص١٥٩ .
(٢) عريب بن سعد: صلة تاريخ الطبري ص١٥٩ .
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥/٥٦ ويذكر ولاية الإخشيد على الشام (دمشق) عام ٣١٩هـ .
(٣) المصدر السابق نفسه .

رائق إلا مقتله عام ٣٣٠هـ في الموصل[١] .

ومن هنا فإن والي الرملة أصبح عليه تبعية التصدي للعدوان وإفشال خطط الطامعين باحتلال مصر وعليه في بعض الأحيان أن يتمتع بصفات عسكرية تؤهله لقيادة الجيوش ـ أي أن له صفتان: إدارية وعسكرية نظراً لما يلقى على كاهله من تبعات ـ فكان والي الرملة الإخشيدي الحسن بن طغج أيام أخيه محمد وابن أخيه أونوجور يقوم بالتصدي للطامعين كما حصل أيام الحمدانيين[٢] .

وكان والي الرملة وفلسطين تضاف إليه ولاية الاردن ويقوم مقابل ذلك بتقديم التزام مالي معين للسلطة في مصر كما حصل أيام كافور حيث عقد له الولاية على فلسطين والاردن مقابل خمسماية ألف دينار[٣] .

وفي أيام كافور الإخشيدي كان يحرص دائماً على أن لا يتلاعب الوالي أياً كان بأموال ولايته بل كان دائماً ما يتخذ من الإجراءات ما يكفل نزاهة الوالي فكان يأخذ من الوالي قبل توجهه إلى ولايته أموالاً احتياطية ليضمن ولاءه أولاً وعدم تلاعبه بما يجبيه من أموال ثانياً ، وفي الغالب فإن المبلغ الذي كان يحصله يفوق ما يتوقع جبايته مما يضمن نزاهة الوالي إلى حد بعيد[٤] .

وشهدت الرملة فترة من الازدهار أيام واليها الحسن بن عبيدالله بن طغج الإخشيدي حيث أصبح هذا يشارك في تحريك الأحداث في مصر نفسها وأجبر

---

(١) الكندي: ولاة مصر ص٣٠٨ ، الأنطاكي (يحيى بن سعيد): تاريخه ص٩٦-٩٨ .
ابن خلدون: العبر ٤/ ٣١٣ .

(٢) ابن عساكر: تاريخه تهذيب بدران ٤/ ١٨٦ .
ابن تغري: النجوم الزاهرة ٣/ ٣١٠ .
سيدة الكاشف: مصر في عهد الطولونيين والإخشيديين ص١٧٠ .

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض ص ١٥٩ .

(٤) ابن حوقل: المصدر السابق ص ١٦٠ .

حاكمها على أن يزوجه ابنته وينتخبه ولياً لعهده وبذا أصبح يخطب له على منابر مصر وغيرها من أملاك الإخشيديين أواخر الدولة الإخشيدية(١) .

وفي عام ٣٥٨هـ سقطت الدولة الإخشيدية وقامت الدولة الفاطمية على انقاضها وسيطرت على مصر والشام فيما بعد وأصبح أمر الرملة بيد الفاطميين سادة مصر والشام الجدد ، وأصبح مركز الرملة وواليها أكثر خطراً من ذي قبل لأن الفاطميين أصحاب السيادة الجدد على مصر كانوا يودون اتخاذها نقطة ارتكاز في منطلقاتهم لِتَدْمير الخلافة العباسية بل والسيطرة على العالم الإسلامي بأسره(٢) .

والملاحظ من خلال دراسة الدولة الإخشيدية أن هذه الدولة قد أدركت خطورة مركز الرملة وجنوب الشام بشكل كبير فحرصت على أن يلي ولاية الرملة والشام امراء من الإخشيديين ، فولي أمر الرملة والشام عبيدالله بن طغج وظل حتى وفاته عام ٣٣٣هـ ، ثم وليها الحسن بن طغج وظل يهتم بأمر الرملة والشام حتى توفي عام ٣٤٢هـ ، ثم وليها الحسن بن عبيدالله بن طغج أواخر الدولة الإخشيدية وقد حاول أن يتصدى لجحافل الفاطميين أسياد مصر والشام الجدد ولكنه لم يستطع وفي سبيل الرملة فقد أبو نصر الحسين بن طغج حياته أمام ابن رائق عام ٣٢٨هـ(٣) ، وهذا لا يعني أن الإخشيديين لم يولوا إلا أبناءهم بل كان هنالك بعض الولاة من غير الإخشيديين .

ومهما يكن من أمر فإن فترة الحكم الإخشيدي قد انتهت بمجيء الفاطميين وسيطرتهم على مصر والشام ، وأصبح لوالي الرملة أهمية خاصة في استراتيجية

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١/ ٣٤٧ ، ٥/ ٦٠-٦١ .
الدواداري : كنز الدرر ٦/ ١٢٠ ـ ١٢١ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٤/ ٢٢ .
(٢) فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٢/ ١٩٣ .
سهيل زكار : أخبار القرامطة ص ١٧٠ .
(٣) الكندي : ولاة مصر ص ٣٠٨ .

الـدولة الفاطمية التوسعية على حساب الخلافة العباسية ، وأصبح على والي الرملة تبعات جديدة ومن نوع جديد ، فعلى والي الرملة أن يكون يقظاً ليستطيع تنفيذ تطلعـات الخلافة الفاطمية في المنطقة ، لذا فإن سعادة بن حيان والي الرملة الفاطمي كان يقف بالمرصاد للأطماع القرمطية ويدعو القاهرة باستمرار إلى امداده بالجيوش للوقوف في وجه الأعداء الطامعين[١] .

ثم شهدت الرملة خروج بني المفرج ومحاولتهم السيطرة على الحكم في المنطقة ، وكان الفاطميون راضين عن ولايتهم أحياناً كما حصل مع المفرج بن دغفل الطائي[٢] .

وشهدت الرملة نوعاً من محاولة الاستقلال عن جسم الدولة الفاطمية عندما أقيمت الخلافة العلوية في المدينة في مطلع القرن الخامس الهجري بمساعدة آل الجراح ، ولكن هذه المحاولة لم تستمر إذ عاد الخليفة الراشد ، أبو الفتوح الحسن بن جعفر إلى مكة وطلب عفو الحاكم بأمر الله فعفا عنه وأعاده والياً على مكة كما كان[٣] .

ولم يسكت آل الجراح امراء الرملة وفلسطين لفترة طويلة عن الثورة على الفاطميين بل استغلوا فرصة ضعف الخليفة الفاطمي الظاهر وتحالفوا مع أمراء حلب ودمشق وتعاهدوا على اقتسام بلاد الشام بعد نبذ خلافة الفاطميين وذلك في الفتـرة (٤١٤ ـ ٤٢٠هـ)[٤] ، وهـذا الأمـر زاد من تبعات والي الرملة في

---

(١) الدواداري : كنز الدرر ٦/ ١٤٣ ، ابن خلدون : العبر ٤/ ٥٠ ، مقريزي : اتعاظ الحنفا ص١٢٧ .
زكار (سهيل) : أخبار القرامطة ص٦٠ ، ١٨٩ .

(٢) المعاضيدي : الحياة السياسية ص٥٥-٥٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٩/ ١٢٢ ـ ١٢٣ .

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ١/ ٢٨٨ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤/ ٢٤٨ وما بعدها .

=

المستقبل وأصبح هذا الوالي يتمتع بذكاء ودبلوماسية معاً للعيش وسط ذلك الجو المضطرب .

وهكذا ظلت هذه هي الحالة بالنسبة للرملة وعلاقتها مع الفاطميين حتى سيطر السلاجقة على المدينة عام **٤٦٣هـ** ، ثم إن الرملة شهدت هي وباقي مدن فلسطين صراعاً ما بين السلاجقة والفاطميين ، نجح الفاطميون آخر الأمر في السيطرة على الرملة والقدس لفترة بسيطة جداً خضعت بعدها فلسطين كلها للعدوان الصليبي وأصبحت كياناً سياسياً جديداً يعرف بمملكة بيت المقدس اللاتينية .

= المعاضيدي : السياسة الخارجية ص٦٠ .

القضاء في الرملة:

القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ورتبة من أعلى الرتب في الدولة ، وعلى من يتولى وظيفة القضاء أن يتصف بصفات ضرورية تؤهله لممارسة شؤون مهنته ، والقضاء من الوظائف الرئيسية التي لا يستغني عنها المجتمع تحت أي ظرف من الظروف .

ومما ميز القضاء في الدول الإسلامية أن القاضي يصدر حكمه وفق الشريعة السمحاء وكان الخوف من الله هو الدافع وراء اقلاع القضاة في أحيان كثيرة عن ممارسة شؤون المهنة ، وكان قسم من القضاة يسعون وراء تفويض الفضاء إليهم وفي أحيان كثيرة لم تجب مطالبهم .

والرملة كجزء من الدولة الإسلامية كان ينطبق عليها ما ينطبق على الدولة المنتمية إليها إدارياً في شؤون القضاء ، وكان القاضي المعين يمارس القضاء وفق مذهبه الذي ينتمي إليه بالدرجة الأولى ، فدحيم عبدالرحمن بن ابراهيم الذي اشتهر في الشام بالقضاء تولى قضاء الرملة وكان أوزاعي المذهب ثقة فيما حكم به دون تعصب ، وظل يحكم مدة طويلة حتى توفي عام ٢٤٥هـ في الرملة وقيل في القدس وذلك أيام المتوكل على الله العباسي[١] ، وكذلك كان محمد بن موسى أبو علي الواسطي يحكم على مذهب أهل الظاهر حتى توفي

---

(١) ابن عبدالحكم: فتوح مصر وأخبارها ص ٢٤٧ مكتبة المثنى بغداد ، طبعة مصورة عن طبعة بريل بليدن ١٩٢٠م .
الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٠/ ٢٦٥ ـ ٢٦٧ .
الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٨٠ ، العبر ١/ ٤٤٥ ، السيوطي: طبقات الحفاظ ص٢٠٨ ، الحنبلي: الأنس الجليل ٢/ ٧٠ ، ابن العماد: شذرات ٢/ ١٠٨ .
الخزرجي (صفي الدين احمد بن عبدالله): خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق محمود عبدالوهاب فايد جـ/٢ ، مكتبة القاهرة ، مطبعة الفجالة الجديدة ١٣٩١/ ١٩٧١م ، ص١٢٣ .

عام ٣٢٠هـ ورمي بالقدر(١) ، ومحمد بن محمد بن محمد بن اسحق بن راهويه على مذهب مالك وتولى قضاء الرملة مدة من الزمن(٢) .

والملاحظ أن الرملة لم تشهد تعصباً مذهبياً طيلة القرون الثلاثة الأولى من تاريخها بل كان القضاة من مذاهب شتى وبعد موت القاضي محمد بن عثمان بن ابراهيم بن زرعة الثقفي عام ٣٠٢هـ لم يل الشام ومصر إلا شافعي ، ولم يزل للشافعية مصر والشام حتى أيام الظاهر بيبرس ٦٦٤هـ حيث ضم القضاة الثلاثة للشافعية(٣) .

وكان القاضي في الرملة والشام ومصر لا بد إلاَّ وأن يحظى بموافقة قاضي قضاة بغداد في معظم الأحيان حتى أيام الطولونيين والإخشيديين ، فمثلاً الحسين بن محمد بن أبي زرعةُ ابن القاضي محمد بن عثمان بن ابراهيم السابق الذكر قد ولاه الخليفة العباسي أيام محمد الإخشيد ولكن الإخشيد كما يبدو كان يميل إلى ابن الحداد فولاه خلافة الحسين في الحكم ، فكان الحكم لأبن الحداد والاسم للحسين بن محمد بن عثمان بن ابراهيم بن زرعة الدمشقي ، وظل هذا الأمر سارياً حتى جاء العهد بالقضاء للحسين بن محمد بعد ستة شهور من قاضي قضاة بغداد ابن أبي الشوارب فاعتلى الحسين الرتبة الأولى في القضاء فتأخر مركز ابن الحداد ، ولما عزل ابن أبي الشوارب من قضاء بغداد وتولى أمر القضاء أبو نصر يوسف بن عمر بعث العهد إلى الرملة

الذهبي : الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، تحقيق عزت علي عيدعطية وموسى محمد علي الموشى ، مطبعة دار التأليف بالمالية بمصر ، دار الكتب الحديثة ج/٢ ، ١٩٧٢م ، ص١٥٤ .

(١) السيوطي : طبقات المفسرين ص ١١٧/ ١١٨ .

(٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ضبط لجنة من كبار العلماء ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ط/١ ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ص٢٢٣ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ١٩٦ ـ ١٩٨ .

باستمرار ابن أبي زرعة في مهنته وظل حتى توفي عام ٣٢٧هـ(١) وأضيف إليه قضاء دمشق والرملة وحمص بالإضافة لمصر .

وكان أفراد المجتمع كثيراً ما يرفعون شكاويهم ضد الولاة إلى الخليفة لأن الوالي ربما تكون له السطوة على القاضي ويحتاج إلى شخصية أقوى منه كما حدث لَمَّا تظلم أحد سكان الرملة للخليفة المهتدي فما كان من الخليفة إلاَّ أن أنصفه وأرضاه وكتب إلى الوالي بذلك لينفذه فسر الرجل وعاد إلى الرملة ونفسه مطمئنة راضية واثقة بإمكانية الوصول إلى الحق والعدل(٢) .

وقد بلغ منصب القاضي درجة مرموقة في المجتمع كان صاحبها يتدخل ليمضي الأمور الجسام فمن هذا القبيل ما حصل عندما أشرف قاضي الرملة والقائد الفاطمي جوهر الصقلي عندما توجها إلى اعطاء الحسن بن أحمد القرمطي الأمان وبذل الأموال ليقلع عند اعلان العداء للفاطميين وعليه العودة إلى الإحساء(٣) ، وذلك أثناء القتال الذي دار في الرملة ما بين افتكين التركي ومعه ابن عم الحسن القرمطي والخليفة العزيز الفاطمي عام ٣٦٨هـ ، وهذا يبين لنا بلا شك علو كعب القاضي ومقدار ثقة المجتمع به .

ويجب أن يفهم جلياً أن القضاء في الرملة وغيرها من بلاد الشام أيام الفاطميين لم يكن وفق المذهب الشيعي ، بل كانت هناك المذاهب السنية الأخرى ولعل ذلك ضرب من ضروب السياسة الفاطمية اتبعتها الدولة مع السكان خاصة في الشام ومصر لكي لا يثوروا عليها ، وأكبر دليل على ما نقول ولاية الوزير أبي محمد الحسن بن عبدالرحمن اليازوري قاضي القضاة مع أنه من أصحاب أبي حنيفة فلم يؤثر هذا على وظيفته مما يبرهن لنا عدم التعصب

(١) الكندي : القضاة والولاة ص١٥٦/ ١٥٧ .
السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٢٨١ .
(٢) ابن العمراني : الأنباء في تاريخ الخلفاء ص١٣٤ .
(٣) الهمذاني (محمد بن عبدالملك) : تكملة تاريخ الطبري ص٢٢٨ .

المذهبي المقيت[1] .

وكان أمير الرملة خاصة أيام الفاطميين يعتبر نفسه أعلى من القاضي ويترفع حتى عن مصاهرته ربما لأن القاضي غير شيعيي المذهب أو لخطورة مركز الرملة فإن الأمير يعتبر نفسه جزء من الدولة وعليه المحافظة عليها في حين أن القاضي لا تهمه الدولة بمقدار ما يهمه إحقاق الحق والقضاء بموجب الشريعة وإقامة العدل بين الخصوم ، ومن هذا القبيل ما حصل مع أبي محمد الحسن بن عبدالرحمن اليازوري فقد رغب في أن يزوج ابنه بابنة أمير الرملة فما كان من هذا الأمير عندما عرف بقصد القاضي إلا أن قبض عليه وحبسه فهرب من السجن ومضى إلى مصر وأصبح هناك وزيراً وقاضياً للقضاة[2] .

---

(١) الحموي : معجم البلدان ٥/ ٤٢٥ ، ابن الأثير: الكامل ٩/ ٥٧٠ ، ٦٣٥ ـ ٦٣٦ ، ابن ظافر: الدول المنقطعة ص٧٩ .

(٢) ابن ظافر: الدول المنقطعة ص ٧٩ .

الوظائف الأخرى:

ويتصل بالقضاء الحسبة ، فقد كانت وظيفة المحتسب موجودة في مصر خاصة أيام الفاطميين وكان ممن تولاها في الرملة ابراهيم بن محمد بن عبدالله بن مهران بن دره بن كوشاد من سكان المدينة(١) .

وكذلك وجدت وظيفة الزمام فكان يأتي من القاهرة في الفترة الفاطمية للرملة وأحياناً يكون زمام واحد على والي الخراج وغيره على باقي الموظفين في الدواوين الأخرى والظاهر أن الرملة لم يكن فيها ديوان الزمام وأشهر من عرف في هذا الميدان أبو طالب الموقع الذي قدم الرملة كزمام على عامل الخراج عام ٤١٤هـ ، وكان قبله في هذا المنصب عبيدالله بن يونس الزمام(٢) .

ومن أشهر الدواوين في الرملة ديوان الجيش وكان من موظفيه أيام الحاكم الفاطمي أبو سعد الكاتب المستخدم في ديوان الجيش بالرملة ، ويبدو أنه فرع لديوان الجيش في القاهرة(٣) .

والمهم أن الرملة كجزء من الدولة الفاطمية فلا يستبعد أن يكون لكل المؤسسات الحكومية في القاهرة فروع في الرملة ونواحيها ، ومع هذا فيجب أن نلاحظ أن أهم الوظائف التي ظهرت بشكل واضح في الرملة طيلة عهدها رغم تقلب أحوال الحكم عليها من عباسي وطولوني وإخشيدي وفاطمي وسلجوقي هي : الوالي والقاضي وعامل الخراج وبعض الوظائف الأخرى التي ألمحنا إليها في ثنايا البحث ، ويجب أن نشير هنا إلى الوظائف زمن الفاطميين كانت نسخة ثانية في الرملة عنها في سائر أجزاء الدولة ، فهناك الوالي وجميع موظفي الدواوين وغيرهم من رجال الإدارة ، وقد ورد في حوادث عام ٣٩٣هـ أن غضب

---

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٦/ ١٦٧ .
(٢) المسبحي : من تاريخ مصر في سنتين ص٥٦ .
(٣) المسبحي : المصدر السابق ص ٢١٥ .

الحاكم بأمر الله على أحد رجاله المتجه إلى بلاد الشام ويدعى أبو ظاهر محمود بن محمد النحوي حيث تصرف هذا تصرفاً غير لائق بحق رجال الحكم وغيرهم في الرملة وسائر المواقع وصادر أموالهم وكان يدعي أنه مكلف من الحاكم وأن أعماله كلها في بلاد الشام من وحي الحاكم ، فلما عرف الحاكم أرسل على الفور سراً إلى واليه على الرملة وحيد الهلالي وأمره بالعمل على الخلاص من أبي ظاهر النحوي .

وقد أمر هذا الوالي حاجبه وصاحب الخبر بالرملة أن يعملا على الخلاص من النحوي فاستدرجاه إلى سوق البز في الرملة وكان يعسكر خارجها وتخلصا منه . وأرسل رأسه إلى القاهرة ، وقد جمع وحيد الهلالي القاضي والشهود العدول وكتب محضراً وشهد الجميع على أن الرأس المرسلة هي رأس محمود بن محمد النحوي ، وهنا يظهر لنا مدى أهمية القاضي وضرورة الرجوع إلى شهادته في الأمور التي تخص الأمن في الرملة وغيرها[1] ، وأرسل الرأس مع صاحب البريد ! .

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٦٠/ ٦١ .



الفَصْل الثّاني

الحيَاة العُمرانيَّة

مر بنا ذكر المخطط الأساسي لمدينة الرملة في نشأتها الأولى ثم ألمحنا إلى ما طرأ على ذلك المخطط من تطورات ايجابية أو سلبية عبر تطور حياة المدينة ، وعلينا أن نأتي على التعريف بأهم المنشآت العمرانية فيها .

القصر (دار الإمارة) :

تجمع المصادر المتوفرة على أن سليمان بن عبدالملك عندما بدأ في تنفيذ مخطط الرملة كان أول بناء أنشأه هو قصره (دار الإمارة) والدار المعروفة بدار الصباغين وجعل في وسطها صهريجاً كبيراً[1] ، ولعل هذا يثبت لنا ضرورة مثل هذه الدار لتنفيذ عملية البناء خاصة وأن حجارة الرخام متوفرة في تلك المنطقة القريبة من الرملة .

وكان سليمان قد نقل دواوين الإمارة إلى الرملة وكان يود أن تكون الرملة مقر خلافته[2] هي أو بيت المقدس وما هذا إلا لحبه لسكان الرملة الذين بادلوه الحب هو وذريته من بعده ، بدليل أنهم حاولوا تنصيب ابنه يزيد خليفة عليهم أيام يزيد بن الوليد بن عبدالملك الذي تولى بعد الوليد بن يزيد بن عبدالملك كما مر بنا .

وكان المشرف على عمليات البناء والإنشاء في المدينة الجديدة ، خاصة الإشراف على بناء القصر ودار الصباغين والمرحلة الأولى من بناء المسجد البطريق بن النكا كاتب سليمان وأحد نصارى اللد[3] ، ويجب أن ننوه إلى أن

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ١/ ١٧٠ ، اليعقوبي : تاريخه ٢/ ٢٩٣ ، الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ص١٠٢ ، قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ص٣٠٢ ، الحموي : معجم البلدان ٣/٦٩ ، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ١٩٣ .

Criswell. op. cit. Vol. 2. p. 404. 482.

(٢) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ١/ ١٢٠ .

(٣) المصادر السابقة كلها في حاشية «١» المسعودي : التنبيه والإشراف ص٣١١ .

هذا الاسم قد ورد بصيغ مختلفة وأشكال شتى .

وظل قصر سليمان يطاول الزمن حتى مطلع القرن العشرين[1] ، وقد زاره الرحالة فولني Voloney الفرنسي أثناء رحلته إلى مصر والشام عام ٧٨٤ - ١٧٨٥م ، وقد شاهد آثار هذا القصر المتداعي آنذاك[2] ، ولا تزال إلى اليوم بقايا جدرانه قائمة تشهد على أصالة هذا البناء العربي الإسلامي الشامخ بفلسطين ، ولكن قد أقيمت على بقعة حديقة البلدية في المدينة قبل الاحتلال الصهيوني الغاشم عام ١٩٤٨م[3] .

---

(١) فيليب حتى : تاريخ لبنان وسوريا وفلسطين ٢ / ١٢٨ ، تاريخ العرب مطول ٢ / ٢٨٦ .

(٢) الدباغ (مصطفى): بلادنا فلسطين جـ/١ ، ق٢ ، ص٨٨ ، منشورات دار الطليعة بيروت ط/١ ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .
بهنسي (عفيف): الشام لمحات آثارية وفنية ص١٣٤ .

(٣) المرجع السابق نفسه جـ/١ ، ق١ ، ص٢٨٥ للدباغ .

دور المدينة :

كانت الرملة مسكن سليمان بن عبدالملك قبل خلافته يشرف على عملية البنـاء بشكـل شامل وفي أثناء امارته على فلسطين أيام خلافة أخيه الوليد بن عبدالملك ، وقد شجع سليمان الناس على البناء حول قصره بطرق شتى لأنه أراد ازدياد حجم مدينته بسرعة ، ولا شك أن الناس يندفعون بسرعة إلى السكنى والعيش في قصبة البلاد وتهفو نفوسهم إلى ذلك لأن مركز نشاط الحكومة في القصبة(١) .

وكان التخطيط الإسلامي في الرملة واضحاً فدار الإمارة وأمامها المسجد الجـامـع نقـطة المركز ثم منها تصل شوارع إلى أطراف السور ، وقد نقل لنا البلاذري(٢) أن سليمان بن عبدالملك لما بنى قصرهُ (دار الإمارة) في الرملة أذن للناس في البناء فبنوا ، وليشجعهم على البناء والعمران احتفر لهم قناتهم التي تدعى بردة وجلب إليها المياه من نهر أبي فطرس (العوجا) القريب ثم احتفر لهم آباراً غيرها ، ولعل عملية توفير المياه تشجع السكان على التكاثر والانتشار ، الأمر الذي عمل على سرعة ازدهار الرملة ونموها .

ولم يكتف سليمان بتوفير المياه كعامل مشجع للاستمرار في البناء والاكثار من السكان ، بل لجأ إلى إجبار الناس بالقوة على الانتقال من اللد القريبة إليها

---

(١) ابن خلكان : وفيات ٧/ ٤١٤ ، شيخ الرسوة : نخبة الدهر ص٢٠١ ، الدميري : حياة الحيوان الكبرى ١/ ١٢٠ .
القرماني : أخبار الدول ص٤٦٨ ، عارف العارف : تاريخ القدس ، دار المعارف بمصر ١٩٥١م ص٥٣ .
فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص٢٥٥ .

(٢) البـلاذري : فتـوح البلدان ١/ ١٧٠ ، الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ص١٠٢ ، قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ص٣٠٢ .
الحموي : معجم البلدان ٣/ ٦٩ .

وذلك بأن هدم منازلهم وأمرهم بالانتقال إلى الرملة وسمح لهم بالبناء ليشجع الحركة الاستيطانية العمرانية ويدفعها إلى الأمام ، كل هذا يغذيه الحقد على اللد والتصميم على خرابها بمشورة كاتبه البطريق بن النكا الذي كان نشطاً في ذلك المجال(1) .

وتمادى سليمان في العنف ليدفع بالسكان ليقوموا بالهجرة من اللد وأعلن أنه سيعاقب كل ممتنع عن الهجرة من السكان بأقسى العقوبات بعد هدم منزله وقطع المواد الضرورية اللازمة لاستمرار الحياة، الأمر الذي كانت محصلته خراب اللد ونمو الرملة وازدهارها على حسابها(2) ، والظاهر أن هذه السياسة قد استجاب لها السكان وتركوا منازلهم في لد وأقاموا بدلاً منها منازل لهم في الرملة ، ولعل عدم لجوئهم إلى مقابلة هذه السياسة بسلبية ظاهرة يعود إلى تصميم سليمان على بناء الرملة واعطائها فرصة النمو والازدهار فتأكد هؤلاء أن لا مفر لهم من الإستجابة .

وظلت المدينة تنمو وتتسع لأن السكان استجابوا للهجرة ولعلهم تشجعوا لأن سليمان نقل دواوين الحكم إلى المدينة الجديدة وأنهم إذا هاجروا للرملة فإن بإمكانهم نيل رضى الوالي والتوصل إلى وظائف حكومية بالإضافة إلى أن إمكانية العيش في العاصمة تتيح مجال العمل بفرصة أكبر خاصة وأن المدينة في طور النمو وبحاجة إلى الأيدي العاملة ، والمهم أن مساحة المدينة في مخططها الأول وحتى القرن الرابع الهجري كانت تبلغ ميلاً مربعاً(3) مما يدل على إقبال الناس على السكنى بها وهذا متوقع لأن المدينة قد أصبحت بعد

---

(1) اليعقوبي : تاريخه ٢/ ٢٩٣ .

(2) اليعقوبي : تاريخه ٢/ ٢٩٣ ، أبو الفداء: تقويم البلدان ١/ ٢٤١ ، ويشير إلى أن سليمان بن عبدالملك قد أخرب لد وأعمر الرملة مما يدل على أنه قد استعمل جميع أنواع الوسائل لنمو المدينة سواء بالترغيب أو بالترهيب .

(3) المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٦٥ .

بنائها وحتى نهاية القرن الخامس تقريباً مركز الإدارة في فلسطين .

وكان لتوفر مادة البناء بالقرب من الرملة أثر كبير في تشجيع عملية العمران ، فقد وجد الحجر الرخامي بكثرة في نواحي المدينة فتشجع السكان لاستعماله وتفننوا في ذلك لتوفر الحس الفني لديهم فقطّعوا الحجارة الرخامية إلى أشكال جميلة واستعملوها في البناء ، وهذا يدل على حسن اختيار السكان لخامات البيئة المتوفرة مما يقلل من تكاليف البنيان ويشجع الحركة العمرانية(١) .

وقد زار الرحالة الفارسي ناصر خسرو المدينة عام ٤٣٨هـ/ ١٠٤٧م(٢) وشاهد ابنيتها وشوارعها وأزقتها ومؤسساتها وأعجب بما شاهد أيما إعجاب ، فذكر لنا أن الرخام موجود بكثرة في جهاتها وهو متنوع الألوان ، لذا استغله السكان في عملية البناء استغلالاً ذكياً فقد زينوا به معظم السرايا والبيوت ونقشوا عليها النقوش المختلفة حسب أذواقهم وحسهم الفني فجاء عملهم آية في الجمال وحسن الإتقان ، وقد شاهد ناصر خسرو كيفية معالجة الرخام قبل استعماله في عملية البناء فذكر أنه يقطع بمنشار لا أسنان له وبالرمل المكي وأن طريقتهم في معالجة حجارة الرخام أنهم يجرون المنشار بالطول لا بالعرض ليحافظوا على تكوينه البديع وتموجات ألوانه ، وذكر خسرو أيضاً أن السكان قد استعملوا الجبص حاصة في الأبنية المطلوب متانتها بشكل كبير كالسور الذي بني من الحجر والجبص .

وظلت المدينة طيلة ما بقي من العهد الأموي تتلقى العون والدعم من الخلفاء على اختلاف أمزجتهم وميولهم بعد سليمان بن عبدالملك مما أعطى المدينة القدرة على النمو والازدهار ، ثم اتبع العباسيون نفس النهج في تطوير ودعم الحركة العمرانية في الرملة كترميم الصهاريج التي تحفظ المياه اللازمة

---

(١) ناصر خسرو: سفرنامة ٥٤/ ٥٥ .
نقولا زيادة: الرحالة العرب ص٤٩/ ٥٠ .
(٢) ناصر خسرو: سفرنامة ٥٤/ ٥٥ .

لعمليات المنزل اليومية والاعتناء بقناة المياه والاشراف على القصر والمسجد وتشجيع النـاس على السير في عملية البنـاء قدماً ، واستمر الخلفاء من لدن تأسيس المـدينة وحتى خلافة المعتصم العباسي ينفقون على عمران المدينة وازدهـارها من أموالهم الخاصة ويحاسب بها العمال[1] ، وفي زمن المعتصم والذي كان قد زار المدينة مراراً رسم بأن يكون للمدينة دخل ثابت يصرف منه على تطور المدينة وزيادة رقعتهـا ولا شك أن وجود ميزانية ثابتة للمدينة يدفع بها إلى الأمام ويوفر الاطمئنان النفسي للسكان بل ويجذب هؤلاء من الخارج وكانت هذه الميزانية تصرف من ميزانية الإقليم نفسه كل عام .

وقد عدّد المقدسي[2] عدة مساوىء للرملة وذكر أنها في الشتاء جزيرة من الوحل وفي الصيف ذريرة من الرمل لا ماء يجري ولا خضر ولا طين جيد ولا ثلج ، كثيرة البـراغيث عميقـة الآبـار مالحة ، وماء المطر في جباب مقفله ، فالفقير عطشان والغريب حيران ، وفي الحمام ديوان وفي الدولاب خدام .

وعلى الرغم مما ذكرهُ المقدسي[3] من مساوئها إلا أنه عدد أكثر من محاسنها بل كثيراً ما نقض رأيه حيث يقول : «واسعة الفواكه جامعة الأضداد بين رساتيق جميلة جليلة ، ولا يوجد ألذ من فواكهها ولا أبرك من كورتها فإن حرمت المدينة من الخضر صيفاً فتعوض مما يحيط بها من بساتين الخضار والفواكه المجلوبة من شتى بقاع فلسطين» .

وعلى العموم فمحاسنها كثيرة ودفعت بالمدينة إلى الازدهار والنمو والتوسع وشجعت عملية البناء المستمر ومنها :

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ١/ ١٧٠ ، قدامة بن جعفر ص٣٠٢ .
الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ص١٠٢ ، الحموي : معجم البلدان ٣/ ٦٩ .

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٦٤ .

(٣) المقدسي : المصدر السابق نفسه .

أولاً : خفة المياه وتوفرها من الآبار والقناة التي جلبها سليمان من نهر أبي فطرس (العوجا)(1) .

ثانياً: سعة البساتين وكثرة الفواكه بالمدينة وتنوعها صيفاً وشتاءً(2) .

ثالثاً: ازدهار تجارة المدينة وتنوعها وكثرتها(3) .

رابعاً: كثرة الرساتيق المحيطة بالمدينة وكثرة الرباطات والمدن والقرى الملحقة بها(4) .

خامساً: وفرة المواد اللازمة لعملية البناء كالحجارة الرخامية المتنوعة الألوان(5) .

سادساً: موقع المدينة المتوسط بين الجبل والسهل بالإضافة إلى سهولة أرضها واستواء سطحها وبعدها عن الغور مما يوفر لها مناخاً ملائماً للحياة والسكنى(6) .

سابعاً: توفر وسائل المواصلات الداخلية والخارجية مما يوفر للمدينة قدرة البقاء(7) .

---

(1) الهمذاني : مختصر البلدان ص ١٠٢ ، المقدسي : المصدر السابق نفسه ص١٦٤/ ١٦٧ ، الحموي : معجم البلدان ٣/ ٦٩ .

(2) ناصر خسرو: سفرنامة ص٥٥ ، المقدسي : المصدر السابق نفسه ، البلوي (خالد بن عيسى) : تاريخ المفرق في تحلية علماء المشرق ٢/ ١٥-١٦ ، ووصفه رائع جداً .

(3) المقدسي : أحسن التقاسيم المصدر السابق نفسه ، الادريسي : نزهة المشتاق ، طبع روما ٤/ ٣٥٦ ، ابن بطوطة : مهذب رحلته ١/ ٥٠ ، نقولا زيادة : الرحالة العرب ص١٣٣ نقلاً عن ابن بطوطة .

(4) المقدسي : المصدر السابق نفسه ، البلوي : المصدر السابق ص١٦ .

(5) ناصر خسرو: المصدر السابق ص٥٤-٥٥ ، المقدسي : المصدر السابق ص١٨٤ ، البلوي : المصدر السابق نفسه .

(6) المقدسي : المصدر السابق ص١٦٤ ، ١٧٦ ، البلوي : المصدر السابق ٢/ ١٥ .

(7) الاصطخري : المسالك والممالك ص٤٨ ، الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ص١١٦ ، ابن حوقل : صورة الأرض ص١٧٠ - ١٧١ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص٢٣٨ - ٢٤١ ، المقريزي : الخطط ١/ ٢٢٧ .

ثامناً: توفر سبل الحياة الضرورية كاعتدال الهواء والحرارة إلى حد ما [1] .

ومهما يكن من أمر فإن الرحالة والمؤرخين[2] الذين زاروا الرملة وشاهدوا بنيانها قد اعجبوا بما شاهدوه ومدحوا الرملة وقراها ورساتيقها وخيراتها وتجارتها وشوارعها وبنيانها وسكانها ولباسهم ومسجدها وقلعتها وأسوارها وصهاريج المياه فيها والاضرحة والمشاهد والآبار إلى غير ذلك من منشآت الرملة وأبنيتها .

ويجب أن ننوه إلى أن الكوارث الطبيعية كالزلازل وغيرها لها أثر كبير في الحد من تقدم المدينة وازدهارها فتشير المصادر المتوفرة[3] إلى أن الرملة قد تعرضت إلى جملة من الزلازل والكوارث الطبيعية على مر تاريخها الطويل ، ولعل أكثرها تأثيراً تلك التي أصابت المدينة عامي ٤٢٥هـ ، ٤٦٠هـ فكانت مدمرة بشكل وخاصة زلازل عام ٤٦٠هـ[4] فقد كانت خسائر الزلزال حوالي ٢٥

---

(١) المقدسي : المصدر السابق نفسه ص ١٦٤ .

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص٦٤ ـ ١٦٥/ ١٧٦ ، ١٥١ ، وغيرها من الصفحات المتفرقة .

الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ص ٣٥٦ جـ/ ٤ ، الحموي : معجم البلدان ٣/ ٦٩ .

البلوي : تحلية تاج المفرق ١/ ١٢٤ ، ٢/ ١٥-١٦ .

ابن بطوطة : مهذب رحلته ١/ ٥٠ .

نقولا زيادة : الرحالة العرب ٤٩-٥٠ ، ١٣٣ .

(٣) ناصر خسرو: سفرنامة ص٥٤ ويصف زلزلة عام ٤٢٥هـ .

الفارقي : تاريخ الدولة المروانية تحقيق بدوي عبداللطيف عوض ص١٦١ .

ابن الجوزي : المنتظم ٨/ ٢٥٦ ، شيخ الربوة: نخبة الدهر ص٢٠١ .

ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ٣٦ ويصف زلزال ٤٢٥هـ .

احمد عطية: القاموس الإسلامي ٢/ ٥٧٤ ، ويشير إلى زلزال عام ٤٦٠هـ ، المدمر Cruswell: op. cit.Voll.. 2. p. 182

(٤) ابن الأثير: الكامل حوادث عام ٤٦٠ ، ١٠/ ٥٧ .

ألف مواطن وتهدمت معظم المباني ، ويجب أن نضيف هنا إلى أن الحروب الكثيرة التي شهدتها الرملة عبر تاريخها لها أيضاً تأثير في تراجع المدينة وخرابها ، ولكن الخراب المدمر كان على يدي الاستعمار الصليبي لأن الصليبيين قد اهتموا بِلُد على حساب الرملة[1] .

(١) شيخ الربوة: نخبة الدهر ص٢٠١ ، الحنبلي: الأنس الجليل ٢/ ٦٨ ويصف قسوة الصليبيين .
احمد عطية: القاموس الإسلامي ٢/ ٥٧٤ .



مسجد الرملة الكبير (الأبيض):

اعتاد العرب المسلمون عند بناء مدنهم أن يبدؤوا بإقامة دار الإمارة والمسجد الجامع مكانا لإمضاء الشريعة الإسلامية، ثم يتبعهما بعد ذلك المساكن الشعبية وعلية القوم، ثم تبدأ المدينة بالتوسع شيئاً فشيئاً ثم تقام الأسوار وتنشأ الأرباض خارجها باستمرار مما يوجد أكثر من سور للمدينة الواحدة.

وبالنسبة لمدينة الرملة فالمصادر المتوفرة[1] تروي لنا أن تخطيطها كما رسمه سليمان بن عبدالملك يتضمن دار الإمارة والمسجد الجامع في المراحل الأولى للبناء.

ويذكر البلاذري عند وصفه للرملة[2] أن سليمان قد أصبح خليفة قبل أن يتم بناء المسجد، ولكنه استمر في عملية البناء أيام خلافته إلا أن القدر وافاه قبل أن تتم عملية البناء فتولى الخليفة الجديد عمر بن عبدالعزيز ذلك إلا أنه اختصر من الخطة المرسومة لأن ظروف المدينة في مراحلها الأولى لا تقتضي اتساع المسجد كما اعتقد عمر بن عبدالعزيز ورد على سؤال من أشار إلى أنه اختصر الخطة المرسومة بقوله: «أهل الرملة يكتفون بهذا المقدار الذي اقتصرت بهم عليه»[3].

ولعل عمر بن عبدالعزيز جريا على عادته في ضغط مصروفات الدولة لم

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ١/ ١٧٠، اليعقوبي: تاريخه ٢/ ٢٩٣.
الهمذاني: مختصر كتاب البلدان ص١٠٢، الحموي: معجم البلدان ٦٩/٣.
دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ١٩٣.

(٢) البلاذري: المصدر السابق والمصادر السابقة نفسها، قدامة بن جعفر: الخراج ص٣٠٢.

(٣) المصادر السابقة.

يشأ أن يكمل عملية البناء حسب الخطة المرسومة بل اكتفى بانجاز المسجد بالشكل الذي ارتآه واعتقدَ بأنه كاف لأهل الرملة كمدينة ناشئة آنذاك .

هذا بينما أشار الهمداني[1] إلى أن سليمان اختط المسجد وبناه دون الإشارة إلى اتمام عمر بن عبدالعزيز له وأضاف بأن المشرف على عملية البناء هو كاتب سليمان النصراني ابن بطريق السالف الذكر .

ولعل الأسباب التي دفعت بسليمان بن عبدالملك إلى إقامة المسجد هي نفسها التي دفعته إلى اقامة المدينة ، حيث تشجع باقامة مدينة تخلد ذكره على مر الزمن وقد شجعه كاتبه النصراني على السير في هذا الاتجاه متأسياً بأمراء بيته وخلفائه الذين درجوا على اقامة المنشآت العمرانية من القصور والبيوت والمساجد وغيرها[2] .

وقد أصاب هذا المسجد التغيير عبر تاريخه الطويل فأول وصف متناسق الأطراف متسق العبارات قدمه لنا المقدسي للمسجد قائلاً[3]: «ليس في بلاد الإسلام أبهى منه» ، وذكر أن هشام بن عبدالملك هو الذي بنى جامع القصبة في الرملة مع أن المقدسي يتكلم عن جامع الرملة الكبير الذي بناه سليمان بن عبدالملك حسبما روت المصادر المعاصرة عندما خطط مدينته وأنه توفي ولم يكمله فكمله عمر بن عبدالعزيز ، وأظن أن عبارة بناه هشام بن عبدالملك لا تتفق مع الحقيقة ، وإذا سلمنا أن هشام بن عبدالملك بنى مسجداً آخر في الرملة فإن هذا أيضاً لا ينسجم مع الحقيقة أولاً ، لأن المصادر لا تذكر لهشام أنه بنى مسجداً في الرملة ثم إن الفترة من سليمان إلى هشام لا تدعو إلى إقامة جامعين كبيرين في الرملة ثانياً ، ولو سلمنا بعكس هذا وأن هشاماً بنى مسجداً

(١) الهمداني : مختصر كتاب البلدان ص١٠٢ والصحيح ما ذكرته المصادر السابقة لأن سليمان فعلاً بدأ بالبناء ولكنه لم يكمله فأتمه عمر بن عبدالعزيز بشكل مختصر .

(٢) الحموي : معجم البلدان ٦٩/٣ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٦٤/ ١٦٥ .

في الرملة فإنه لا يمكن أن يكون بنفس الصفات التي ذكرها المقدسي عنه والتي تنطبق على جامع سليمان ، ثم إن القصة التي ذكرها المقدسي والقائلة إن هشاماً بن عبدالملك عندما أراد أن يبني مسجد الرملة كان للنصارى أعمدة رخام مدفونة تحت الرمل استعدوها لكنيسة بالعة فهددهم هشام إن لم يظهروا هذه الأعمدة هدم كنيسة لد انتقاماً منهم فأظهروا الأعمدة فأخذها هشام وبنى عليها مسجد القصبة في الرملة .

إن هذه القصة قد ذكرت في المصادر الأكثر معاصرة عن[1] سليمان وليس عن هشام بن عبدالملك كما أشار المقدسي .

ولعل هذا الخلط أساسه أن المقدسي قد اختلط عليه الأمر عندما تكلم عن الجامع ووصفه بأبدع وصف خاصة وأن هشاماً قد أضاف للمسجد المنارة الجميلة ، أو لعل هذا الخلط من الناشر والمحقق إذ العبارة التي أوردها المقدسي بهذا الخصوص هي : «ولا بعد منبر بيت المقدس أحسن من منبره وله منارة بهية بناه هشام بن عبدالملك» ، لعل كلمة بناه ، بناء هشام بن عبدالملك ويعود عمل هشام للمنارة وليس للمسجد كله[2] .

وعلى العموم فلا بأس من الاطلاع على وصف المقدسي لنستطيع رسم صورة لهذا المسجد العظيم فقد ذكره المقدسي ، قائلاً[3]: (وجامع القصبة في الأسواق أبهى وأرشق من جامع دمشق ، يسمى الأبيض ليس في الإسلام أكبر

---

(١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص٤٨ ، المقدسي : المصدر السابق .
الدباغ : بلادنا فلسطين جـ/١ ، ق٢ ، ص٢٩٠ ، ونقل عن الجهشياري أن الأعمدة الرخام جاء بها سليمان بن الداروم من حفارة هناك ومن المحتمل أن هذه الأعمدة هي التي أشار إليها المقدسي ونسب القصة لهشام .

(٢) وقد نقل عن المقدسي Cruswell: op. cit. Vol 2. p. 482 ويذكر أن المسجد تمَّ زمن عمر بن عبدالعزيز بصورة مختصرة .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٦٥ .

من محرابه ، ولا يعد منبر بيت المقدس أحسن من منبره ، وله منارة بهية ، بناه هشام بن عبدالملك «الأصح بناء هشام . . . » ، وسمعت عمي يقول: لما أراد بناءه قيل له: إن للنصارى أعمدة رخام مدفونة تحت الرمل استعدُّوها لكنيسة بالعة ، فقال لهم هشام: إما أن تظهروها وإما أن نهدم كنيسة لد ، فبني هذا الجامع على أعمدتها فأظهروها وهي غليظة طويلة حسنة وأرض المغطّى مفروشة بالرخام والصحن بالحجارة المؤلفة وأبواب المغطى من الشربين والتنوب مداخله محفورة حسنة جداً) .

ويقع هذا المسجد وسط السوق ويمتاز بكبره ومحرابه يعتبر من أكبر المحاريب المعروفة ومنبره يلي منبر بيت المقدس كثيراً ما أعجب الناس بمئذنته الجميلة الرائعة[١] ، وفي وسط هذا الجامع صهاريج واسعة لتوفير المياه اللازمة للوضوء وللاستعمالات الأخرى للناس جميعهم ، وبلغت مساحته زمن ناصر خسرو الذي زار المدينة عام ٤٣٨هـ حوالي ٣٠٠×٢٠٠ قدم٢[٢] .

وقد ذكر كروزويل أن منارة الجامع الأبيض مربعة الشكل على هيئة برج وقد تأثرت كغيرها في سوريا بما كان سائداً من طراز ما قبل الإسلام ومثلها منارة بصرى[٣] .

وفي الرملة جوامع أخرى غير هذا المسجد ومزارات ولكن أهمها على

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ١٩٥ .

(٢) ناصر خسرو: سفرنامة ص٥٤ ، البلوي : تاج المفرق ٢/١٦ .

محمد كردعلي : خطط الشام ٥٦/٦ .

وقد أورد البلوي وصفاً للمسجد نصه: «له صحن كبير جداً ، فيه أشجار وأطيان وجب وآبار فيها ماء كثير عذب نمير ، وفي وسط الصحن مغارة عظيمة كبيرة تفضي إليها أدراج كثيرة فقد قامت على أقواس محنية وأرجل مختلفة مبنية ذكر أن فيها جماعة عظيمة من الأنبياء مدفونين يعدهم النساك بالمئين» .

(3) Cruswell: op. cit. Vol. 2. p. 492.

الإطلاق هذا المسجد وقيل إن في قبلته قبوراً لحوالي ٣٠٠ من الأنبياء عليهم السلام[١] ، وفي مغارته حوالي ٤٠٠ قبراً للصحابة[٢] .

ومن الـذين جددوا في هذا المسجد الجامع صلاح الدين الأيوبي الذي أسند هذا الأمر إلى أمهر مهندسيه المعماريين الياس بن عبدالله وهو من أتباع علم الدين قيصر عين الأمراء في الدولة الصلاحية وذلك عام ٥٨٦هـ[٣] ، وقد عمَّـر القبة الأنيقة في هذا المسجد الظاهر بيبرس بعد عام ٦٦٦هـ ، ولم يكتف هذا السلطان المملوكي بهذا بل عمَّـر المحراب أيضاً والباب المقابل له ، وهذا المحراب يجاور المنبر الذي يخطب عليه إمام الجمع والأعياد الرسمية للدولة ، ولم ينس أن يلتفت بيبـرس إلى المنارة الجميلة فعمرها وجدد الأجزاء التالفة فعادت إلى جمالها ورونقها السابق[٤] ، وقد زالت هذه المنارة وبني غيرها فيما بعد ، وقد تطرق الخراب إلى المدينة حتى أن المسجد القديم (الأبيض) أصبح بظاهر المدينة من جهة الغرب وصار حوله مقبرة أيام الحنبلي صاحب الأنس الجليل (٨٦٠ ـ ٩٢٨هـ)[٥] .

وقد أعاد بناء هذه المنارة على شكلها السابق السلطان المملوكي محمد الناصر بن قلاوون فقد أنشأ المنارة حيث كانت قد خربت وهي من جملة اضافاته الكثيرة وتعـد من عجائب الدنيا في الهيئة والعلو[٦] ، ولا تزال إلى اليوم ماثلة

---

(١) ابن بطوطة : مهذب رحلته ١ / ٥٠ ، نقولا زيادة : الرحالة العرب ص٥٠ .

(٢) الظاهري : زبدة كشف الممالك ص٤٢ ، الحنبلي : الأنس الجليل ٢ / ٦٩ ويقول إن النبي صالح عليه السلام مدفون في مغارة المسجد العجيب في الرملة وهذا وهم .

(٣) البلوي (خالد بن عيسى) : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ٢ / ١٦ ، الحنبلي : المصدر السابق نفسه .

(٤) ابن شاكر : فوات الوفيات ١ / ٢٤٤ ، الحنبلي : المصدر السابق ٢ / ٦٨ .

(٥) الحنبلي : المصدر السابق ٢ / ٦٨-٦٩ .

(٦) المصدر السابق نفسه ، غوستاف لوبون : حضارة العرب تعريب عادل زعيتر القاهرة ١٩٦٩م سنة ١٦٤ / ١٦٥هـ .

للعيان تشهد بعظمة البناء الإسلامي[1] ، وقد فرغ السلطان من بنائها منتصف شعبان عام ٧١٨هـ ، اكتوبر ١٣١٨م[2] ، وقد وصفها المسافرون والزوار بأنها تمتاز عن نظيراتها في العالم ، بل لا يوجد مثلها دلالة على ابداع بانيها الفني وفخامتها ، وهي اليوم تدعى برج الرملة أو برج الأربعين شهيداً وذلك للاعتقاد السائد بأنها قبة مدفون تحتها ٤٠ شهيداً من الصحابة رضوان الله عليهم[3] .

ولا قيمة البتة للرأي القائل إن برج الرملة من بناء الصليبيين لمجرد أنه يذكرنا بالطراز المعماري الذي نقله الصليبيون إلى أوربا ، بل هو بناء عربي إسلامي بدليل طرازه الفني الذي اشتهر به المعمار الإسلامي آنذاك ، وبالكتابة الواردة على أحد الجدران والتي تنص على أن البناء من انشاء محمد بن قلاوون السلطان المملوكي وأنه انشىء في الفترة من ٧٠٠ ـ ٧١٨هـ[4] ، وهذا لا شك ينفي الرأي القائل بأن الحجر قد أضيف للبناء في وقت لاحق لأن الكتابة الموجودة تدل كما تدل حالتها على أنها من تلك الفترة المملوكية التي تم فيها البناء .

ويذكر لنا الدباغ في موسوعته عن فلسطين الموسومة بـ: «بلادنا فلسطين» وصفاً ينبض بالحياة عن برج الرملة السابق الذكر فيقول: «ويرى الناظر من أعلى هذه المئذنة منظراً شائقاً جميلاً يطل على سهول يافا الفسيحة والمغروسة بمختلف أنواع الأشجار المثمرة خاصة من الحمضيات كما يطل على جبال القدس وهضابها»[5] . وأن أطلال المسجد الأبيض الذي بدأ بناءه سليمان بن

(١) لوبون :المصدر السابق ص ١٦٩ .

(٢) البلوي : تاج المفرق ٢/١٦ ويقول: إن هناك على باب تاريخان منقوشان أقدمهما يعود إلى اياس بن عبدالله من جهة علم الدين قيصر مؤرخه ٥٨٦هـ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ١٩٥ ، غوستاف لوبون: حضارة العرب ص١٦٥ .

(٤) المصدران السابقان .

(٥) الدباغ : بلادنا فلسطين جـ/١ ، ق/١ ، ص ٢٨٥ .

عبدالملك وأتمه عمر بن عبدالعزيز تقع بقعته الآن بالقرب من الرملة ولم يبق قائماً منه إلا جدرانه والمئذنة المشهورة السابقة الذكر[1] .

ومن المحدثين[2] من شبَّه هذه المئذنة (البرج) بمئذنة الجيرالدا الأثر الخالد في اشبيلية بالأندلس والتي تعد من أضخم الأبراج الشرقية (دوارة الرياح) ، بينما عدَّ بعضهم المسجد وآثاره من جملة روائع المسلمين في بلاد الشام ، وأن هذا المسجد هو الثالث من بين العمائر الدينية في الشام بعد المسجد الأموي في دمشق والأقصى في القدس[3] .

ولما قدم نابليون من مصر إلى بلاد الشام غازياً لها إبان غزوه للمشرق الإسلامي عام ١٧٩٨م[4] نزل الرملة وأقام مقر قيادته العسكرية في برج المسجد الأبيض ، هذا ويحتفل المسلمون كل ربيع احتفالاً دينياً في بركة النبي صالح الموجودة في المسجد الأبيض[5] ، قبل العدوان الصهيوني الغاشم .

---

(١) المرجع السابق نفسه .

(٢) عفيف بهنسي : الشام لمحات آثارية وفنية ص ١٣٤ .

(٣) فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص ١٢٨ .
فيليب حتى : تاريخ العرب مطول ٢/ ٢٨٦ .
احمد عطية : القاموس الإسلامي ١/ ٥٧٤ .

(٤) الموسوعة العربية الميسرة ص ٨٨٠ .

(٥) الصايغ (أنيس) : بلدانية فلسطين المحتلة ـ بيروت سنة ١٩٦٨ ص ١٦٦ .

الأســـوار:

ومـدينة الرملة شأنها شأن مدن العصور الوسطى جميعاً قد أقيمت حولها الأسوار لتحميها من المفاجآت والطوارىء ولتساعد في نشر الأمن والنظام والاستقرار(١) .

وقد زار المدينة الرحالة ناصر خسرو كما مر بنا عام ٤٣٨هـ/ ١٠٤٧م وذكر أن للرملة أسـواراً عالية متسعة من الحجر والجبص منيعة متينة وعلى الأسوار أبواب من الحديد(٢) .

وذكر يحيى الأنطاكي(٣) أنَّهُ في عام ٤٢٥هـ شهدت الرملة زلزال عنيف أودى بنصف مدينـة الـرملة فتهدمت الأسوار والمنشآت العمرانية في المدينة وهرب السكان إلى القدس والجبال ، وأن الذي أعاد بناء السور من جديد هو الظاهر بيبرس من جملة تجديداته العمرانية في المدينة كما مر بنا عام ٦٦٦هـ .

ولـم تسعفنا المصادر المتوفرة بأسماء من بنى أسوار الرملة وفي أي زمن تـم ذلـك إلا تجـديد الظاهر بيبرس لسور الرملة بعد سور القدس . والمعتقد أن الأسوار لا تقام إلا بعد مدة من إقامة المدينة حيث تصل أقصى ما يمكنها أن تصله وبعد ذلك تقام الأسوار ، وقد تقتضي الحاجة اقامة أكثر من سور حول المدينة ، وما ينشأ من تطور المدينة خارج الأسوار تصبح أرباضاً بحاجة إلى

---

(١) الحميدي : الروض المعطار ص ٢٦٨ ، لم يذكر لنا من باني الأسوار وفي أي زمن .

(٢) ناصر خسرو: سفرنامة ص٥٤/ ٥٥ لم يذكر لنا من باني الأسوار وفي أي زمن .
الحنبلي : الأنس الجليل ٢/ ٦٩ .
دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ١٩٥ .

(٣) يحيى بن سعيد الأنطاكي : تاريخ الأنطاكي بذيل تاريخ ابن البطريق ص٢٧٢ .
ابن كثير: البـداية ١٢/ ٣٦ يقـول سقط جزء من حائـطهـا (سورها) دون أن يشير إلى اصلاحات بيبرس .

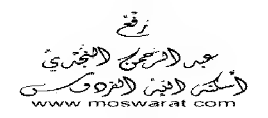
أسوار جديدة مع تقدم الزمن .

ولا بد أن يكون للأسوار أبواب تصل داخل المدينة بخارجها وتقذف بالزوار والسكـان يومياً من المدينة وإليها وعبرها تصل المواد الضرورية للحياة حيث توزع على الأسـواق ، وكان لمدينة الرملة حوالي اثني عشر باباً[1] ، وقد ذكر الحميري[2] منها : باب القدس ، باب عسقلان ، باب يافا ، باب يازور ، باب نابلس ، باب الزيتون . . وغيرها من الأبواب .

---

(١) الحميري : الروض المعطار ص ٢٦٨ .
الأنس الجليل ٢ / ٦٩ .

(٢) المصدران السابقان نفسيهما .



الشوارع والدروب والأسواق :

إن من سمات المدينة أن تكون شبكة مواصلاتها الداخلية منتظمة وميسورة ومأمونة وأن توفر هذا فمعناه استمرار نموها وازدهارها وإلا فلا ، ودلالة على حسن التنظيم والترتيب مما يؤمن وصول الخدمات للمواطنين بانتظام وسهولة ويسر .

وفي الرملة وجدت عدة دروب وشوارع عرف منها : درب بئر العسكر ، درب مسجد عَنَّبة ، درب بيت المقدس ، درب بيلعة ، درب لد ، درب يافا ، درب مصر ، درب داجون[1] ، وقد مدح المقدسي هذه الدروب والشوارع ونعتها بالاتساع والنظافة[2] ، وقد حملت هذه الدروب أسماء المدن الفلسطينية المجاورة للرملة وإقليمها ، كما حملت أسماء أماكن هامة .

ووجدت كذلك عدة أسواق في المدينة كانت تعج بالمحلات التجارية الملأى بمختلف البضائع الواردة من خارج الرملة ، والملاحظ أن تلك الأسواق كان بها شيء من التخصص وكلها تقع داخل سور المدينة وترتبط بشكل أو بآخر بأبوابها السالفة الذكر ، فكأن هذه الأبواب مفاتيح تلك الأسواق يفد منها السكان المجاورون للرملة للبيع والشراء ، أي أنها كانت مركزاً تجارياً في الشام الجنوبية وتتصل بالخارج عبر ميناءي يافا وإيلة[3] .

وأهم أسواق الرملة ، سوق القماحين الذي يصل باب يافا بالمسجد الجامع داخل المدينة وتكون نهايته بجانبه ، وقد مدح الحميري[4] هذه السوق

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٦٥ ، وبيت داجون هي مدينة بيت دجن الحالية وتتصل بالرملة .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) الحميري : الروض المعطار ص ٢٦٨ .
الحنبلي : الأنس الجليل ٢/٦٨ .

(٤) الحميري : الروض المعطار المصدر السابق نفسه .

بقوله: «وهي سوق حسنة يباع فيها أنواع السلع المختلفة» ، بمعنى أنها سوق عامة للجميع .

ويصف الحنبلي[1] هذه السوق ويضيف أنها تتصل بسوق البصالين وبالمسجد الجامع ، وسوق البصالين هذه تشبه سوق القماحين من حيث أنها سوق عامة وحسنة .

ويتصل بباب القدس سوق القطانين وهذا يتصل بسوق المشاطين الكبار (الكتان) ويمتد إلى أن يتصل بسوق العطارين ومنه إلى المسجد الجامع داخل المدينة[2] ، وكذلك يتصل بباب يازور سوق الخشابين ويمتد إلى سوق الجزارين إلى أن يتصل به ثم يتصل سوق الجزارين بسوق السقائين ويمتد عبره إلى المسجد الجامع وسط المدينة[3] ، ويتصل سوق الخشابين من نفس الباب بعدد من الأسواق الأخرى كسوق الأكافين وسوق الصياقلة وسوق السراجين إلى أن يصل إلى المسجد الجامع[4] وهناك سوق البز[5] .

وقد مدح ابن بطوطة وغيره هذه الأسواق وحسنها وتنظيمها وسير حركتها التجارية[6] ، ويلاحظ أن مجموع هذه الأسواق تتصل بالمسجد الجامع في

---

(١) الحنبلي : الأنس الجليل ٢/ ٦٨ .

(٢) الحميري : الروض المعطار ص٢٦٨ ، الحنبلي : الأنس الجليل ٢/ ٦٨ .

(٣) الحميري : المصدر السابق نفسه .

(٤) سوق الأكافين: سوق صناعة الأقتاب للجمال والسروج للخيول والبراذع للحمير والبغال .

سوق الصياقلة: سوق صقل السيوف وصناعة الأدوات الحربية .

سوق السراجين: سوق لصناعة السروج وما يتبعها من لوازم الخيل وغيرها ، (الديوه جي : قلعة الموصل ص٩٥ حاشية «٦») .

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٦٠/ ٦١ .

(٦) ابن بطوطة: مهذب رحلة ابن بطوطة ١/ ٥٠ ، نقولا زيادة: الرحالة العرب ص١٣٣ . =

الوسط على اعتبار أن المسجد هو مركز المدينة وقلبها النابض بالحياة ، وكانت الحركة التجارية نشيطة حيث يفد للمدينة سكان المدن والقرى المجاورة للبيع والشراء وذكر أن للرملة ٤ آلاف ضيعة[1] ، ومدح المقدسي تجارة الرملة بقوله : «والتجارة بها مفيدة والمعايش حسنة»[2] .

= البلوي (خالد بن عيسى) : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ٢ / ١٥-١٦ وقدم وصفاً رائعاً للمدينة بكاملها .

(١) الحميري والحنبلي : المصدران السابقان .

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٦٤ .
البلوي : المصدر السابق نفسه .

القلعة :

القلعة ، سمة من سمات مدن العصور الوسطى ، وهي أمنع مكان في المدينة وفي العادة تقام القلعة في مكان مرتفع استراتيجي من أسوار المدن وترابط فيها حامية عسكرية ولها نائب عن الحاكم يمثله ، وهو عينه يحفظ له الأمن والنظام والاستقرار .

والرملة كغيرها من مدن العصور الوسطى أقيمت بها قلعة ، ولكن المصادر لا تسعفنا بالمعلومات الوافية عن هذه القلعة ولم تذكر لنا من بناها وهل هي إسلامية كالمدينة أم أنها أقيمت حول أثر غير إسلامي مع إيماننا بأن الرملة وقلعتها إسلامية البناء والمنشأ والتخطيط .

والشيء المؤكد أن هذه القلعة وجدت بعد سليمان ، ولم تكن من تخطيطه لأن المصادر تصمت عن ذكرها في أيامه وتكتفي بالقول إن سليمان بن عبدالملك بنى قصره ودار الصباغين ومسجده أول الأمر ، ثم أمر الناس بالبناء فأقاموا دورهم .

وذكر ابن الأثير وابن خلكان والحنبلي[1] أن للمدينة قلعة دون أن يذكروا لنا شيئاً عن تفاصيل البناء يساعدنا في رسم صورة واضحة لها ، إلا أن ابن خلكان أشار إلى أن صلاح الدين الأيوبي قد أخرب قلعة الرملة عام ٥٨٧هـ يوم الأربعاء الثالث من رمضان ، وذلك لكي لا يستغلها الصليبيون كقاعدة منيعة ينطلقون منها إلى الجهات القريبة ثم إلى بيت المقدس فيما بعد .

---

(١) ابن الأثير: الكامل ١٢/٧٢ ويقول خرَّب صلاح الدين حصن الرملة وكنيسة لد .
ابن خلكان : وفيات الأعيان ٧/ ١٩٩ .
الحنبلي : الأنس الجليل ٢ / ٦٨ .

بركة النبي صالح :

مر بنا أن مسجد الرملة الأبيض هو من تخطيط سليمان بن عبدالملك وأنه مات ولم يتمه وتم البناء بشكل مختصر أيام عمر بن عبدالعزيز ، ثم أضيفت إليه إضافات كثيرة أيام الأمويين والعباسيين وصلاح الدين والمماليك .

وقد ذكر ناصر خسرو[1] أثناء زيارته للرملة أن في وسط جامعها الأبيض صهاريج واسعة يجتمع فيها الماء فيأخذ منه من يشاء ، وذكر الحميري أن النبي صالح عليه السلام قد نزل بالرملة وقيل إنه ارتحل إلى مكة وتوفي فيها وقبره بين دار الندوة والحجر غربي الكعبة[2] ، وكانت منازل ثمود قوم صالح عليه السلام تقع شمال الحجاز في دومة الجندل والحجر وغربي تيماء فيما يعرف اليوم بالخربية[3] ، وليس كما هو مشهور في مدائن صالح .

وجاء في الأنس الجليل للحنبلي[4] أن في وسط مسجد الرملة الأبيض مغارة يقال إنها مدفن النبي صالح عليه السلام ، وسار على نفس النهج من المحدثين أنيس صايغ في كتابه الموسوم ببلدانية فلسطين حيث أضاف أن المسلمين يحتفلون في كل ربيع حول بركة النبي صالح الموجودة في المسجد الأبيض الكبير .

ومن خلال استقراء هذه الروايات يتبين أن حكاية مدفن النبي صالح كما جاء بها الحنبلي غير معقولة لأن الحميري الذي ذكر نزول النبي صالح أرض الرملة لم يشر إلى موته فيها بل أشار إلى أنه رحل مرة ثانية إلى الكعبة في مكة المكرمة وأن قبره غربيها بين الحجر ودار الندوة ، ثم إن المعاصرين لبناء الرملة في مراحلها الأولى لم يشيروا إلى أن هناك مغارة للنبي صالح عليه السلام ، وام

---

(١) ناصر خسرو: سفرنامة ص٥٤/٥٥ .

(٢) الحميري : الروض المعطار ص ٢٦٨ .

(٣) محمد الطيب النجار: تاريخ الأنبياء دار الاعتصام ١٤٠١ - ١٩٨١م ص٩٠ .

(٤) الحنبلي : الأنس الجليل ٢/ ٦٩ .

يذكروها البتة ، ثم إذا سلمنا بنزول النبي صالح عليه السلام أرض الرملة وأن قبره في مغارة في صحن مسجدها الأبيض فمعنى هذا أننا نناقض من قالوا بأن الرملة كلها من مستحدثات الإسلام على يد سليمان بن عبدالملك أيام خلافة أخيه الـوليد بن عبـدالملك ، وأن دحض آرائهم لم يثبتها البحث الحديث ، وحتى من كتب عن الرملة في الحديث وحاولوا البت في قضية هل الرملة مدينة إسلامية محدثة أم أنها قبل الإسلام ، لم يتوصلوا إلى شيء من هذا القبيل[1] ، ويجب أن نشير إلى أن ابن الأثير[2] قد حذا حذوه الحميري ويمكن أنه نقل روايتـه عنه وأن الحنبلي[3] بدوره أخذ عن الاثنين وتوسع في القضية وقال إن المغارة مدفن النبي صالح عليه السلام .

والخلاصة أنه لم يثبت أن هناك مدفن للنبي صالح في صحن مسجد الرملة الأبيض من خلال المصادر المعاصرة لعملية البناء ، ثم إن الحميري[4] الذي قال بهذه الرواية لم يشر إلاَّ إلى نزول النبي صالح أرض الرملة وقال إن قبره غربي الكعبة في مكة ، ولكن كل هذا لا ينفي أن سكان الرملة الآن يعتقدون بقدسية المكان ويقيمون احتفالاتهم السنوية في الربيع[5] كل عام وفق اعتقادات تناقلوها جيلاً بعد جيل ، حول البركة الكبيرة في وسط الجامع الأبيض كما أشار ناصر خسرو[6] .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ١٩٥ ، وقال كاتب المقال هونج مان : (ونحن لا نعرف على وجه اليقين هل كانت ثمة مدينة قديمة تقوم في موقع مدينة الرملة وأن هذه المسألة موضع خلاف ، وقد نبذ الرأي القديم الذي يقول إن الرملة هي مدينة «إريماثيا» أو «رمثة» أو رماثيام وأما الاسم القديم napem Bona أي المعسكر فهو اسم موضع كثيراً ما أطلق على أماكن في فلسطين نذكر منها على سبيل المثال معسكر بيت المقدس) .

(٢) ابن الأثير: الكامل ٢/ ٩٣ ، الحميري : الروض المعطار ص٢٦٨ .

(٣) الحنبلي : المصدر السابق ٢/ ٦٩ .

(٤) الحميري : المصدر السابق نفسه .

(٥) أنيس صايغ : بلدانية فلسطين ص١٦٦ .

(٦) ناصر خسرو: سفرنامة ص٥٤/ ٥٥ .

بركة القديسة هيلانة :

وهـذه البـركة عبارة عن صهريج ماء كبير يعرف بعنيزية تقع إلى الشمال الغربي من مدينة الرملة بقرب طريق الرملة ـ يافا ، وبها كتابات كوفية ترجع إلى ذي الحجة عام ١٧٢هـ مايو ٧٨٩م إلى أيام هارون الرشيد الخليفة العباسي المشهور(١) .

وهذه البركة (البئر) أو الصهريج قد وصفها كروزويل(٢) وصفاً دقيقاً يتم عن ادراك حسن لما يقوله وذكر أن مخطط هذا البئر (الصهريج) بشكل عام رباعي غير منتظم وينقسم إلى ست بلاطات بواسطة خمس بائكات كل منها يتضمن أربعة عقود تتجه من الشرق إلى الغرب ، وهذه البائكات تقطعها ثلاثُ باتجاه شمالي جنوبي ، وكل منها يتضمن ستة عقود ترتكز على دعائم مصلَّبة القطاع ، وهناك درج داخل الركن الشمالي الشرقي للبئر ، وتوجد به فتحات علوية يبلغ عددها ٢٤ في أقبية البئـر ، وتمتاز كتابات البئر بأنها تحوي بداية توريق من الناحية الفنية .

والعقـود المـدببة هي من استعمالات المسلمين حيث كانت العقود قبل الإسـلام هي العقود النصف دائرية وقد ظهرت هذه العقود المدببة في عمائر المسلمين وتشـاهد في عدة أبنية منها خزانات المياه في الرملة التي تتحدث عنهـا(٣) ، وإن الـدعـامة بشكل عام هي الأخرى معروفة قبل الإسلام ولكنها استعملت في العهد الإسلامي للاستغناء عن العمد كما هو في خزانات الرملة وغيرها كالمسجد الأموي وقبة الصخرة(٤) .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١٠/٩٥ .

(٢) حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية دار النهضة ١٩٧٩م ، ص ٢١٦ .

Crus well: Ashort Account of Early Muslim Architecter p. p. 228 - 230.

(٣) احمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) ص ١٢٠ .

(٤) المرجع السابق نفسه ص ١١٩ .

وقد جاء في تسمية هذه الخزانات أنها بركة الخيزران[1] وأنها تقع بالقرب من الـرملة واعتقدُ أن هذه التسمية جاءت لأن هذه الخزانات من بناء هارون الرشيد والخيزران والدته فلا غرابة إذن أن تسمى الخزانات بركة الخيزران وأما تسميتها ببركة هيلانة ، فأظن أن لها صلة بالحروب الصليبية وأنها من أثر احتلال الـرملة لمـدة طويلة من قبـل الصليبيين ، وإذن فالأصح أن نطلق عليها بركة الخيزران أو خزانات (صهاريج) الخيزران .

(١) الحموي : معجم البلدان ١ / ٤٠٢ ، المشترك ص٥٤ .

المدارس والحمامات والمزارات والربط والفنادق:

جرت العادة أن تضم المدينة في العصور الوسطى الفنادق والحانات والربط والمزارات وهي من مكملات المدينة آنذاك ، والرملة قد تمتعت بوجود مثل هذه المنشآت والعمائر فوق رقعتها مما ساعد على ترسيخ الوجود البشري فيها .

وقد أشاد المقدسي[1] في القرن الرابع الهجري بتلك العمائر فقال:

(مدينة الرملة جامعة الأضداد بين رساتيق جليلة ومدن سرية ومشاهد فاصلة وقرى نفيسة . . . موضوعة بين رساتيق زكية ومدن محيطة ورباطات فاضلة وفنادق رشيقة وحمامات أنيقة . . . وفي الحمام ديوان ويدور في الدولاب خدام) .

ولا شك أن مثل تلك الأبنية يدفع بالحركة التجارية قدماً في مسارها الصحيح خاصة إذا توفرت إلى جانب الأسواق التي تشجع على اجتذاب سكان القرى المجاورة ، ويجب أن لا ننسى أن الرملة في الأساس قبل أن يخططها سليمان بن عبدالملك ويباشر عملية البناء كانت رباطاً للعسكر[2] مما يبرهن على أن المدينة تتصف بالصفة العسكرية منذ انشائها ، كما توجد خانقاه في الرملة وهي مهدومة الآن[3] .

هذا وقد أشار الظاهري[4] إلى أن الرملة ، إقليم يشتمل على قرى عديدة

---

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم ص ١٦٤/ ١٦٥ .

(٢) الحموي: معجم البلدان ٣/ ٦٩ ، دائرة المعارف للبستاني ص٦٧٧ .

(٣) محمد كرد علي: خطط الشام ٦/ ١٥٦ .

(٤) الظاهري: زبدة كشف الممالك ص٤٢ .

محمد كرد علي: خطط الشام ٦/ ١٣١ .

ويشير إلى مدارس الرملة بلغة الجمع وذلك في القرن التاسع الهجري ولعل هذا خارج بحثنا الذي قصدنا إليه ، ولكن يحتمل أن يكون فيها مدارس من الفترة التي نكتب عنها .

وهي حسنة بها جوامع ومدارس ومزارات ، بها الجامع الأبيض وقبور الصحابة أربعون قبراً وقبران من أخوة يوسف وقبر أبي هريرة وسلمان الفارسي .

ونلاحظ أن كلمة مدارس جاءت بصيغ الجمع إشارة إلى أن الرملة كانت تضم عدداً من المدارس خاصة إذا عرفنا أن الرملة زخرت بأعداد كثيرة من العلماء والحفاظ والقراء والأدباء والشعراء في شتى عصورها المختلفة ، ولا بأس أن نورد هنا بعضاً من المزارات الموجودة في الرملة ومنطقتها .

وقد أشار الحنبلي[1] إلى عدد من الصحابة والصالحين رضوان الله عليهم توفوا فوق تراب الرملة ومنطقتها حتى قبل أن تصبح الرملة مدينة إسلامية ولأضرحتهم شيء من القداسة لدى سكان المدينة وضواحيها ، ومنهم :

عبادة بن الصامت وأبو سعيد عبدالرحمن بن ابراهيم الدمشقي ، والإمام المحدث أبو عبدالرحمن بن شعيب النسائي ، وقيل إن قبره ملاصق للحائط الشرقي للجامع الأبيض وقيل بل توفي في عكا[2] ، والشيخ الزاهد أبو عبدالله البطائحي المتوفى عام ٣٥٧هـ وقبره مشهد بحارة الباشقردي وهذا المشهد تكلله الهيبة والأنس والوقار وفيه اعتقاد باستجابة الدعاء ، وضريح الشيخ محمود العدوي في حارة العنابة بالرملة وهو مقصود للزيارة والتبرك[3] ، وضريح أبي العباس الاشموني وهو ممن يتمتعون باحترام الناس والاعتقاد فيه على جانب كبير ، وضريحه مقصود من كافة الفئات للتبرك والدعاء[4] .

ويوجد بظاهر الرملة من الغرب مشهد يقال إن به ضريح سيدنا روبيل بن

---

(١) الحنبلي : الأنس الجليل ٢ / ٧٠ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) الحنبلي : الأنس الجليل ٢ / ٧١ .

(٤) المصدر السابق نفسه . والاعتقاد بكرامة مثل هؤلاء رغم صلاحهم شيء فيه كثير من التجاوز .

يعقوب وهو مأنوس ويزار للتبرك والدعاء ، وحتى الآن يقام هناك موسم سنوي يجتمع فيه الناس من جنوب فلسطين من غزة والرملة ويقيمون أياماً يتلون كتاب الله ويدعون تبركاً بصاحب الضريح[1] ، وهنا يجب أن نشير إلى أن التبرك بهذه الأضرحة واتخاذها وسيلة لنيل رضى الله وطلب غفرانه باطل وليس من الدين في شيء وإن الله قريب يجيب دعوة الداعي بلا وسيلة كالأضرحة والقبور وغيرها .

---

(١) الحنبلي : الأنس الجليل ٢/ ٧٢ ، كان هذا قبل العدوان الصهيوني على فلسطين موجوداً .
محمد كرد علي : خطط الشام ٦/ ١٥٩ .

الفَصْل الثالِث

الحَيَاة الاجتمَاعيَّة



السكان وعناصرهم :

انشئت مدينة الرملة إسلامية السكان ثم توالت عليها عهود كثيرة فخضعت للأمويين والعباسيين ، ثم شهدت فترات من الحكم العباسي بما اعتراه من قوة وضعف ، كما شهدت الحكم الـ طولوني المستقل في مصر ثم الحكم الإخشيدي فالحكم الفاطمي فالسلجوقي فالصليبي فالأيوبي فالمملوكي فالعثماني فالإنجليزي الاستعماري فالعربي فالاستعمار الصهيوني الغاشم الآن .

وكانت الرملة منذ إنشائها قاعدة لإقليم فلسطين وكانت العاصمة قبلها مدينة لد وعمواس ، وظلت الرملة كذلك مركزاً إدارياً لفلسطين في العصر الأموي والعباسي والطولوني والإخشيدي والفاطمي حتى الحكم السلجوقي القصير والسيطرة الصليبية .

ويجب أن ننوه إلى أن فترة الحكم الطولوني والأخشيدي والفاطمي للرملة تمثل نقطة تحول في تاريخ المدينة إذ أصبحت مركز الثقل في جنوب الشام وكانت خاضعة لمصر ، ومرت فوق رقعتها أحداث جسام منذ إنشائها كهزيمة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية عام ١٣٢هـ ، كما شهدت المدينة الحروب الدامية التي حدثت بين العباسيين وكلٍ من الطولونيين والإخشيديين والفاطميين ، وبين الفاطميين والسلاجقة فيما بعد حتى خضعت للنفوذ الصليبي ثم شهدت جزءاً من المعارك الصليبية مع صلاح الدين .

وفي فترة الاحتلال الصليبي (٤٩٢ - ٥٨٣هـ) تبوأت الرملة وضعاً متقدماً في مملكة بيت المقدس اللاتينية إذ أصبحت مركزاً لأبروشية جديدة إلى جانب اللد التي أصبح مركزها متقدماً[1] ، وبذا أصبح لأسقف الرملة دوره القيادي في المملكة ، ففي عام ١١٠٠م مات جودوفري فكان روبرت أسقف الرملة أحد

(١) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ١/ ٣٩٠ .

أعضاء الوفد المسافر إلى الرها لاستدعاء بلدوين شقيق جودوفري ملك بيت المقدس ليتدبروا أمر المملكة اللاتينية في فلسطين(1) .

والمهم أن الرملة قد حافظت على طابعها الإسلامي حتى الاحتلال الصليبي الذي جلب سكاناً أوروبيين للمدينة من عنصر جديد .

ويتبين لنا من خلال هذا السرد التاريخي السريع أن سكان الرملة هم : العرب ، الأتراك ، الفرس ، السامريين(2) ، المغاربة(3) .

١ ـ العـــرب :

ومنذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي انقسم جنوب الشام من جنوب دمشق إلى حدود الإقليم المصري إلى قسمين : قسم فلسطيني قاعدته الرملة والنفوذ فيه لقبيلة طي ، وقسم دمشقي قاعدته دمشق وفيه النفوذ لقبيلة كلب(4) ، وقد خضع القسم الجنوبي بفرعيه الفلسطيني والدمشقي رغم وجود طي وكلب فيه للنفوذ الفاطمي الشيعي ، وكانت أهداف الفاطميين كما هو معروف تتلخص في القضاء على الخلافة العباسية وحماتها من البويهيين والسلاجقة وإقامة خلافة شيعية واحدة بدلها ونشر سيطرتهم من ثمَّ على العالم الإسلامي برمته ، ويجب أن نشير إلى أن هؤلاء استطاعوا نشر سيطرتهم على مصر والشام وشمال أفريقيا وغيرها وهددوا الخلافة العباسية حتى أنهم استطاعوا طرد الخليفة العباسي القائم من بغداد وإقامة الدعوة الفاطمية فيها عام ٤٥٠ ـ

---

(١) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ١/ ٤٤٥ .

(٢) اليعقوبي : البلدان ٣٢٨ لم يذكر الأتراك لأنهم قلة آنذاك ، ابن حوقل : صورة الأرض ١٥٩ وذكر أن في الرملة ٥٠٠ سامري .
دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ١٩٥ .

(٣) قدموا المدينة مع الاحتلال الفاطمي للرملة ثم من بقايا الجنود الذين سكنوها فيما بعد .

(٤) سهيل زكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ط/٢/ ١٩٧٥م ص٦٨ .

٤٥١هـ على يد أحد القادة الأتراك الذين غضبوا على القائم وتآمروا عليه لحساب الخلافة الفاطمية(١) ، ونشروا مذهبهم الذي سار في تلك الربوع على مستوى الدولة فقط ، وليس على مستوى الشعوب(٢) ، وظل العرب في بلاد الشام عموماً يتحالفون ضد العناصر الأخرى كما حصل عام ٤١٤ / ٤١٥ عندما قام التحالف الثلاثي في بلاد الشام والمكون من قبائل طي وكلب وكلاب بزعامة حسان بن المفرج زعيم منطقة الرملة وفلسطين وسنان بن عليان زعيم كلب ودمشق ومنطقتها وصالح بن مرداس السلمي صاحب حلب وزعيم قبيلة كلاب وتم الاتفاق بين هذه القبائل على ما يلي :

أ ـ إقامة دولة طائية في فلسطين ومركزها العاصمة الرملة .

ب ـ إقامة دولة كلبية في دمشق ومنطقتها .

جـ ـ إقامة دولة كلابية في حلب وشمال الشام(٣) .

ومهما يكن فقد سيطر العرب في القرنين الرابع والخامس الهجريين على جنوب الشام في فلسطين أيام الفاطميين فاستطاع بنو الجراح الطائيين السيطرة على هذه البقاع ، وكان مفرج بن دغفل زعيم بني الجراح الطائيين والمتوفى عام ٤٠٤هـ أول من استطاع أن يكوِّن إمارة طائية له في الرملة والقدس وغيرهما من الأماكن في بلاد الشام(٤) ، واستطاع حسان بن مفرج بن دغفل أن يسيطر على جنوب الشام بعد تحالفه السابق مع حلب ودمشق ، وظلت السيادة له حتى عام ٤٢٠هـ حيث انتصر عليه الفاطميون مع حلفائه وشتتوا شمل طي وكلب

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٩/ ٦٠٠ ، أبو الفداء: المختصر ٢/ ١٧٣ .

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٥/ ٥٦ .

محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية ص ١٨٦، ١٣٦٩هـ/ ١٩٧٦م .

(٢) سهيل زكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ص٦٩/ ٧٠ .

(٣) سهيل زكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ص٧٠/ ٧١ .

(٤) مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين جـ/١ ، ق/٢ ، ص٣٩٣ .

وكـلاب[1] ، وفي القـرن السـادس الهجـري آل الأمر إلى فضل بن ربيعة بن حازم بن علي بن مفرج بن دغفل زعيم آل الفضل أمراء عرب الشام من نسل بني الجراح الطائيين أمراء عرب الشام ، وقد اشتهر هؤلاء أيام محمود بن نورالدين زنكي وخلفهم في السيادة والظهور في فلسطين آل الفاعور في تزعم قبائل طي في المنطقة[2] ، ومن أهم القبائل العربية الطائية التي نزلت فلسطين بنو لام وقد تبـع هؤلاء إلى بني الفضل السابق ذكرهم والذين ينتمون إلى ربيعة[3] ، وبنو ربيعة هؤلاء هم بنو ربيعة بن حازم بن علي بن مفرج بن دغفل بن جراح ، ونشأ ربيعة هذا أيام الأتابك محمود بن زنكي كما مر ، وكان أمير عرب الشام أيام طغتكين المتوفى عام ٥٢٢هـ .

ولما آلت دمشق إلى نورالدين وفد عليه ربيعة وحسنت علاقته به وكان لربيعة أربعـة أولاد هم : الفضـلُ ومرٌّ وثابت ودغفل[4] ، وهناك قبائل أخرى سكنت فلسـطين منهـا بنـو لخم وجـذام وعـامله وكنده وقيس وكنانة[5] ، وذكر ياقوت الحموي عند كلامه عن مدن وقرى فلسطين أن تميم الداري وقومه قد سكنوا الخليل وجهاتها[6] ، وأن جذام قد اتخذت من معان معقلاً لها[7] ، وأن السبع كانت ملكا لعمر بن العاص[8] ، وأن رفح آخر جند فلسطين منزل لخم وجذام

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) الدباغ : بلادنا فلسطين جـ/١ ، ق٢ ص٣٩٣ .

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ٤/ ٢٠٣ ، وأضاف القلقشندي نقلاً عن الحمداني أنه ظهر من ربيعة أيام الكامل الأيوبي ماتع بن حديثة وغنام بن طاهر ، وزامل بن علي بن حديثة وأخوه أبو بكر زمن أيبك وقلاوون وأن آل ربيعة من طرا من كهلان من القحطانية .

(٥) اليعقـوبي : كتـاب البلدان بذيل الاعـلاق النفيسة لابن رستة ص ٣٢٩ ، الخالدي : ص١٤ نقلاً عن اليعقوبي .

(٦) الحموي : معجم البلدان ٢/ ٢١٢ .

(٧) الحموي : معجم البلدان ٤/ ١٣١ .

(٨) الحموي : معجم البلدان ٣/ ١٨٥ .

وأنهم قد احترفوا اللصوصية نظراً لموقعهم بين الشام ومصر[1] ، وأن كنانة سكن قسم منها عسقلان وجهاتها[2] ، وهناك بنو سيبان بطن من حمير[3] ، وجماعة من عرب كريب بن ابرهة بن الصباح اليمني[4] ، وجماعة من بني جعونة بن شيطان بن وهب بن خنس بن ثعلبة بن تيِّم[5] .

وهكذا سيطر العرب على بلاد الشام الجنوبية منذ الفتح الإسلامي وأصبحوا مادة الحياة في تلك الربوع وكان لهم حق الصدارة في حكم المنطقة أيام الراشدين والأمويين والعصر العباسي الأول حتى دخول الأتراك فأخذ هؤلاء يتدخلون في الحكم بعد ذلك في كافة أقاليم الدولة وأصبحوا هم المتنفذين فتراجع دور العنصر العربي وتقدمت عليه العناصر الفارسية والتركية ، وقد شهدت فلسطين ثورات من هذا القبيل لاعادة مجد العرب في الدولة الإسلامية ، كثورة المبرقع اليماني وعيسى بن الشيخ الشيباني وثورات آل الجراح الطائيين وظلوا يتولون قيادة المنطقة رغم كل شيء أيام الفاطميين لفترة طويلة كما مر معنا في ثنايا البحث .

٢ ـ الأتـــراك :

لقد بدأ الأتراك يدخلون بشكل ملحوظ إلى الدولة الإسلامية ويعتنقون الإسلام منذ أيام المعتصم الذي جلب منهم أعداداً كبيرة واضطر أن يبني لهم

---

(١) الحموي : معجم البلدان ٣/ ٥٤ـ٥٥ .

(٢) الحموي : معجم البلدان ٥/ ٤٠ ، المشترك ص ٣٨١ .

(٣) الذهبي : الكاشف جـ/١ تحقيق عزت علي عيد عطية وزميله ، دار الكتب الحديثة بمصر ط/١ ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ، ص٣٤١ .

(٤) الهمذاني : الاكليل ، جـ/٢ تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٠م ، ٢/ ١٥٤ ـ ١٥٥ .

(٥) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب طبعة بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، دار الكتب العلمية ص١٧٥ ، ٢٢٣ .

سامراء إثر تدخلهم في شؤون المواطنين وحياتهم ، وقد وصل هؤلاء إلى المناصب الرفيعة في الدولة بعد ذلك ، وأصبحوا هم قادة الجيش ومقاتليه وتسلطوا على الخلفاء قتلاً وسملاً وعزلاً وتشريداً .

وقد جاؤوا إلى جنوب بلاد الشام في عصر قوتهم وازدهارهم بشكل محاربين ليخمدوا ما حصل به من ثورات باسم الخلافة العباسية منذ أيام عيسى بن شيخ الشيباني أيام المستعين المعتز والمهتدي والمعتمد العباسيين ، وتمكن أحد قادة الأتراك ويدعى مأجور أو أماجور من اخماد حركة عيسى بن شيخ العربية ضد التسلط التركي وأصبح العرب مجرد سكان المنطقة والحكم بيد الولاة الأتراك .

ثم عندما سيطر احمد بن طولون وأقام الدولة عام ٢٥٤هـ في مصر والشام ثم قيام الدولة الإخشيدية بعد ذلك زاد نفوذ الأتراك وأصبحوا كثرة في بلاد الشام الجنوبية ومصر ، وقد زاد عددهم بعد سيطرة السلاجقة على دار الخلافة العباسية وقد توجه اتسزا بن أوق قائد السلاجقة وفتح القدس والرملة عام ٤٦٣هـ[١] ، ثم قوي نفوذ الأتراك بفلسطين عندما قدم تتش واستطاع أن يستخلص بلاد الشام جميعها من نفوذ اتسز بن أوق بل وقتله عام ٤٧١هـ[٢] ، وأقطع الرملة والقدس لقائده أرتق بن اكسب الذي ظل أولاده في القدس حتى أعادها الفاطميون عام ٤٩٢هـ .

---

(١) ابن الأثير: الكامل ١٠/٦٨ .
البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص٣٧-٤٢ .
سعيد عاشور: الحركة الصليبية جـ/١ ، ط/٣ سنة ١٩٧٥م ، ص١٠٢ .
حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام ٤/٢٣ .
(٢) ابن الأثير: الكامل ١٠/ ١١١ حوادث ٤٧١هـ .
ابن شداد: الأعلاق الخطيرة جـ/٢/ ١٨٣ .

٣ ـ الناووكية (التركمان) :

وهؤلاء جماعة من التركمان ناصبوا السلاجقة العداء ولم يرتاحوا إلى حكمهم فرحلوا صوب بلاد الشام ودخلوا ضمن الدول الموجودة آنذاك ، واستطاع هؤلاء أن يستولوا على حصن عمان في البلقاء وأقاموا فيه وملك التركمان الشام بأسره بعد ذلك ، وقدموا إلى الرملة عاصمة جنوب الشام (فلسطين) وكانت خراب وقتذاك ليس بها أحد ولا لسوقها أبواب فعملوا على تجميع الفلاحين من جهات جنوب الشام وطلبوا إليهم تعمير الرملة لتعود إلى سالف عهدها ، وكانت تلك الجهات كلها أشجار زيتون فضمنوا الزيتون بتلك الجهات بثلاثين ألف دينار كما قرروا قسمة البلاد على النصف فذكر أنهم باعوا من الزيتون في تلك الأثناء بثلاثماية ألف دينار وأخذ التركمان منها ثلاثين ألف دينار والباقي أخذه الفلاحون وذلك عام ٤٦٤هـ .

ويجب أن ننوه إلى أن هؤلاء التركمان قد انضم إليهم عناصر مختلفة من البلاد التي احتلها السلاجقة وتكونت جبهة مضادة من هذه العناصر للحكم السلجوقي وانساحوا في البلاد حتى وصلوا جنوب غرب بلاد الشام ، وان هذه الجماعة لم تدن للسلطان السلجوقي بالولاء .

وعلى العموم فإن جملة الأعمال التي قام بها الناووكية في جنوب الشام ، بل ووسطه وشماله مهدت البلاد للفتح السلجوقي فيما بعد ، وفي أول الأمر كان زعيم هذه الجماعة قرلو الذي مات عام ٤٦٤/ ١٠٧٢م[١] .

وتجدر الإشارة إلى أن اتسز بن أوق القائد السلجوقي قد قدم إلى بلاد الشام سنة ٤٦٣هـ واستطاع اتسز فرض سيطرته على دمشق والقدس والرملة وعجز عن السيطرة على مصر بعد أن غزاها عام ٤٦٩هـ[٢] ، وفي أثناء قدوم اتسز إلى بلاد

---

(١) سهيل زكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ص١٣٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥ .

(٢) سهيل زكار: المرجع السابق ص ١٦٢ .

الشام بعد عام ٤٦٣هـ استطاع أن يسيطر على جماعة الناووكية والتركمان بعد ذلك[١] .

ولعل التفسير المقبول لعبارة «الناووكية» الخارجون على سيادة السلطان السلجوقي أنهم لم يكونوا عنصراً نقياً ، بل جلهم تركمان ومعهم عناصر من سكان البلاد التي فتحها السلاجقة ولم يرضوا بهم وبحكمهم ففروا من وجههم وتجمعوا وقدموا إلى جنوب الشام[٢] .

٤ ـ العجم :

جرت العادة أن تطلق كلمة العجم على جماعة الفرس الذين دخلوا تحت راية الإسلام أو لم يدخلوا للتدليل على أصلهم ، ولا يستبعد أن دخل تحت هذا اللفظ جماعة من غير الفرس ، وجاء في كتاب البلدان لليعقوبي[٣] أن سكان الرملة كانوا في زمنه أواخر القرن الثالث خليطاً من العرب والعجم وذمتهم سامرة ، والمعروف أن الرملة في تلك الفترة كانت تحت السيطرة الطولونية (٢٥٤ ـ ٢٩٢هـ) مما يجعلنا نجزم بتسرب عناصر غير فارسية إلى الرملة كالأتراك وأن اليعقوبي توسع في معنى العجم ولم يبق اللفظ يقصد الفرس لوحدهم ، ولا يستبعد أن تكون جماعات من الفرس قد اختارت أن تسكن فلسطين في القدس والرملة لأنها من الأماكن المقدسة خاصة بيت المقدس .

والمعروف أن العناصر الفارسية بصفة إجمالية قد أسهمت في القضاء على الدولة الأموية وعلا شأنها أيام العباسيين خاصة أيام المأمون العباسي والذي ينتمي إلى الفرس من جهة أمه وإلى الرشيد العربي من جهة الأب ، فالرشيد أباه وأمه فارسية وزوجته بوران بنت الحسن بن سهل الفارسي[٤] ، ولا يستبعد

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٦ .

(٢) سهيل زكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ص١٣٢ .

(٣) اليعقوبي : البلدان ص ٣٢٨ ، دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ١٩٥ ، الخالدي : ص١٤ .

(٤) حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام ٢/ ٧٣ .

أنه سمح لعناصر فارسية بالسكنى في فلسطين ، أو أنهم هم باختيارهم قد أموا اليهم بصفتهم مسلمين ، وهي دار إسلام .

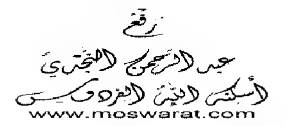
٥ـ المغاربة :

والمغاربة[١] لفظ أطلق وقصد به عساكر الجيوش الفاطمية التي ساعدت على اقـامة الدولة في شمال أفريقيا وكان لها الفضل الكبير في احتلال مصر وفـرض السيطرة الفاطمية على مصر والشام ، ولا يستبعد أن تكون جماعات منهم قد استقرت بشكل أو بآخر في مدن جنوب الشام (فلسطين) كالرملة مثلاً خاصة وأن الحكم الفاطمي سيطر على جنوب الشام مدة طويلة تمتد من (**٣٥٨ ـ ٥٤٩هـ**) حين سقطت عسقلان بيد القوات الصليبية وبذا زال نفوذ الفاطميين عن جنوب الشام (فلسطين) وإلى الأبد[٢] .

---

(١) الـدواداري : كنـز الـدرر ٦/ ١٦٩ ويقول :لما جاء هفتكين إلى دمشق ليخلصها من الفوضى عام ٣٦٤هـ لم يكن بها أحد من المغاربة بل رحلوا من المدينة وقصدوا الرملة وطبـرية ، ثم حصلت الـوقعـة بين المغاربة وهفتكين بجهات القدس ، فهزم هفتكين المغاربة وضربت أعناق الكثيرين .

(٢) العيني : عقد الجمان جـ/١٢ ميكروفيلم بجامعة الكويت رقم ٦٠١ حوادث ٥٤٩هـ .



الطوائف الدينية :

وبعد أن أتينا على أهم العناصر التي وجدت في الرملة في فترة البحث علينا أن نعرج على الطوائف الدينية في فلسطين والرملة بصفة خاصة ، فنقول :

١ ـ المسلمــون :

سادت الرملة المعتقدات الإسلامية منذ انشائها ويقول فيليب حتى[١] : الرملة هي المدينة الوحيدة التي انشأها العرب في سورية ، وكان جل أهلها سنة لأن الأمويين تعصبوا للعنصر العربي السني إلى درجة كبيرة ، وظلت سنية أيام الأمـويين والعبـاسيين والـطولـونيين والإخشيديين ، ثم شهـدت الرملة الدعوة الشيعية الفاطمية أواخر العصر الطولوني ، فورد في كتاب أخبار القرامطة الذي جمعه سهيل زكار وحقق نصوصه أن الرملة قد استضافت عبيدالله المهدي بعد خروجه من سلمية ٢٩٠ / ٢٩١هـ ، وكان المهدي يختفي من دار إلى دار مستتراً في الرملة ، وبعد ذلك رحل من الرملة إلى مصر ومنها إلى قسطبلية ، ثم إلى سجلمـاسة[٢] ، ولعل هذا كان في الفترة التي شهدت زوال الحكم الطولوني

---

(١) حتى : تاريخ لبنان وسوريا وفلسطين ص١٢٨ .

Crus well: O. P. cit. Vol 2. P. 482.

(٢) سهيل زكار: أخبار القرامطة ص١١٩ ـ ١٢٠ ، ١٣١ عن كتاب تثبيت دلائل النبوة .
أمينة بيطار: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في بلاد الشام ص٣١٩ ـ ٣٢٠ ، وتشير أمينة إلى أن المهدي خرج من سلمية إلى الرملة لأنه خاف على حياته لأن واليها التركي أخبـر به الخليفـة العبـاسي ، وأخـذ النص عن سيرة جعفر لمحمد بن محمد اليماني ص١١٠ ، ولم أتمكن من الحصول على المصدر بجهودي الخاصة ، وقد خرج المهدي من سلمية إلى الرملة وظل بها مدة ليست بالقصيرة فبما يعلل بقاؤه هناك ! ، لا شك أن له أنصاراً فيها خاصة والي الرملة وإلا كيف يبقى المهدي في الرملة دون أن يمس طرفه مع أن العباسيين أرسلوا إلى ولاتهم في مصر وأفريقيا والشام بالقبض على المهدي ، ثم إن المهدي كان لا يزال يفكر أنه من السهل عليه العودة إلى سلمية فيما إذا اصطلح مع =

وعودة المدينة إلى السيطرة العباسية أيام ثورة محمد بن الخليج الذي كان يرفض العودة إلى الحكم العباسي المباشر[1] ولعل المهدي استغل هذا الوضع وبدأ يبث تعاليمه ودعوته سراً ولعله وجد آذاناً صاغية ولكننا لا نستطيع القول بأن الرملة آمنت بالتعاليم الشيعية آنذاك ككل مع التسليم بأنه وجدت بها عناصر شيعية أو

= القرامطة بعد نجاحهم في حروبهم ، وهذا يتجلى عندما طلب الحسين بن زكرويه من المهدي العودة إلى سلمية فرفض لأنه ليس واثقاً من اخلاص القرامطة إلى النهاية وفي نفس الوقت كان يراوده أمل في الصلح معهم وإمكانية العودة إلى سلمية فظل في الرملة يرقب الأمور ، خاصة وأنهم يدعون له امام الناس وباسمه يحاربون ليكسبوا عطف الأهالي في مدن الشام ، وقد استقبل المهدي الحسين بن زكرويه القرمطي في الرملة واجتمع به بل وكتب له وثيقة تساعده في الدخول إلى دمشق والقضاء على مقاومتها ، وكان سلوك الحسين بن زكرويه ودياً أثناء الاجتماع فأعطاه المهدي الوثيقة بلا تردد مع أنه قبل الاجتماع هدد المهدي بالوشاية به للعباسيين إذا رفض الاجتماع به واعطائه الوثيقة ، وهنا تبرز لنا المصلحة الخاصة لدى القرامطة وزعيمهم الحسين بن زكرويه فهم لا يدعون للمهدي إلا لتحقيق مصالحهم من خلال دعوتهم له وأما إذا لم تتحقق هذه المصالح فلا بأس في الوقوف ضد المهدي والوشاية بمكانه وأوصافه للعباسيين ، وكان كلام الحسين بن زكرويه : «يا مولانا ، خرجنا من بلدنا أنا وإخوتي ندوّر عليك فالحمد لله الذي جمع بيننا وبينك ، أخي قدم بالعسكر وحصر دمشق وتركته على أخذها فارجع فقد استقام لك الأمر فما جئنا من بلدنا إلا لترضى عنا . . ولا تكن ساخطاً علينا وهذا من مقال أبي الحسين الذي أقلقنا وأقلقك ، فإن كنت لا تمض أنت فاكتب إلى أخي ليرضى عني فإنه ساخط عليّ» ، (النيسابوري : استتار الامام ص٩٨) .

أمينة بيطار: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في بلاد الشام ص١٤٥ ـ ١٤٧ .

والظاهر أن القرامطة حتى الآن كانوا يطمعون في تولي قيادة الدعوة وانضمام المهدي إليهم حتى يحققوا من وراء ذلك ما يريدون ولكنهم لما شعروا بمماطلته لهم هاجموا حلب وسلمية وقتلوا أتباعه فاضطر إلى الهجرة لشمال أفريقيا حيث واتته الظروف وأقام دعوته ودولته هناك ، إلا أن هؤلاء قد هزموا في حروبهم مع الطولونيين قبل أن ينقلبوا على المهدي .

(١) ابن بطريق : التاريخ المجموع ص٧٧ .

تميل إلى الشيعة خاصة الوالي الطولوني .

والدليل على وجود جماعة شيعية في الرملة رغم قلة هذه الجماعة ما ورد من أن جعفر بن فلاح عندما دخل الرملة وسار في طريقه إلى دمشق بعد أن قضى على الحسن بن عبيدالله بن طغج أميرها الإخشيدي صحبه بعض أهل الرملة وانضموا إليه ومنهم أبو طالب التنوخي فقد بعث به جعفر بن فلاح من الرملة إلى أبي تغلب بن حمدان في الموصل لكي يوحدا الجهود ويقيما الدعوة الفاطمية الشيعية في بلاد الشام جميعها[1] .

ثم شهدت الرملة السيطرة الفاطمية مدة طويلة (٣٥٨ ـ ٥٤٩هـ) وطيلة هذه المدة والرملة تحت السيطرة الفاطمية الشيعية وتجلت قدرة الرملة في التصدي لمشاريع الشيعة الفاطميين بثوراتها المتكررة بقيادة بني الجراح وظلت الرملة رغم كل ذلك معقلاً سنياً تحت السيطرة الفاطمية ، ورغم سيادة الفاطميين والاعتراف بمذهبهم الشيعي مذهب الدولة الرسمي إلاَّ أنهم لم يجبروا الناس على اعتناقه والعمل بما جاء به ، بل كان يكفيهم الرضوخ للسيادة الفاطمية الشيعية ، الأمر الذي يفسر لنا بقاء الرملة معقلاً سنياً هي وغيرها من بلاد الشام الجنوبية .

٢ ـ المسيحيون :

إذا عدنا إلى تاريخ انشاء المدينة لوجدنا أن سليمان بن عبدالملك عندما بدأ البناء في مدينته الجديدة الرملة أسند الإشراف على عملية البناء الأولى إلى كاتبه المسيحي البطريق ابن النكا أو البكا كما مر[2] .

وحتى قبل هذا التاريخ وعند دخول الإسلام أرض فلسطين في أوائل القرن الأول الهجري ظلت المدن الفلسطينية تحوي جماعات من المسيحيين

---

(١) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١٨٧ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ١/ ١٧٠ ، الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ص١٠٢ .

كالناصرة وبيت لحم وبيت المقدس التي رغم تقديسها من قبل المسلمين فقد ظلت بها جماعات كبيرة من المسيحيين بل غالبية السكان ، وجل المسيحيين الفلسطينيين هم من اتباع المذهب الأرثوذوكسي ، وظل المسيحيون متآلفين بعد تسليم القدس لعمر بن الخطاب بعهد منه مع العرب واليهود في المدينة طيلة الأربعةقرون الهجرية الأولى(١) .

ثم لو تدبرنا الأمر بعد ذلك لرأينا أن البطريق ابن النكا قد حرّض سليمان على تشجيع أهل اللد على الهجرة إلى الرملة لأنهم رفضوا اعطاءه قطعة من الأرض ليقيم عليها منزلاً بجانب كنيسة جرجس (جورج) باللد مما كان نتيجته خراب اللد وعمار الرملة ، وهذا لا يعني أن اللد لم يسكنها أحد ، بل ظل فيها عدد من السكان ، وظلت كنيسة جرجس في لد وكان قد أقامها البيزنطيون من قبل(٢) ، وقد أراد سليمان أن يأخذ عمد هذه الكنيسة ليستعملها في مسجده ، إلا أن بطريق الكنيسة طلب منه مهلة واتصل في بيزنطة ونقل إليها الخبر فدلَّهُ البطريق أن يخبر سليمان عن عمد في مغارة الداروم وأن بإمكانه أخذها واستعمالها بدلاً من عمد كنيسة لد(٣) ، فأخذها ولم يمس كنيسة جرجس في اللد ، وعاش المسيحيون باطمئنان على أساس أنهم أهل ذمة في فلسطين وعوملوا معاملة حسنة ما داموا يدفعون الجزية .

ورغم تلك المعاملة الحسنة إلا أنه كانت تمر فترات من سوء العلاقات مع هؤلاء المسيحيين في بلاد فلسطين ، ففي عام ٣١٢هـ/ ٩٢٤م ثار المسلمون على المسيحيين بدمشق والرملة حيث هدموا الكنيسة للملكية وهدموا كذلك كنيسة قيسارية فرفع النصارى الأمر للمقتدر فأصدر أمره بإعادة بنيان ما تهدم من

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٢ / ٤٩٨ ، ويتكلم عن صلح إيليا ويقول إنه يضم إيليا وحيزها والرملة وحيزها ، رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ١ /٤٤ .

(٢) عاشور: الحركة الصليبية ١/ ٢٣٢ .

(٣) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص٤٨ / ٤٩ .

الكنـائس المسيحية في الـرملة وغيرها[1] ، وكذلك في عسقلان حيث احرقوا الكنيسة فيها ، ومن الجدير بالذكر أن اليهود كانوا يساعدون المسلمين بل هم الذين أشعلوا النيران ربما ليتملقوا المسلمين وهم قلة أو نكاية بالمسيحيين[2] .

ومن هذا القبيل ما حصـل أيام الإخشيد بين عام **٣٥٥**هـ فقد كان والي القـدس الإخشيدي يدعى محمـد بن اسمـاعيل الضـاجي وكـان الحسن بن عبيدالله بن طغج والياً على الشام كلها وكان يأخذ الأموال من بطريق النصارى في مناسبة الأعياد ويبدو أنه أثقل عليه في الطلب هذا العام فشكاه إلى كافور فكتب إليه هذا أن انصف النصارى إلا أنه لم يرتدع فاضطر البطريق إلى أن يهاجر إلى الرملة حيث المعاملة الأفضل فتدخل الحسن بن عبيدالله ليثنيه عما هو مقدم عليه وكتب لوالي القدس بضرورة انصاف النصارى ، ولكن الضاجي عظم عليه ذلك الأمر فما كان منه إلا أن استعمل العنف مع النصارى وأحرق كنيسـة القيامـة وصهيون وغيرهمـا ونهبهمـا وكـالعـادة قدم اليهـود مساعدتهم للمسلمين ، وقد أحرق البطريق الذي وجد مختفياً في جب الزيت بالقيامة[3] .

ولعل طلب البطريق بترك القدس والمجيء للرملة لأنه تأكد أنه سينصف في الرملة التي حافظت على عدم الإساءة للمسيحيين إلى أبعد الحدود على اعتبار أنهم ذمة تجب المحافظة عليهم .

---

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١/ ١٠٩ ـ ١١٠ .

(٢) يحيى بن سعيد الأنـطاكي: تاريخه ص٩٦ ، ويقول خرج أسقف عسقلان إلى بغداد ولكنه لم يفلح في اعادة بناء الكنيسة ويضيف أن أهل عسقلان تعاهدوا أن لا يسمحوا للأسقف بالإقـامة في عسقلان وتوجه إلى الرملة وظل فيها إلى أن مات مما يدلل على تسامح الرملة مع المسيحيين ، رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ١/ ٤٤ ويقول أعيد بناء الكنائس جميعها **٩٢٤/٩٢٣** م،٣١٢هـ .
آدم متز: الحضارة الإسلامية ١/ ١١٠ .

(٣) يحيى بن سعيد: تاريخه ص ١٢٤ .

ولعل أكبر ضربة تلقاها المسيحيون كانت عندما أصدر الحاكم بأمر الله الفاطمي أمره بهدم كنيسة القيامة فهدمت ولم يبق إلا ما تعذر هدمه[1] ، ورغم كل هذه المضايقات التي لم تكن شيئاً مذكوراً بالنسبة لما لاقاه المسيحيون من الرعاية والعناية منذ عهد عمر بن الخطاب في ايليا إلا أنهم ظلوا يودون المزيد .

ومهما يكن من أمر فقد عاش المسيحيون في ظل المسلمين في الرملة وفلسطين بل وبلاد الإسلام كلها أفضل مما عاشوا في ظل مواطنيهم الأوروبيين أو البيزنطيين ، وأورد المقدسي[2] أن هؤلاء مالوا إلى اتقان عملية الكتابة لينالوا المناصب الرفيعة في الدولة وأضاف أن الكتبة في اقليم الشام ومصر نصارى لأنهم اتكلوا عليهم فلم يتكلفوا الأدب كالأعاجم ، وكذلك فأكثر الأطباء منهم وهذه مهن رفيعة في المجتمع وصاحبها له احترام كبير ، ثم إن إفساح المجال أمام هؤلاء يدل على أنهم عوملوا معاملة بعيدة عن التعصب والانحياز في الرملة وغيرها من دنيا الإسلام ، وكان المسلمون يشاركون هؤلاء أعيادهم ويتعارفون عليها ويحفظون أمثالهم كما سنذكر فيما بعد أي عاش هؤلاء النصارى في وئام مع المسلمين وأما الهزات التي تعرضوا إليها على يد حاكم أو أكثر فكانت عامة اكتوى بها سائر أفراد المجتمع من مسلمين وغيرهم .

٣ ـ اليهـــود :

ورد في المصادر الإسلامية أن عمر بن الخطاب لما ورد الجابية في بلاد الشام لقيه يهودي وبشره بالفتح لبيت المقدس ولما تم ذلك كان اليهودي حاضراً صلح المسلمين مع رعايا إيليا (القدس) ، فإن صح هذا فإن عمر يكون قد وثق من بعض اليهود ومن معارفهم رغم أنه أخرجهم من الجزيرة فيما بعد[3] ، ومن هذا القبيل ما تناقله أخبار اليهود ورجالهم العلماء من أن عيسى بن مريم سيقتل

---

(١) يحيى بن سعيد : تاريخه ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٨٢ / ١٨٣ .

(٣) ابن الأثير: الكامل ٢ / ٤٩٨ .

الدجال بباب لد[1] ، وما لد ببعيد فالمسافة قريبة بينهما آنذاك وأما اليوم لانتشار العمران في المدينتين فهي قريبة جداً ، وقد وردت أحاديث الرسول ﷺ تؤيد هذه الحادثة ، حادثة مقتل الدجال[2] .

وقد شمل عهد عمر المعطى لأهل إيليا جميع العناصر الموجودة وكان بها جاليات يهودية قليلة العدد انطبق عليها ما على غيرها من حسن المعاملة والتسامح الديني باعتراف عمر رضي الله عنه وشهادة المسلمين ، ولم يكن اليهود في القدس وحدها بل كانت جاليات صغيرة أيضاً في صفد وطبرية وغيرها من المدن وعاش هؤلاء في ظل السيادة الإسلامية ونالوا الاحترام كبشر ضمن الدولة الإسلامية ومارسوا شعائرهم دون مضايقة تذكر[3] .

وفي زمن اليعقوبي أواخر القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي كان سكان الرملة أخلاط من العرب والعجم وذمتها سامرة[4] ، والسامرة يعتقدون أنهم الوحيدون الذين يحتفظون بالتوراة والتعاليم الموسوية الصحيحة وما يملكه غيرهم فهو محرف .

وقد سكن هؤلاء في عدة أماكن من مدن وقرى فلسطين فسكنوا نابلس وسكانها اخلاط أيضاً من العرب والعجم والسامرة[5] ، ويعتقد هؤلاء بأن الذبيح هو اسحق وليس اسماعيل مخالفين نص القرآن بأن الذبيح هو اسماعيل وليس

---

(١) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب ٣/ ١٣٠ الحميدي: الروض المعطار ص٥١٠ .

(٢) ابن الأثير: اللباب ٣/ ١١٣ ، الحميدي: الروض المعطار ص٥١٠ .

(٣) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ١/ ٤٤ .

(٤) اليعقوبي: كتاب البلدان ص ٣٢٨/ ٣٢٩ ، دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ١٩٥ (هونج مان) .

(٥) اليعقوبي: كتاب البلدان ص ٣٢٩ .

اسحق[1] ، كما سكن هؤلاء بداجون قرب الرملة[2] ، وذكر ابن حوقل[3] أن في الرملة من السامرة حوالي ٥٠٠ سامري مجزى يدفع الجزية ، ويقول وما من سامري في الدنيا إلاَّ أصله من نابلس أي أن نابلس[4] مكان تركز هذه الطائفة ، ولا تزال إلى اليوم طائفة السمرة ، تعيش في مدينة نابلس حياة مغلقة فلهم تعاليمهم وأعيادهم ولا يتزوجون ولا يزوجون غيرهم ، ولعل ذلك عائد إلى اعتقادهم بنقاء دمائهم فهم يحرصون على بقائها نقية وعدم تلويثها في محاولة للمحافظة على نقاء العنصر السامري لذا فهم لا يتكاثرون بسرعة في حين أن نقاء الجنس قد أصبح نظرية مرفوضة في العصر الحديث .

وعلى العموم فقد لقي اليهود التسامح في ظل الحكم الإسلامي شأنهم شأن المسيحيين لأن الدين قد أوصى بأهل الذمة خيراً وكذلك درج المسلمون منذ عهد الرسول إلى الآن على التسامح وكل ما لقيه اليهود من اضطهاد زمن الرسول مرده إلى أنهم هم البادئون بالأذى وتصرُّفُ الرسول رد على أذاهم .

وقد عرف اليهود أن مصلحتهم تقتضي أن يتعاونوا مع المسلمين ضد المسيحيين في فترات معينة فقد كانوا عوناً للمسلمين الذين اعتدوا على كنائس المسيحيين في بعض الأحيان فقد كان هؤلاء يتولون عملية الإحراق والنهب في محاولة لتوسيع شقة الخلاف ما بين المسيحية والإسلام لصالح أنفسهم[5] ، وقد

---

(١) الحموي : معجم البلدان ٤ / ٤٥٩ .

(٢) المقدسي أحسن التقاسيم ص١٦٥ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص١٥٩ .

(٤) ابن حوقل : المصدر السابق نفسه .

(٥) يحيى بن سعيد الأنطاكي : تاريخه ٩٦ ، ١٢٤ .

آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري جـ/١/ ص١٠٩ ـ ١١٠ ، وذكر متز أن الخليفة المقتدر وقع للمسيحيين ببنيان ما تهدم من الكنائس وعملية اضطهاد أهل الذمة لم تكن سياسة مخطط لها وإنما كانت تحصل في فترات الضعف عند بعض الحكام والغوغاء .

ألمحنا إلى أن المحن التي أصابت أهل الذمة في فترات حكم بعض الحكام المسلمين كانت عامة واكتوى بها المسلم والمسيحي واليهودي ولم تكن عملية حقد موجهة ضد أتباع أي معتقد كما يحلو للبعض أن يصوره كما حصل أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي عندما أمر بإحراق كنيسة القيامة[١] .

ومهما يكن من أمر فإن اليهود عاشوا في بلاد الشام والرملة وفلسطين مطمئنين إلى وضعهم واختار هؤلاء لهم حرفاً تؤهل صاحبها أن يعامل بالاحترام في المجتمع ويظهر بمظهر صاحب الفضل ، ويبدو أنهم قصدوا من احترافهم بعض المهن أن يكونوا هم المتصرفين برقاب المجتمع والمسيرين لعجلة الاقتصاد الوطني أينما حلوا فكانت معظم الجهابذة والصباغين والصيارفة والدباغين في الرملة والشام بشكل اجماعي من اليهود وهذه المهن[٢] كلها تتعلق بالأمور المالية والاقتصادية في الدولة ، فكان هؤلاء يحرصون على أن تكون أمور المال بأيديهم أينما حلوا لاشعار المجتمع أن مقدراته بأيديهم ومن ثم فهم المسيرون لعجلة الاقتصاد وعليهم الاعتماد في هذا السبيل .

وكان هؤلاء لا يتورعون عن التلون حسبما تقتضيه الظروف والدواعي والمناسبات ، فمن هذا القبيل ما حصل مع اليهودي ، يعقوب بن كلس ، الذي كان وكيلاً للتجار في مدينة الرملة ونال حظوة لدى كافور في أواخر العهد الإخشيدي ، وقد أعجب به كافور وبكفاءته وكان يردد لو أنه أسلم لاستوزرناه فلما سمع يعقوب ذلك الكلام اعتنق الإسلام ، إلا أن يعقوب سرعان ما سرق أموال التجار من الرملة وهرب إلى أفريقيا إلى العبيديين هناك .

وذكر أن أبا الفرج يعقوب بن يوسف بن ابراهيم بن هارون بن داود بن كلس قد ولد في بغداد ثم التحق بخدمة كافور الإخشيدي في مصر[٣] ، وقد أوكل إليه

---

(١) يحيى بن سعيد: تاريخه ص١٩٥/ ١٩٦ مصدر سابق .

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٦٠ .

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣٢/٧ ، العيني : السيف المهند ص١٥٥ .

كافور ديوانه في مصر والشام فضبطه على أحسن وجه ، وذكر ابن خلكان أن السبب الذي جعل كافوراً يثق به هو أن يهودياً من يهود الرملة قد أخبر يعقوباً أن في دار ابن البلدي بالرملة ٣٠ ألف دينار ، مدفونة لا يعلم بها غيره ، وهنا أراد يعقوب أن يمكّن لنفسه عند كافور وكان يومئذ وكيلاً للتجار في الرملة فكتب إليه يخبره بالأمر وانقص المبلغ إلى ٢٠ ألفاً وطلب منه في نفس الوقت أن يأذن إليه بجلبها له فلما اذن له استخرجها وأرسل إليه الثلاثين ألفاً فزادت ثقة كافور به واعتمد عليه ولعلها خطة بارعة وسياسة محكمة في كسب ود الآخرين[1] .

ويصفه ابن عساكر بأنه يهودي خبيث ماكر كان في أول أمره قد خرج إلى الشام فنزل الرملة وصار بها وكيلاً للتجار فكسر أموالهم أي اختلسها بطريقة أو بأخرى وهرب إلى مصر عند كافور ، ولما اتصل به عرف كافور خبرته وذكاءه ومعرفته بأمر الضياع وقال له لو أسلمت لاستوزرتك فأسلم طمعاً في الوزارة ، ولاعتقاده أنه إذا تولى الوزارة سيتمكن من تنفيذ مخططاته ويكسب السمعة الطيبة وبإمكانه خدمة طائفته بشكل أفضل فأسلم .

ولكن الوزير الإخشيدي جعفر بن الفرات لما عرف بإسلامه وكان يعرف مكر اليهود وخبثهم وألاعيبهم ضيَّق عليه الخناق فهرب يعقوب من مصر إلى شمال أفريقيا والتحق بالعبيديين هناك ، واستطاع أن ينال الحظوة لدى المعز وابنه العزيز فيما بعد حتى أن العزيز استوزره عام ٣٦٥هـ مع أن ابن خلكان يقول إنه استوزره عام ٣٦٨هـ واعتقله ٣٧٣هـ وأطلق سراحه ٣٧٤هـ وتوفي يعقوب في عام ٣٨٠هـ[2] .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٧/٣٣ ، الدواداري : كنز الدرر ٦/ ٢٢٦ ، العيني : السيف المهند ص١٥٥ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٧/٣٢/٣٣ مصدر سابق ذكره .

الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر ٦/ ٢٢٦ ، ابن شاكر: فوات الوفيات ١/ ٢٩٢ - ٢٩٤ .

العيني : السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ص١٥٥ . =

والمهم أن يعقوب قام بما قام به وأسلم ليس حباً في الإسلام وأهله ولكن خدمة لمصالحه ومصالح طائفته ليس إلا ، وما عمله إلا دليل على تلون اليهود في كل زمان ومكان واستعدادهم الدائم لتغليب مصلحتهم على أي مصلحة أخرى ، وما تصرفه في الرملة من اعتدائه على أموال التجار واختلاس أموالهم إلا ليربط عجلة الاقتصاد به وبأمثاله من اليهود الطامعين في الاستيلاء على مقدرات المجتمعات والأفراد ، وذكر العيني في هذا الصدد أن يعقوب قد هرب إلى العبيديين في شمال أفريقيا واتصل بيهود كانوا مع المعز فعملوا على أن ينال الحظوة لديه ولدى ابنه العزيز الذي استوزره فيما بعد[1] .

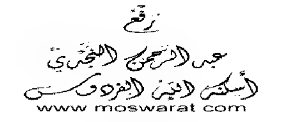
وكان اليهود في الرملة أيام الفاطميين لا يتورعون عن القتل في سبيل تحقيق أطماعهم ومصالحهم الخاصة بغض النظر عن مركز القتيل وشخصيته ، فحصل في الرملة عام ٤١٤هـ أن أقدم رجل سامري يدعى سيفاً على قتل أبي سعد الكاتب ـ أحد مستخدمي ديوان الجيش ـ في المدينة ، لأنه وقف في سبيل ما يمنح لهذا اليهودي من قبل الحاكم بأمر الله الفاطمي ، فما كان من اليهودي إلاّ أن عاتب أبا سعد في ذلك ، فلما لم يجبه إلى طلبه أخذ سكينة وطعنه طعنة قاتلة وهرب ! إلا أن يد العدالة طالته وقتل جزاء ما اقترفته يداه من الإثم[2] .

وهكذا عاشت الطوائف المسيحية واليهودية في الرملة وفلسطين وبلاد الشام جميعها بل وبلاد المسلمين عامة وتمتعوا بعدل الإسلام وسماحته ، وكانوا يأخذون حقوقهم كاملة غير منقوصة وأقاموا شعائرهم الدينية الخاصة دون مضايقات تذكر وانسجموا مع أفراد المجتمع مواطنين لا عبيداً كالمجتمعات الأخرى .

= ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٤/ ١٥٨ .

(١) المصادر السابقة نفسها .

(٢) المسبحي : من تاريخ مصر في سنتين ص ٢١٥ .



العادات والأعياد والتقاليد :

عاش أفراد المجتمع في الرملة في وفاق تام بغض النظر عن معتقداتهم الدينية فالكل يمارس عقائده بحرية تامة دون تدخل ، ولكن كانت اليد العليا للمسلمين وعاش أهل الذمة من نصارى ويهود في ظل الأمن في مجتمع الرملة الإسلامي ومارسوا عقائدهم الدينية بحرية تامة حتى أن المسلمين عرفوا أعياد النصارى مثلاً وضبطوا بها المواسم والسنين ، وكان لكل عاداته وتقاليده وأعياده الخاصة به ، وكانت روح التعاون سائدة بين الجميع رغم حصول القطيعة أحياناً ، بشكل لا يعتد به ولا يصح اتخاذه وسيلة للطعن على المسلمين وحكمهم كما يحلو لبعض الحاقدين أن يعلنوا ويصرحوا بمثل هذه الأحقاد .

فكان للمسلمين عادات وتقاليد يتمسكون بها ، فمثلاً كان هؤلاء يوقدون القناديل في مساجدهم على الدوام ويعلقونها بالسلاسل كما هي العادة في مكه ، وكان في كل قصبة من قصبات بلاد الشام بيت مال في الجامع معلق على أعمدة وبين المغطى من المسجد والصحن أبواب عدة ، وكانت المطاهر منتشرة في شتى بقاع الشام في الأسواق وعلى أبواب الجوامع ، وكان من عادة المسلمين الجلوس والتحدث بعد كل سلامين من صلاة التراويح في رمضان ، وكانت عادتهم أن يصلوا الوتر ركعة واحدة بعد أن كان وترهم ثلاث ركعات ، وكان القراء يجلسون في المساجد يتلون كتاب الله سبحانه ، وأما الفقهاء فكانوا يجلسون في المساجد بين الصلاتين والعِشائين ، وكان المسلمون يحتفلون بأعيادهم وأهمها العيدين ونصف شعبان وأيام الجمع(1) .

وأما المسيحيون فلهم عاداتهم وتقاليدهم وأعيادهم واحتفالاتهم الخاصة بهم ، وقد تأثر المسلمون بهذه الأعياد وعرفوا مواعيدها واستعملوها في ضبط مواسم الزراعة وأوقات السنة ، وأهم أعياد النصارى : الفصح «وقت النيروز» ،

(1) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٨٢ .

والعنصرة «وقت الحر» ، والميلاد «وقت البرد» ، وعيد بربارة «وقت الأمطار» ، وعيد الصليب «وقت قطاف العنب» ، وعيد لد «وقت الزرع»[1] .

وكان للمسيحيين أمثالهم الخاصة بهم ولكنها أصبحت عامة إذ عرفها المسلمون واليهود وتغنوا بها ، ومنها : (إذا جاء عيد بربارة فليتخذ البناء زماره ، يعني أن البناء عليه الجلوس في المنزل ، لأن هذا العيد يحل وقت المطر حيث يقل العمل والإنتاج في مهنته ، إذا جاء القلندس فتدفأ واحتبس ، لأن هذا يحل بحلول البرد وهبوب الرياح ، حيث تؤثر على مستوى العمل والإنتاج[2]أيضاً) .

وأما اليهود فكانت لهم هم الآخرون عادات خاصة بهم دون غيرهم وتقاليد تخصهم وأعياد يمارسونها دون تدخل في شؤونهم الخاصة ، هذا بالإضافة إلى ما يعرفونه من عادات المسلمين والمسيحيين وتقاليدهم .

وكانت الشهور المتعارف عليها في بلاد الشام هي الشهور الرومية : تشرين أول وثاني ، وكانون أول وثاني ، وشباط ، وآذار ، ونيسان ، وأيار ، وحزيران ، وتموز ، وآب ، وأيلول . ولعل هذا من الأثر السرياني في بلاد الشام ، والملاحظ أن هذه الشهور هي المتعارف عليها في كل الإقليم الشامي برمته حتى يومنا هذا[3] .

ومن صفات المجتمع الشامي كله ـ حلب ، ودمشق ، وطبرية ، والرملة ـ أن الأردية يلبسها العالم والجاهل ولا تلبس الخفاف في الصيف ، بل يلبسون نعالاً من نوع خاص تسمى «نعال الطاق» ، ومن عادتهم المشي وراء الجنائز والخروج إلى المقابر حيث يختمون القرآن على المقابر لمدة ثلاثة أيام ، وكانوا يكشفون المماطر ولا يقورون الطيالس التي هي علامة الفقهاء العلماء[4] .

(١) المقدسي : المصدر السابق نفسه .

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٨٢ / ١٨٣ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٨٣ .

(٤) المصدر السابق نفسه .

وانفرد البزازون في الرملة بأنهم يركبون على الحمير المصرية المسرجة ولا يركبـون الخيل ، وإنمـا الخيل أُعدت لركوب الأمراء والرؤساء فقط ، وكانت جموع الفلاحين والكتبة في الرملة وغيرها من مدن الشام يلبسون «الدراعة»[1]

وكـان أهـل المـدن يملكون الأفران لصنع الخبز وما يلزم بينما استعمل الفلاحون نوعاً من الأفران البدائية يدعى «الطابون» ، وهذا ينطبق على الرملة وسوادها من مدن وقرى بلاد الشام . وهذا شيء طبيعي لاختلاف نمط الحياة ما بين المدينة والقرية في كل عصر[2] .

---

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) المصدر السابق نفسه .

الـــزي:

كان مجتمع الرملة ، بل مجتمع فلسطين وكل الشام كغيره من المجتمعات الإسلامية تعددت ملابسه وأزياؤه ، فلكل عنصر من عناصر سكانه زيه الخاص ولباسه الذي يميزه عن غيره ، فكان للمسلمين لباسهم وللمسيحيين واليهود لباسهم الخاص ، ولعل مرد ذلك إلى رغبة هذه العناصر أو تلك في أن تكون مميزة أو إلى رغبة الحكام في تمييز المسلم عن غيره كما حصل أيام الرشيد والمتوكل مثلاً ، فقد أصدر الرشيد أوامر تقضي بأن تكون هيئة أهل الذمة مختلفة عن غيرهم ليميزوا ويعرفوا وبذلك يسهل التعامل معهم ومراقبتهم كعناصر في المجتمع ، كما كانت أوامره تقضي بأن يلبس الذمي الزنار في وسطه كالخيط ، وعلى رأسه قلنسوة طويلة وعليه أن يثني شراك نعاله كما تمنع النساء الذميات من ركوب الرواحل ، وعليهم جميعاً إخفاء صلبانهم وأن لا يبيعوا خمراً ولا خنزيراً وعليهم أن يتخذوا على سروجهم موضع القرابيس ما يشبه حبة الرمان من الخشب[1] ، ثم تكرر هذا الموقف أيام المتوكل ، في الرملة وسائر أجزاء الدولة الإسلامية تقريباً .

وقد اختلف لباس المسلمين ، فللبدو لباسهم ، ولسكان المدن لباسهم ، وللفلاحين لباسهم ، وللنساء لباسهن الخاص بهن ، فكان الأعرابي يلبس الطرطور الطويل والقباء ذا العذبة الطويلة[2] ، وكان لباس أهل المراكز الكبيرة العمائم وكانت العمامة لباس أكثر الفئات الإسلامية ولكنها تختلف فللخليفة عمامته وللفقيه عمامته وللبقال عمامته وللأعرابي عمامته وللرومي والنصراني عمامته أيضاً ، كما انتشرت عادة لبس القناع عند رجال الدولة في بلاد الشام

---

(١) أبو يوسف: الخراج ، أمينة بيطار: الحياة السياسية ص٣٥٣ ، حسن ابراهيم تاريخ الإسلام ٣/ ٤٤٣ .

(٢) أبو يوسف: المصدر السابق ، أمينة البيطار: المرجع السابق نفسه .

عموماً[1] ، ولبسَ سكان الشام عموماً بما فيهم أهل الرملة وغيرها الممطر ليقيهم من خطر الأمـطار الغزيرة ، كما استخدمت النساء والرجال الجوارب ، وكان لباس أدباء الشام الخفاف ، وتجب الإشارة إلى أن المسيحيين لبسوا الخفاف الحمر تمييزاً لهم عن غيرهم في مجتمع الشام[2] .

وأما لباس فلاحي الشام بشكل عام وخاصة في فلسطين ، إقليم الرملة ، فكان كساءً واحداً بلا «سراويل»[3] ، أما الوالي فقد لبس دراعة وقميصاً ومبطنة وخفاً[4] ، والقاضي ارتدى السواد شعاراً للعباسيين طيلة الفترة التي كانت الرملة ضمن النفوذ العباسي ، أو الطولوني والإخشيدي ، وعلى رأسه عمامته السوداء التي تحيط بقلنسوة طويلة[5] ، وكانت القلنسوة السوداء الطويلة مع الطيلسان هما اللذان يميزان القاضي عن غيره .

وكانت نساء الرملة ، بل نساء الشام عموماً ، شأنهن شأن المرأة الإسلامية في الأقطار الأخرى ترتدي الواحدة منهن ملاءة فضفاضة ، وقميص مشقوق عند الرقبة ، عليه رداء قصير يلبس عادة في البرد ، وأما إذا اقتضت ظروف المرأة أن تخرج من بيتها إلى الشارع فإنها ترتدي ملاءة طويلة تغطي جسمها وتقي ملابسها من التراب ، وتغطي رأسها بمنديل يربط فوق الرقبة ، وقد امتازت النساء عن بعضهن في لباس الرأس ، فالمرأة الأرستقراطية لها غطاء رأس مرصع بالجواهر ومحلى بسلاسل الذهب المطعمة بالأحجار الكريمة ، أما النساء الأقل منهن

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين ص٦٠/٦١ ، أمينة بيطار: المرجع السابق ص٣٥٢ .

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ٩٦ .
آدم متز: الحضارة الإسلامية ٢/ ٢٢٤ ، أمينة بيطار: ص٣٥٢ ، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام ٣/ ٤٤٥ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٨٣ .

(٤) آدم متز: الحضارة الإسلامية ١/ ١٥١ .

(٥) حسن ابراهيم: تاريخ الإسلام ٣/ ٣٠٩ .

درجة فكان لباس الرأس عندهن حلية مسطحة من الذهب يلف حولها عصابة مرصعة باللؤلؤ والزمرد ، ويلبسن الخلاخل في أرجلهن والأساور في المعاصم والزنود ، ولا شك في أن لفن الزينة هذا أصول فارسية نتجت عن احتكاك العرب بالفرس بعد القضاء على دولتهم ودخولهم الإسلام[1] .

---

(١) حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام ٢/ ٤٢٩ ، ٣/ ٤٤٣ - ٤٤٥ .

الأكلات الشعبية في فلسطين والرملة :

وأهم الأكلات الشعبية العدس والبيسار ، ولهم طرق في طبخ الفول وتناوله ، منهم يقلون الفول المنبوت بالزيت ، ويسلقونه ويباع مع الزيتون ، وهناك الترمس الذي يملح ويأكله سكان الشام جميعهم بكثرة ، ومن أهم أكلاتهم الشعبية أنهم يضعون من الخرنوب ناطفاً يسمى القبيط ، ولهم تسمية خاصة فيما يضعونه من السكر فيدعونه ناطفاً ويؤكل بشكل حلوى ،كما يصنعون الزلابية في الشتاء بشكل خاص ومن العجين وتؤكل مع السكر أو بدونه ، وهذه هي أهم الأكلات الشائعة في بلاد الشام جميعها ، وهذا في أكثره معروف في مصر ، وفي أقله معروف بالعراق والجزيرة الفراتية[1] .

وما الرملة إلا الجزء الجنوبي من الشام وينطبق عليها ما ذكر عن الإقليم ككل وقد ورد هذا في كلام المقدسي ابن فلسطين والرملة والقدس وكلامه ينطبق على الرملة بشكل جوهري .

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٨٣ ، مصدر سابق .

توزيع المياه في الرملة :

مرّ بنا أن المخطط الهيكلي لمدينة الرملة منذ انشائها كان يقوم على توفير المياه بشكل رئيسي للمدينة ، فلكي يشجع سليمان بن عبدالملك السكان على الإقامة في الرملة حفر لهم قناة تدعى «بَـرَدَه» وجلب لها المياه من نهر أبي فطرس الذي يبعد إثني عشر ميلاً عن المدينة[1] ، ثم احتفر آباراً غيرها ولعل توفير المياه قد كان سبباً رئيسياً من أسباب نمو الرملة وازدهارها ، ثم إن عملية توفير المياه وتوفير حجارة الرخام بالقرب من الرملة قد شجعا على امتداد العمران في الرملة حتى أصبحت مساحة المدينة ميلاً مربعاً زمن المقدسي في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي[2] .

وحتى عملية توفير المياه جعلت الرشيد يقيم خزانات للمياه في مدينة الرملة للنفع العام لا تزال آثارها باقية إلى الآن ، تشهد للرشيد بهذه الخدمة[3] ، وقد وصف المقدسي[4] مياه الرملة بقوله : «خفيفة الماء مرية» ، وبين كيف تتم عملية الحصول على المياه ، فذكر أن آبار الرملة «عميقة مالحة وماء المطر في جباب مقفلة ، فالفقير عطشان والغريب حيران» ، وعدَّ هذا من مساوىء المدينة لأن المياه العذبة المحفوظة في الصهاريج لا تصل إلى أيدي الفقراء .

وكـان توفير المياه للوضـوء يتم عن طريق المـطاهر المنتشرة على أبواب

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ١ / ١٧٠ ، الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ص١٠٢ .
قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ص٣٠٢ ، الحموي : معجم البلدان ٣/ ٦٩ .

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم .

(3) Crus well: o. p. Cit. Vol 2. p. 443.

Crus well: o. p. Ashort Account of Early Muslim Architecter p. 228 - 230.

حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ص ٢١٦ وصف البئر وصفاً دقيقاً جداً .
دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ١٩٥ .

(٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٦٤ .

الجوامع وفي الأسواق العامة لاستعمال الجماهير[1] ، ولو كان في الرملة مياه جارية لأصبحت من أفضل المدن وأكملها ولكنها مشكلة الرملة[2] .

وكان الأغنياء يقيمون لهم صهاريج خاصة في دورهم يخزنون المياه لوقت الحاجة الماسة ، وأما الفقراء فيجمعون الماء بأوعية خاصة يضعونها عند مدخل كل بيت وقد يشترك الأغنياء بجمع المياه ، علاوة على ما يجتمع في صهاريجهم فتحل مشاكلهم وقت الحاجة ، وأما الفقير فيذوق الويل في سبيل الحصول على الماء عند الحاجة[3] !! .

ووجد في وسط الجامع صهريج كبير خاص للاستعمال العام ولجميع السكان ، كما وجدت آبار كثيرة في ساحة المسجد الأبيض[4] ، وهكذا فقد كان الفقراء في المدينة يتجهون إلى آبار المسجد الأبيض المتاح لهم استعمالها إلى جانب الأغنياء ، وأن الأغنياء لهم صهاريجهم الخاصة ويشاركون في أخذ المياه العامة ، ويتركون مياه صهاريجهم إلى وقت الحاجة الماسة ، فلا يشعرون بمشكلة المياه ، عكس الفقراء تماماً ! .

وإذا ما عدنا إلى أول دار بناها سليمان في الرملة لوجدناه قد بنى قصره (دار الحكم) ودار الصباغين ، وأقام بها صهريجاً كبيراً ، ولعله أراد من هذا تقديم الماء الوافر لعملية البناء ثم جرَّ الماء من نهر أبي فطرس (العوجا) الذي لا يبعد أكثر من اثني عشر ميلاً إلى المدينة الجديدة ، وهناك مصادر تذكر أن الذي جرَّ

---

(١) المصدر السابق ص١٨٢/ ١٨٣ .

(٢) المصدر السابق: أحسن التقاسيم ص ١٦٤ .

(٣) ناصر خسرو: سفرنامة ص٥٤ ، دائرة معارف البستاني ٨/ ٦٧٧ ، دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ١٩٥ .

(٤) ناصر خسرو: سفرنامة ص٥٤ ، البلوي: تاج المفرق ٢/ ١٥ .

المياه هو هشام بن عبدالملك[1] ، ولكن الراجح هو سليمان بن عبدالملك[2] ، لأن المصادر التي تذكر هذا أكثر معاصرة للأحداث من غيرها أو أنها أقرب زمنياً من المصادر التي تقول بأن هشاماً هو الذي جر المياه أولاً وثانياً ، لأن سليمان عندما أنشأ مدينته كان يعلم حاجة الناس إلى المياه للشرب وللبناء ، فحفر لهم القناة لتقوم بتوفير الماء اللازم لهم ، ثم إن المدينة الناشئة تحتاج إلى عمليات بناء كثيرة وهذه بحاجة إلى المياه ولا تتم بدونها .

وذكر المقدسي[3] في هذا الصدد أن قصبة فلسطين كانت عمواس حتى الطاعون فانتقلت إلى لد ثم إلى الرملة ، وذلك لأن الرملة في موقع سهلي بين الجبل والبحر وبعيدة عن الغور ، ولوفرة المياه اللازمة من الآبار والقناة المذكورة حتماً دور في عملية نمو المدينة وازدهارها .

والخلاصة ، فقد كان اعتماد الناس في الرملة في شربهم وقضاء حاجتهم على قناة «بردة» التي حفرها سليمان ، ومن الآبار الكثيرة غيرها ومن مياه الأمطار التي تتجمع في الصهاريج لوقت الحاجة والتي كانت منتشرة في كل بيت تقريباً من بيوت الموسرين القادرين على إقامة مثل هذه الصهاريج ، ومن الآبار والصهريج الكبير الموجود في صحن المسجد الأبيض .

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٥٥ ، ١٦٤ ـ ١٦٥ ، القلقشندي : صبح الأعشى ٤/ ٩٩ ، ويقول القلقشندي : إن الذي جر المياه وحفر القناة هو عبدالملك بن مروان وهذا غير صحيح فالرملة لم تُبن إلا بعد وفاة عبدالملك بن مروان ، دائرة المعارف الإسلامية : ١٠ / ١٩٤ ، ويبدو أنه نقل النص عن أبي الفداء : تقويم البلدان ص٢٤١ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ١/ ١٧٠ ويقول : حفر سليمان آباراً غير القناة المذكورة .
اليعقوبي : البلدان ص٣٢٨ ، ويقول : وللرملة نهر صغير منه شرب أهلها ومن الآبار ومن صهاريج يجري فيها ماء المطر .
المسعودي : التنبيه والإشراف ص٣١١ ولعله نقل عن البلاذري .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٧٦ .

الفصل الرّابع

الحياة الإقتصاديّة



الـزراعــــة :

اعتمدت الرملة على الزراعة والتجارة اكثر من اعتمادها على الصناعة ، فذكر المقدسي[1] أن اقليم الرملة واسع الفواكه به رساتيق جليلة ومدن سرية ولا يوجـد ألـذ من فواكهـه ، ويمتـد هذا الإقليم في السهل الواقع ما بين البحر والجبل ، وفيه يكثر التين والنخيل ، وأكثر زروعه تنبت على ماء المطر خاصة في الرملة وضواحيها .

وأما الحموي[2] فذكر أن الرملة من أكثر البلاد صهاريجاً مع كثرة الفواكه وصحة الهواء . وجاء أن الرملة وجهاتها واسطة بلاد فلسطين وأرضها سهلة كثيرة الأشجـار والنخـل وحـولها كثير من المغارس والمزارع ، وبها أنواع كثيرة من الفواكه المعروفة وظاهرها حسن المنظر وتعد من الثغور وتبعد عن البحر حوالي نصف بريد (٦كم) تقريباً .

وقـد مدح ابن بطوطـة[3] أثنـاء رحلته خيراتها وأسواقها الحسنة ، وكانت أشجار الزيتون تنتشر في الإقليم بجانب أشجار البساتين المتنوعة بشكل غابات كثيفـة[4] ، وكـان إقليم الـرملة يضم حوالي ٤ آلاف قرية كلهـا تعترف للرملة بالسيادة وترسل ما تنتجه ليباع في أسواق المدينة ويشتري أهلها ما يلزمهم[5] .

ولا شك في أن نوع الأرض وملكيتها يحددان كمية الانتاج إلى حد كبير ويؤثران في نوعيته ، وتشير الدلائل أن الرملة كانت بجانب البحر ثم طغى السهل

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٦٤ .

(٢) الحموي : معجم البلدان ٣/ ٦٩ ، الحنبلي : الأنس الجليل ٢/ ٦٨-٦٩ .
البستاني : دائرة معارف البستاني ٨/ ٦٧٨ .

(٣) ابن بطوطة : مهذب رحلته ١/ ٥٠ ، القرماني : أخبار الدول ص٤٦٨ ، نقولا زيادة : الرحالة العرب ص١٣٣ .

(٤) البستاني : دائرة المعارف ، المرجع السابق نفسه .

(٥) الحميدي : الروض المعطار ص ٢٦٨ .

على البحر وأصبحت تبعد عنه شيئاً فشيئاً . وقد أثبت هذا في الوقت الحاضر العالمان لارثه Lartet وهول Hull واستدلا بطريقة عملية على امتداد البحر حتى الرملة واللد في السابق مستندين إلى أن تركيب السهول الرملية يتكون من الرمل المحمر المختلط بالحصباء ، وأن الأرض بالقرب من الرملة تتكون هي الأخرى من الحصى المستدير المتلبد بأحجام مختلفة[1] .

ومما يدلنا على خصب إقليم الرملة وكثرة أشجاره أن الغابات الكثيفة كانت تمتد من عسقلان حتى الرملة ، وأكثر أشجارها زيتوناً ، ثم ان جماعة التركمان لما أقدمت على غزو اقليم الرملة وجدوا المدينة خراباً لا حياة فيها ، تتفق وسمعتها السابقة ، فجلبوا الفلاحين وعمروها هي وأرضها وضمنوا جزء السلطان من زيتونها بثلاثين ألف دينار وقرروا قسمة البلاد على النصف ، ويذكر أنهم باعوا من الزيتون فقط بثلاثماية ألف دينار فأعطوا التركمان مقدار ضمانهم ٣٠ ألفاً وأخذ الفلاحون الباقي[2] .

وهذا دخل المدينة فقط من الزيتون ، فما بالك بغيره من الزراعات الأخرى من بساتين وخضار وفواكه وما إليها من أنواع الحبوب والبقول والتين والنخيل ؟ ولعل التين كان أهم منتوجات المدينة التي تصدر للخارج[3] .

وقد قسمت بلاد الشام عامة إلى أربعة أقسام بحسب التضاريس الطبيعية مرتبة على النحو التالي : من الغرب إلى الشرق السهل الذي يلي بحر الروم

---

(١) الدباغ : بلادنا فلسطين جـ/١ ، ق/١ ص٢٧-٢٨ .

(٢) سهيل زكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ص ١٥٥ .

(٣) الاصطخري : المسالك والممالك ص٤٣ ، المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٦٤ .
ناصر بن خسرو: سفرنامة ص٥٥ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص٢٢٥ .
البلوي : تاج المفرق ٢ / ١٥-١٦ وهو أجمل وصف للرملة وزراعتها وتحت رحلته ٧٣٨ .
البستاني : دائرة معارف البستاني ٨ / ٦٧٧ وذكر كثرة فوائدها .
دائرة المعارف الإسلامية ١٠ / ١٩٤ - ١٩٥ للباحث : E. Honig man

(البحـر المتوسط) ، وهو رملي التربة يقع فيه من البلدان الرملة وجميع مدن الساحل . والقسم الثاني : (الجبلي) وهو مشجر في معظمه وبه عيون ومزارع ، يقع فيه جملة من البلدان مثل بيت جبرين ، ايليا ، البقاع ، انطاكيا . والقسم الثـالث: الأغـوار ، وفيه كثير من القرى والأنهار والمزارع والنخيل ، وفيه من البلدان وَيْله ، تبوك وأريحا وبيسان وطبرية وبانياس . والقسم الرابع : (سيف البادية) ، وفيه جبال عالية باردة ، وقرى وعيون وأشجار ، ويقع فيه مآب وعمان واذرعات ودمشق وحمص وتدمر وحلب .

ونلاحظ من هذا التقسيم التضاريسي أن الرملة من المدن الساحلية ، بل وتعتبر مفتاح جنوب الشام براً إلى مصر ، وبحراً إلى العالم الخارجي آنذاك ، وهو موقع أهّلها لتسنم دفة القيادة في الإقليم[1] .

كما نستدل من خلال اطلاعنا على التقسيم التضاريسي على نمط الحياة الزراعية التي سادت منطقة السهول الفلسطينية .

وقد ذكر المقدسي[2] السلع الزراعية المتوفرة في اقليم الرملة واجاد في ذلك قائـلاً: (واعلم أنـه اجتمع في الإقليم الفلسطيني ٣٦ شيئاً ، ولا تجتمع في غيره ، فالسبعة الأولى لا توجد إلا به ، والسبعة الثانية غريبة في غير الإقليم ، والاثنتين والعشرين الباقية لا تجتمع إلا به ، وقد يجتمع في غيره ، وهي : «قضم قريش والمعنقة والعينوني والدوري وأنجاص الكافوري وتين السباعي والدمشقي والقلقاس والجميز والخرنوب والعكوب والعناب وقصب السكر والتفاح الشامي والرطب والزيتون والاترج والنيل والـراس والنارنـج والتفاح والنبق والجوز واللوز والهليون والمـوز والسُّمـاق والكـرنب والكمـأه والترمس والطبرني والثلج ولبن الجواميس والشهد وعنب العاصمي والتين التمري» ، وقد ترى الخس غير أنه في جملة البقل إلا بالأهواز فإنه غاية ويفرد عن البقل أيضاً في البصرة) .

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٨٦ ، مصدر سابق .

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٨١ .

ومعظم هذه من المنتجات الزراعية وبما أنها موجودة في الإقليم سواء في الرملة أو في غيرها من فلسطين ، فهي تتوفر في العاصمة التي هي مدينة الرملة مدار بحثنا .

ومن خلال دراستنا السابقة فإن استغلال الأرض كان على سبيل الإقطاع ، فذكر أن مفرج بن جراح كانت اقطاعاته في جهات بيت جبرين والرملة زمن الفاطميين ، ويؤدي التزاماً مالياً وكذلك كان الأمر أيام العباسيين والطولونيين والإخشيديين ، وكان للزراعة مواسم معروفة لا يتأخرون عنها وجاء في حوادث ٢٢٧ أن المبرقع اليماني ثار في فلسطين أواخر أيام المعتصم فأرسل إليه رجاء بن أيوب الحضاري ليقضي على ثورته فانتظر هذا حتى حان موعد الزراعة فتفرق الفلاحون عن المبرقع فأوقع به أيوب وأسره[١] .

وكان للوالي على فلسطين دور كبير في كثرة الإنتاج الزراعي وقلته فإذا ما انتبه إلى حالة المزارعين وقدم لهم المساعدة زاد الإنتاج وعم الخير والعكس صحيح فورد أن ابن الجراح المسيطر على شؤون فلسطين عام ٣٦١هـ أيام الفاطميين أهمل شؤون الزراعة والمزارعين وسلب أموالهم ، واعتدى عليهم فتأخرت الزراعة وعم الفساد وقل الانتاج ، ويصور الدواداري[٢] الحالة التي وصلت إليها فلسطين والرملة بقوله :

«وكانت البلاد قد خربت مع ابن الجراح حتى كان الإنسان يدخل الرملة فيطلب شيئاً يأكله فلا يجده ، ويرى الفلاحين والمزارعين في الأسواق يسألون الناس» .

ومهما يكن من أمر فإن المقدسي[٣] قد أشار إلى أن الضرائب التي تأخذها

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٦/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣ .

(٢) الدواداري : كنز الدرر ص١٩٩ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٨٩ .

الدولة عام ٣٧٥هـ من فلسطين بلغت حوالي ٢٥٩,٠٠٠ دينار في حين أشار ابن خرداذبـة[١] إلى أن خراج فلسطين في زمنه بلغ ٥٠٠,٠٠٠ دينار ، وهذا يعطينا فكرة بسيطة عن دخل الرملة وفلسطين بصفة عامة وفي معظمه عن الزراعة .

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٨٩ (ذكر قول ابن خرداذبة) .
الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ص ١٠٣ ويقول إن معظم زيتون فلسطين من غرس الرومان .

الصناعـــة :

وجدت عدة صناعات خفيفة في جهات الرملة بحسب الحاجة فذكر ناصر خسرو[1] أنّه شاهد عملية تقطيع حجارة الرخام الملون لاستعمالها في البناء ، وقد أقيمت منشآت الرملة من هذا الرخام ، كما ذكر المقدسي أن الرملة كانت تصدر القطين ولا مثيل له في العالم ، ومن هنا نقول إن سكان الرملة قد اشتهروا بصناعات تجفيف الفواكه وتصديرها كالتين مثلاً[2] ، ولكثرة الزيتون في إقليم الرملة فلا بد أن تقوم هناك عمليات العصر واستخراج الزيوت ، ومن المحتمل قيام صناعة الصابون في الرملة مع أن نابلس هي التي اشتهرت بهذه الصناعة ، وقد ذكر المقدسي أنه لا نظير لقطين وزيت الانفاق وحوارى وميزر الرملة[3] ، وقد مدح البلوي الرحالة المعروف صنائع المدينة فقال: «وافرة الصنائع سابغة المدارع . . . فيها جنات من نخيل وأعناب طوبى لمصرها وحسن مآب»[4] .

وذُكر أن الطواحين موقع بالقرب من الرملة قريب من نهر أبي فطرس (العوجا) والطواحين جمع طاحونة تطحن بواسطتها الغلال[5] ، ويفهم من هذا الكلام أن الموقع كان يحتوي على مجموعة كبيرة من الطواحين لطحن الغلال ، ومن المحتمل أن تكون تلك الطواحين قد أديرت بواسطة المياه من نهر أبي فطرس المذكور وقد اشتهر المكان لوقوع عدة حوادث بقربه كما ورد في ثنايا البحث[6] .

(١) ناصر خسرو: سفرنامة ص٥٤-٥٥ .

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٨١ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٨١ ، المسبحي : من تاريخ مصر في سنتين ص١٧٥ ، السمعاني : الأنساب ٦/ ١٧٠ ترجمة يحيى بن عيسى فذكر أنه يجهز الزيت إلى الكوفة وهو يقيم في الرملة .

(٤) البلوي : تاج المفرق ٢/ ١٦ .

(٥) الحموي : معجم البلدان ٤/ ٤٥ .

(٦) ابن بطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ص٧٠-٧١ .

التجـــــارة :

التجـارة مورد هام جداً ، من موارد الدخل القومي للدولة ، وعليه يرتكز اقتصادها ، وكلما كان هناك منافذ تجارية كلما كان بالإمكان مزاولة الاتصالات التجارية بسهولة مع العالم الخارجي ، وبالنسبة للرملة فإنها كانت تتمتع بموقع تجاري لا بأس به ، فيافا فرضة فلسطين لا تبعد عن الرملة أكثر من ٦ أميال ، وكذلك ايله ليست عنها ببعيدة وهما منفذا فلسطين للشرق والغرب ، وإقليم الرملة بقراه الأربعة آلاف كان يعتمد على المدينة في تزويده بما يلزمه من سلع محلية وخـارجية ، كمـا كان يعتمـد عليها في تصريف منتجاته ، وعلى هذا فيمكننـا القـول إن الرملة قد مارست العمليات التجارية الخارجية والعمليات التجارية الداخلية .

وقد عرفت عدة أسواق مشهورة في مدينة الرملة تحوي المئات من الحوانيت التي تعج بمختلف السلع المحلية والمستوردة ، ولا شك أن ما كان معروفاً من عمليات تجارية في الدولة الإسلامية عرف في إقليم الرملة .

وقد مر بنا كيف مدح الحميدي والحنبلي[1] وغيرهما أسواق الرملة وعددا قسماً منها وكلها ترتبط بالمسجد ـ مركز المدينة ـ حيث يزدهر النشاط التجاري وتنشط عمليات البيع والشراء ثم ظهرت الأسواق المتخصصة في الرملة فكأن المدينة كانت مقسمة تجارياً حسب المهن ، فسوق للأكافين ، وسوق للصياقلة وسوق للخشابين إلى غير ذلك . والملاحظ أن هذه الأسواق المتعددة تتصل بأبواب السور المحيط ببواباته المتعددة ، شريان المواصلات من المدينة وإليها .

= الحموي : معجم البلدان ، المصدر السابق ٤/٤٥ ، ٥/ ٣١٥ ـ ٣١٦ .
المقريزي : الخطط المقريزية ١/ ٣٢١ .

(١) الحميدي : الروض المعطار ص ٢٦٨ ، الحنبلي : الأنس الجليل ٢/ ٦٨ .

وذكر المقدسي[1] أن المدينة (الرملة) تحوي عدداً من الفنادق والخانات والحمامات النظيفة فقال: «والتجارة بها مفيدة ، والمعايش حسنة . . . موضوعة بين رساتيق زكية ، ومدن محيطة ، ورباطات فاضلة ذات فنادق رشيقة ، وحمامات أنيقة ، وأطعمة نظيفة ، وإدامات كثيرة ، ومنازل فسيحة» .

وقد زار المدينة كلاً من البلوي وابن بطوطة[2] ، وأُخذا بأسواقها ومع أن الرحلتين تمتا في وقت متأخر زمنياً بالنسبة لبحثنا ، إلا أن العمليات التجارية في تلك الأزمان لم تكن سريعة التطور والتغيير كما هو الآن ، لذا فإننا نرى أن نذكر أنهما أعجبا بأسواق الرملة وترتيبها ونظافتها ومدحاها . ويتصل بالتجارة ما كان يستعمل من مكاييل لتثبيت الأوزان فقد استعمل أهل الرملة من المكاييل: القفيز والويبة والمكوك والكيلجة . والكيلجة نحو صاع ونصف ، والمكوك ثلاث كيالج ، والويبة مكوكان ، والقفيز أربع ويبات[3] .

وأهم السلع التجارية[4] التي تصدر من الرملة لشهرتها حواري وميزر والتين المجفف (القطين) ، ويعدد المقدسي السلع المتوفرة في فلسطين ومن الطبيعي أن يتوفر معظمها في عاصمة الإقليم (الرملة) ، فذكر أن الزيت والقطن والزبيب والخرنوب والملاحم والصابون والفوط كلها تصدر من فلسطين للخارج ، ثم عدد سلع كل مدينة على انفراد ، فمن القدس الجبن والقطين والزبيب العينوني والدوري غاية والتفاح وقضم قريش والمرايا قدور القناديل والأبر ومن أريحا نيل غاية ومن صُغَر وبيسان النيل والبخور ومن عمان الحبوب والخرفان والعسل . وقال: «اعلم أنه اجتمع بكور فلسطين ٣٦ شيئاً ولا تجتمع في غيرها ، وبما أن

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٦٤/ ١٨٠ ـ ١٨١ .

(٢) البلوي : تاج المفرق ٢/ ١٥ـ١٦ ، وكانت زيارته للمدينة حدود عام ٧٣٨هـ (صفر) ، ابن بطوطة : مهذب رحلة ابن بطوطة ١/ ٥٠ ، نقولا زيادة: الرحالة العرب ٢/ ٦٨ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٨١ ، مصدر سابق ذكره .

(٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٨١ .

معظمها زراعي ذكرناها عند الحديث عن الزراعة فيرجع إليها هناك»[1]، ولا شك أنها كانت تستورد من مصر الكتان والجلود وتصدرها إلى العراق وغيرها ، وقد راجت بها هذه السلع إلى جانب تصدير الزيت .

إن المنتجات الزراعية كانت تباع في الأسواق الداخلية للرملة بما يشبه البيع بالقطاعي أو بالجملة كما هو الحال الآن ، وبما أنها من انتاج الإقليم فهي موجودة في أسواق العاصمة بكثرة على أساس أن عمليات البيع والشراء والتصدير للخارج متركزة في المدينة .

هذا فيما يختص بالتجارة الداخلية وتوزيع السلع في الأسواق المحلية وما يختص بالمكاييل المستعملة في الرملة في عملية التعامل التجاري اليومي لدى المواطنين ، ونقد الرملة هو ما كان مستعملاً في مصر والشام والعراق ، وكثيراً ما كان من يتولى أو يسيطر على الأمور في الرملة ما يضرب النقد باسمه دليلاً على سيطرته ، فإذا كان الوالي يخطب باسم الفاطميين ويتمتع بنفوذ قوي ضرب النفوذ ووضع اسمه إلى جانب اسم الخليفة أو الجهة التي يتبعها ، والمهم أن الرملة عبر تاريخها كانت مرتبطة إما بمصر أو بالعباسيين في بغداد وسامراء ، ولا يمكنها أن تستقل بنقد تضربه دون ذكر اسم حكام مصر أو بغداد سواء أيام الطولونيين أو الإخشيديين أو الفاطميين أو السلاجقة أو الأيوبيين والمماليك فيما بعد ، ومهما يكن فإن سلع الرملة كانت تصدر لمصر بصفة خاصة[2] .

ومن الجدير بالذكر هنا القول بأن الجهابذة والصيارفة في إقليم الشام جميعه كانوا من اليهود وبالنسبة للرملة فإن اليهود[3] مارسوا عمليات المال فذكر أن يعقوب بن كلس اليهودي الذي أسلم طمعاً في الوزارة في مصر أيام الإخشيديين كان وكيلاً للتجار في الرملة ، ومعنى هذا أن هناك عمليات تجارية

---

(١) المصدر السابق نفسه ص١٨٠/ ١٨١ (الكلام عن الزراعة في هذا البحث) .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ١٩٤ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٨٣ .

تجـري ما بين الرملة والخارج ويأخذ هذا الوكيل أرباحاً طائلة من جراء عمله المربح . وقد احتال هذا على التجار وهرب من الرملة إلى مصر[1] ومنها إلى شمال أفريقيا .

والمهم أن وجود وكلاء للتجار في الرملة يدلنا على مدى تقدمها التجاري واتقـانها لأساليب التجارة الخارجية آنذاك لأن قيام الوساطة التجارية وممارسة عملية السمسرة هي من الأعراف التجارية الحالية ولا بد أن تكون هناك بيوت للمـال لتمـويل مثـل تلك الصفقـات التجارية مما يطلعنا على رقي الازدهار التجاري في الرملة آنذاك ، ثم إن هرب يعقوب إلى مصر ثم إلى شمال أفريقيا يدلنـا أيضاً على أن الإخشيديين كانوا يحرصون على توفير الأمن الاقتصادي بمعاقبة المسيء إلى العمليات التجارية والمحتال على التجار وذلك لتشجيع حركة التجارة .

والرملة ضمن الإقليم الساحلي المشرف على البحر الأبيض المتوسط ولعل كونها ساحلية أو قريبة من الساحل فقد اتصلت بالخارج عن طريق ميناءي يافا[2] وايلة (ويلة)[3] بالبحـر الأبيض والبحر الأحمر ومن ثم في الشرق والغرب لأن المدينتين تعتبران منفذ الرملة إلى البحر ، بل هما فرضة فلسطين بكاملها ، ولا شك في أن الرملة كانت ترسل بسلعها إلى العراق ومصر وباقي إقليم الشام ، وربما وصلتها تجارة جنوة وبيزة وغيرهما ، وقد أصبحت الرملة أيام الصليبيين

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٧/ ٣٢-٣٣ .
الدواداري : كنز الدرر ٦/ ٢٢٦ ، الذهبي : دول الإسلام ١/ ٢٣٢ .
العيني : السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي ص١٥٥ .

(٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ، القلقشندي : صبح الأعشى ٤/ ٩٩ .

(٣) المقـدسي : أحسن التقاسيم ص١٧٨/ ١٧٩ ويقول : ويلة فرضة فلسطين ومنها يقع جلابهم أي وارداتهم ، وأرطـالهم شامية وتضاف إلى فلسطين رغم أن سكانها خليط من الحجازيين والمصريين والشاميين .

مركزاً تجارياً مرموقاً تمر بواسطتها السلع التجارية إلى بلاد الشام الداخلية وغيرها .

وذكر المقدسي أن المدن البحرية بها رباطات يقع فيها النفير وتقلع إليها شلنديات الروم وشوانيهم مع أسارى المسلمين للبيع كل ثلاثة أشخاص بمئة دينار ، وفي كل رباط قوم يعرفون لسان الروم ويذهبون إليهم عند قدوم سفنهم ويحملون معهم أصناف الأطعمة للبيع وتكون سوق رائجة أثناء عرض الأسرى خاصة وأن الناس ينفرون إلى تلك المراكب لما يدق النفير بقرب وصولها ومع كل ممن يودون البيع والشراء جملة من السلع ، وعند الاجتماع فرجل يشتري رجلاً وآخر يطرح درهماً أو خاتماً حتى يشتري ما معهم ، وهذا سوق موسمي ، ليس دائم الحصول مدار السنة . ولا شك أنه مظاهرة للبيع والشراء ومدعاة للكسب والإثراء[1] ، وكانت يافا ميناء الرملة من المراكز الساحلية التي يتم فيها البيع والشراء بهذا الطريق المتعارف عليه آنذاك[2] .

ولا يستبعد أن تكون الرملة قد عرفت البيع بالأجل واتقنت حكاية السندات والحوالات (الفاتج)[3] ، ووجدت بيوت للتمويل التجاري لأن معنى وجود وكيل للتجار في الرملة كما كان يعقوب بن كلس يدل على أن المدينة عرفت البيع بالأجل واستعملت أذون الدفع المؤجل وأتقنت عمليات البيع المتقدمة ، بدليل أن يعقوب بن كلس قد تجمع لديه مبلغ ضخم من الأموال اغراه بأن يهرب لأن الوكيل مؤتمن على العمليات التجارية ، وهروبه لا شك ضربة للعملية التجارية فإن سوق المال لا بد أن تهتز لمثل هذه الأعمال غير الشريفة في التعامل المالي

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٧٧ .

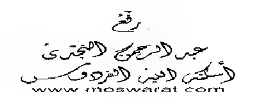
(٢) اليعقوبي : كتاب البلدان ص٣٢٩ ، ويقول: يافا على ساحل البحر ينفر إليها أهل الرملة .

المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٧٤ .

(٣) أمينة البيطار: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في بلاد الشام ص٣٤٥ .

وتـدعـو إلى الشـك وعـدم الثقـة بالآخرين ولذا أسرع الوزير بن خذابه وزير الإخشيديين إلى التضييق عليه وطرده خارج مصر ، ومهما قيل في سبب نفيه أو هربـه للخـارج إلا أن عملية الاستيلاء على أمـوال التجار يبقى لها شيء من الوجاهة في هذا السبيل .

وبعد فلعل نشاط الرملة يعود إلى كونها عقدة للمواصلات والطرق البرية القادمة من الشام إلى مصر وبالعكس وقد اتصلت بالحجاز عبر ايلة ، وكانت شبكة المواصلات هذه ترتبط بالرملة والخارج بالاردن والشام والعراق ومصر والحجاز .



شبكة مواصلات الرملة بالخارج :

تمتعت مدينة الرملة بموقع تجاري هام فكانت حلقة وصل بين سائر المدن الفلسطينية والشامية والمصرية ، وعلينا أن نعرِّف بهذه الشبكة الممتازة سيما وأنها قد استغلت للتجارة أيضاً .

طريق طبرية ـ الرملة :

ارتبطت الرملة قصبة فلسطين بطبرية قصبة الاردن بطريق يبعد «ثلاثة أيام» ، وهذا الطريق ربط الرملة عبر طبرية بدمشق وحلب وحمص وحماة ومنبج والجزيرة الفراتية(١) . وقد فصَّل المقريزي في خططه الطريق الواصل ما بين طبرية والرملة ، فذكر أن المسافة من طبرية إلى اللجون ٢٠ ميلاً ثم من اللجون إلى قلنسوة ٢٠ ميلاً ، ثم من قلنسوة إلى الرملة ٢٤ ميلاً فتكون المسافة ما بين الرملة وطبرية تساوي ٦٤ ميلاً(٢) .

وقد ذكر ابن حوقل(٣) المسافة ما بين ملطية في الثغور شمال الشام إلى رفح آخر حدود فلسطين عبر الرملة بمسافة ٢٣ «يوماً» من ملطية إلى الرملة عبر كل

---

(١) الاصطخري : المسالك والممالك ص ٤٨ .

(٢) المقريزي : الخطط جـ/١ ص ٢٢٧ .

الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ص١١٦ ، وذكر المسافة بين طبرية واللجون ١٢ ميلاً وليس ٢٠ ميلاً .

الاصطخري : المسالك والممالك ص٤٨ ، ذكر المسافة من طبرية إلى الرملة ٣ أيام .

ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٧٠ ، وذكر المسافة من طبرية إلى الرملة ٣ أيام .

وعلى هذا فإن اليوم حسب ما جاء في الهمذاني من أن المسافة بين طبرية والرملة : ٥٦ ميلاً يكون اليوم في حدود ١٩ ميلاً .

وأما بحسب حساب المقريزي الذي يقول إن المسافة من طبرية إلى الرملة : ٦٤ ميلاً يكون اليوم في حدود ٢١ ميلاً .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٧٠ ، الادريسي : نزهة المشتاق ٤/ ص ٣٧٨ .

من فبـج وحلب وحمص ودمشق وطبرية ، ويستمر هذا الطريق بعد ذلك من الرملة إلى رفح والمسافة من ملطية إلى رفح حوالي ٢٥ يوماً عبر الرملة ، وهو نفس الطريق المذكور سابقاً ، ومن هذا الطريق يتفرع عند فبج فرع يذهب إلى أرض الجـزيرة الفراتية ، وهذا طريق هام ربط الجزيرة وشمال العراق بشمال سوريا ثم بكل من طبرية والرملة ومنها إلى مصر وهو نفس الطريق الذي شهد العمليات التجـارية والبريد والتنقلات العسكرية ما بين تلك الربوع ، وهكذا ارتبطت الرملة بكل من الشام والعراق والجزيرة وما إليها من بلاد وتاجرت معها عبر هذا الخط ، ويذكر المقدسي[1] أن هناك طريقاً يتفرع من طبرية إلى اللجون أو حب يوسف أو إلى بيسان ثم إلى عقبة فيق أو إلى الجش أو إلى كفر كيلا ، ومن اللجون يخرج طريق إلى قلنسوة فالرملة وهو ما وصفناه أو من اللجون إلى كفر سابا فالرملة .

طريق الرملة ـ مصر :

وذكـر المقـريزي في خططه أن هناك طريق يخرج من الرملة إلى اسدود بمسافة ١٢ ميلاً ، ثم إلى غزة بمسافة ٢٠ ميلاً ، ثم إلى العريش بمسافة ٢٤ ميلاً في رمل ، ثم إلى الواردة بمسافة ١٨ ميلاً ، ثم إلى أمم العرب بمسافة ٢٠ ميلاً ، ثم إلى الفرمـا بمسافة ٢٤ ميلاً ، ثم إلى جرير بمسافة ٣٠ ميلاً ، ثم إلى القاصرة بمسافة ٢٤ ميلاً ، ثم إلى مسجد قضاعة بمسافة ١٨ ميلاً ، ثم إلى بلبيس بمسافة ٢١ ميلاً ، ثم إلى الفسطاط ـ مدينة مصرـ بمسافة ٢٤ ميلاً ، وتكـون مجمـوع المسـافة من الرملة إلى الفسطاط تساوي حوالي ٢٣٥ ميلاً عربياً[2] ، وهذا الطريق هو نفس الطريق الموصل ما بين الشام ومصر للتجارة

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٩١ .

(٢) المقريزي : الخطط ١ / ٢٢٧ ، وذكر مثل ذلك تقريباً .
اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٢٩ وقد ذكر نفس الطريق تقريباً باختلاف الموانع ودون ذكر للمسافات كالتالي :
=

والمـواصلات ، وظل هو المتبع في حركة التجارة والبريد والمواصلات حتى العدوان الصليبي فاقتضى الظرف تغييره فانحرف إلى جهة الجنوب بالقرب من ايلة .

طريق الرملة الحجاز:

ومن المحتمل جداً أن يكون اتصال الرملة بالحجاز قد تمَّ عن طريق ويلة (ايلة) العقبـة اليوم ، وذكـر المقدسي أنها تقع على طرف شعبة بحر الصين (البحر الأحمر) ، وهذه تسمية لم أشاهدها سوى في المقدسي ، وهي خزانة الحجـاز العـام وهي التي قال عنها تعالى : ﴿**وَاسألهُمْ عَنِ القَرِيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِـرَةَ البَحـرِ. . .**﴾ وفيهـا يتنـازع بين الشاميين والحجازيين والمصريين وتضاف إلى الشام ويجتمع بها حجاج الشام ومصر[1] ، أو عن طريق الرملة ـ القديس ـ أريحا ـ زعز ـ الشراة ـ إلى معان ومنها إلى الحجاز[2] .

= الرملة ـ يبنى ـ عسقلان ـ غزة ـ رفح ـ الشجرتين (أول حدود مصر) ـ العريش ـ البقارة ـ الواردة ـ القرما ـ جرجير ـ فاقوس ـ غيفة ـ الفسطاط ، (وربما تكون قد نشأت مواقع أهم من غيرها فذكرها المقريزي المتأخر عن اليعقوبي كثيراً) .

ابن القـلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٦٠/٦١ يقول المسافة من الرملة والقاهرة ١٠٠ فرسخ والتوبة تقطعها في حدود ٣ أيام .

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٧٨/ ١٧٩ .

(٢) الاصطخري : المسالك والممالك ص٤٨ .

شبكة الطرق الداخلية ما بين الرملة ومدن فلسطين الأخرى :

ارتبطت الرملة بشبكة مواصلات داخلية مع مدن وقرى فلسطين نوجزها كما يلي :

أولاً : من الرملة إلى يافا ، نصف مرحلة(١) .
ثانياً: من الرملة إلى عسقلان ، مرحلة(٢) .
ثالثاً: من الرملة إلى غزة ، مرحلة(٣) .
رابعاً: من الرملة إلى بيت المقدس ، يوم(٤) .

ومن بيت المقدس عدة طرق تصل المدن الأخرى بالرملة عبرها وهي :

أ ـ من بيت المقدس إلى مسجد ابراهيم (الخليل) يوم .
ب ـ من بيت المقدس إلى أريحا مرحلة .
جـ ـ من بيت المقدس إلى البلقاء (جند دمشق) يومان(٥) .

ومن أريحا تتصل الطرق بعدة مواقع فتتصل بالرملة عبر أريحا والقدس ومنها :

أ ـ من أريحا إلى صغر يومان .

---

(١) الاصطخري : المسالك والممالك ص٤٨ : ابن حوقل : صورة الأرض ص١٧١ .
المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٩١ ويقول المسافة مرحلة بين الرملة ويافا وذكر المسافة بينهما (٦ أميال) واليوم : ١٨كم .
الادريسي : نزهة المشتاق ٤ / ص٣٥٦ ومن الرملة إلى يافا نصف اليوم .
(٢) الادريسي : نزهة المشتاق ٤ / ٣٥٦ والمصادر السابقة نفسها .
(٣) المصادر السابقة ولكن المسافة اليوم من الرملة إلى غزة : ٦٩ كم ، الدباغ : بلادنا فلسطين جـ/١ ق/١ ص١٤٢ .
(٤) الاصطخري : المصدر السابق ، المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٩١ .
(٥) الاصطخري : المسالك ص٤٨ .

ب ـ من أريحا إلى الشراة يوم .

جـ ـ من أريحا إلى آخر الشراة يومان[1] .

خامساً: من الرملة إلى قيصرية يوم[2] .

سادساً: من الرملة إلى نابلس يوم[3] .

سابعاً: من الرملة إلى بيت جبريل مرحلة[4] .

ثامناً: من الرملة إلى السكرية مرحلة[5] .

تاسعاً: من الرملة إلى كفر سلام مرحلة[6] .

عاشراً: من الرملة إلى الماحوز مرحلة[7] .

حادي عشر: من الرملة إلى أرسوف مرحلة[8] .

وهكذا نرى أن الرملة كانت تشكل عقدة المواصلات الهامة مع مدن الإقليم الفلسطيني ، حيث ارتبطت بها بشبكة من طرق المواصلات وهذا مما سهَّل عملية التبادل التجاري وسرعة وصول السلع من وإلى الرملة ، وهذا بالتالي قاد إلى الازدهار التجاري رغم ما كان يحل بالمدينة من كوارث طبيعية أو عسكرية تِعيق عملية التبادل التجاري .

---

(١) الاصطخري: المصدر السابق نفسه ، الادريسي: ٤/ ٣٥٥ .

(٢) الاصطخري: المصدر السابق نفسه ، الادريسي: نزهة المشتاق ٤/ ٣٥٥ يقول المسافة مرحلة .

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم ص١٩١ ويقول المسافة: مرحلة وهذا سوّى المرحلة باليوم .

(٤-٨) أحسن التقاسيم ص ١٩١ ـ ١٩٢ .

النقود المستعملة في الرملة:

ان ضرب العملة سمة رئيسية من سمات السيادة ، ورمز للسلطة وضربت النقود في الرملة منذ أيام الأمويين الذين مصروا المدينة وبنوا صرحها ، وشهدت أيام مجدها في ظلهم ، ومن المعلوم أيضاً أن العرب ظلوا يستعملون عملات البلاد المفتوحة ولم يضربوا عملة خاصة بهم طيلة العهد الراشدي وشطراً من العهد الأموي ، حتى إذا تحددت الأوضاع الخليفة عبدالملك بن مروان ضرب العملة الإسلامية العربية وانشأ ادارة عربية في توجهاتها وآمالها[1] .

وأصبحت الرملة بعد انشائها عاصمة لفلسطين أيام الأمويين وقد أحب هؤلاء فلسطين وعاصمتها حباً متميزاً عن غيرها من البقاع وضربوا النقود النحاسية فيها ، وكانت هذه النقود لا تحسب عليها الزكاة والهدف منها تسهيل عمليات البيع والشراء فقط ، وقد وجدت حوالي ١٥ مركزاً لضرب النقود في جندي فلسطين والاردن أهمها الرملة[2] ، وهذا يظهر لنا مدى أهمية المنطقة التجارية كالرملة .

وفي زمن العباسيين وحتى عام ١٨٠هـ كان النقد العباسي المضروب في بغداد هو المستعمل في الديار الفلسطينية كلها ، ثم ضربت النقود فيما بعد في معظم مدن الغرب الفلسطينية ومنها الرملة ، وظل هذا الحال حتى انضمت فلسطين إلى الحكم الطولوني في مصر فظهرت صورة الخليفة العباسي إلى جانب صورة الحاكم الطولوني على اعتبار أن هؤلاء خاضعين رسمياً للسلطة

---

(١) اليعقوبي : تاريخه ٢/ ٢٨١ يقول كان ضرب النقود أيام عبدالملك على يدي الحجاج بن يوسف .
الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧/ ٢٤٢ ويقول في عام ٧٦هـ ضرب عبدالملك الدنانير والدراهم .

(٢) سمير شما : النقود الإسلامية التي ضربت في فلسطين ص ٣٢-٣٣ .

العباسية في بغداد وسامراء[1] .

وبعد أن زال الحكم الطولوني عادت فلسطين للتبعية العباسية المباشرة في الفترة ما بين (٢٩٢ ـ ٣٢١هـ) ضربت فيها النقود العباسية الخالصة دون اثر لأحد غير الخليفة[2] .

ولكن لما آلت فلسطين للإخشيديين فيما بعد ضرب هؤلاء النقود في الرملة الفلسطينية وظهر الدينار الذهبي الإخشيدي مع أن الإخشيديين رسمياً هم تبع للعباسيين ، ولما كان الضعف يعتري الحكم الإخشيدي تعود النقود العباسية الخالصة المضروبة في الرملة وغيرها للظهور في التداول التجاري كما حصل عام ٣٥٥هـ ، ولكن كافور الذي توصل إلى العرش الإخشيدي اعتبر هذا العمل موجهاً ضده شخصياً ، بل هو انتقاص من قدره وسمعته ، وحجراً على سيادته وسيادة الدولة ، فسرعان ما سوّى الأمور مع الخليفة العباسي وعادت النقود الإخشيدية من جديد[3] .

وشهدت فلسطين بمدنها سيطرة القرامطة إثر ضعف الإخشيديين منذ عام ٣٥٧هـ وكدلالة على سيطرتهم ضرب هؤلاء الدراهم الفضية وقد وجد درهم فضي قرمطي عليه اسم صالح من ضرب فلسطين وذلك عام ٣٥٨هـ ، وفي عام ٣٦٠هـ جاء القرامطة ثانية لفلسطين في طريقهم إلى مصر واستقروا زمناً بالرملة وسيطروا على كامل التراب الفلسطيني تقريباً ، وضربوا الدنانير في الرملة وغيرها وكان يدعمهم الخليفة العباسي المطيع في الأعوام ٣٦٠ ـ ٣٦٢هـ كما ضرب هؤلاء النقود فيما بعد أثناء عودتهم ثالثة إلى فلسطين ما بين ٣٦٥ ـ ٣٦٧هـ .

ثم شهدت فلسطين كذلك سيطرة الفتكين التركي منذ عام ٣٦٤ ـ ٣٦٨هـ

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٣٩ .
(٢) المرجع السابق نفسه .
(٣) المرجع السابق نفسه .

وكان هذا يوالي عضد الدولة البويهي الحاكم المتسلط على الخلافة العباسية في بغداد أيام الطائع العباسي فضربت النقود البويهية كدلالة على هذا الخضوع والسيطرة ، كما وجد نقد بويهي من ضرب فلسطين عام **٣٧١هـ** .

وعلى العموم كانت الفلوس النحاسية والدراهم الفضية التي حملت أسماء مدن فلسطين ومنها الرملة أقل من النقود الذهبية بكثير أيام العباسيين[١] ، والخلفاء العباسيون الذين ضربوا النقود في فلسطين هم : الرشيد ، المأمون ، المكتفي ، المقتدر ، القاهر ، الراضي ، المطيع[٢] .

وكانت النقود العباسية أحياناً تضرب في الرملة وغيرها من مدن فلسطين إحياء لذكرى أو مناسبة ، ومن هذا القبيل ما وجد من الفلوس التي ضربت بالرملة عام ١٨٠هـ تخليداً لذكرى زيارة جعفر البرمكي الذي قدم إلى الشام واسكن الفتنة فيها حيث وجد فلس عليه اسم جعفر البرمكي .

وقد ضربت الدنانير الطولونية الذهبية في فلسطين بالرملة على غرار النقود العباسية ، ومن الجدير بالذكر أن الطولونيين قد تشددوا في العيار حتى أصبح **٢٣,٥** قيراطاً من الذهب الخالص ، وكثرت الدنانير الطولونية بشكل ملفت للنظر حتى أن أحمد بن طولون عندما توفي ترك في خزانة الدولة عشرة ملايين ديناراً من الذهب ، أنفقها خمارويه بشكل أضعف ميزانية الدولة خاصة على حروبه وزفاف ابنته إلى دار الخلافة العباسية .

ومن الملاحظ أن الطولونيين لم يضربوا أجزاءً للدينار إذ لم يعثر على شيء من هذا القبيل ، ولكن الدراهم الفضية والفلوس النحاسية الطولونية قليلة بصفة عامة منذ عام **٢٥٨هـ** ، ومعظم فلوس أحمد بن طولون تحمل اشارة للتعبير عن اسمه ومعظم النقود الطولونية ضربت على السكة وبعضها صنع بطريق

(١) سمير شما : النقود الإسلامية ص ٤٠ .

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٤١ .

الصب[1] .

وقد ضرب الإخشيديون الذين أقاموا حكماً لهم في مصر وسيطروا على الشام الجنوبية نقوداً لهم في فلسطين ومدنها ، وهذه النقود تشبه النقود العباسية مع زيادة اسم الأمير الإخشيدي تحت اسم الخليفة فتشابهت نقوشهم مع نقوش الطولونيين ، وكانت معظم نقودهم من الدنانير الذهبية دون ضرب أجزاء للدينار ومعظم هذا النقد ضرب في رملة فلسطين ، هذا إلى جانب الدراهم الفضية والفلوس النحاسية .

وأقدم الدنانير الإخشيدية المعروف أنها ضربت بفلسطين وعليها أسماء الحكام الإخشيديين يعود تاريخها إلى عام **٣٣١هـ** وآخرها عام **٣٥٨هـ** ، وقد استعملت طريقة الصب والأكثرية بطريقة الضرب بالمطرقة على السندان ، ومهما يكن من أمر ، فإن الدنانير الإخشيدية هي أوفر النقود الإسلامية الذهبية المضروبة بفلسطين والباقية إلى الآن[2] .

وفي أيام الفاطميين الذين سيطروا على جنوب الشام ووسطه ضرب هؤلاء كثيراً من النقود في مدن الجنوب ومنها الرملة ، وكانت دنانيرهم تحمل عبارات التمجيد للإمام علي باعتباره أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين ، وكانت الأشكال الدائرة تزين هذه الدنانير وكانت تحيط بهذه الدوائر حلقات من خطوط بارزة على وجهي الدينار ، ووصل عيار هذه الدنانير إلى عيار النقود الطولونية وتساوي **٢٣,٥** قيراطاً من الذهب .

وفي عهد الحاكم بأمر الله أصبحت الدراهم الفضية نقداً قانونياً وتحولت الدولة إلى نظام المعدنين الذهب والفضة ، ولم يعثر على نقود فاطمية نحاسية ، وقد اختلف الفاطميون عن الطولونيين والإخشيديين فسكوا أجزاء

---

(١) سمير شما : النقود الإسلامية ص ٤٥-٤٦ .

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٤٧-٤٨ .

الدينار كالنصف والربع والثمن ، وأهم من ضرب النقود في فلسطين (الرملة) من الخلفاء الفاطميين المعز والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستكفي والآمر .

ويجب أن ننوه إلى أن سيف الدولة الحمداني ضرب الدراهم الفضية في الرملة عام ٣٣٥هـ ، كدلالة على سيطرته على المدينة وعلى غيرها من مدن فلسطين[١] ، هذا وقد نشر ووكر ٣٦ نموذجاً من فلوس الرملة الأموية وهي على النمط الإسلامي الصرف ، ولو استعرضنا فلساً من هذه الفلوس لوجدنا أن المدار يحمل عبارة: بسم الله الرحمن الرحيم هذا الفلس بالرملة ، وظهر اسم الرمة أحياناً بدلاً من الرملة على بعض الفلوس ، وظهر على البعض عَفَن ، وعلى ظهر البعض كتب: ضرب في الرملة أعقبتها نجمة خماسية ، وعلى مدار الوجه العبارة المأثورة «لله الملك، فلس وافٍ»[٢] .

كما وجدت فلوس نحاسية عباسية تعود لعصر المأمون أيام كان سعيد بن السرح والياً على فلسطين في السنوات ٢٠٥ ، ٢١٠ والمدار عليه:

بسم الله مما أمر به	ضرب هذا الفلس بالرملة
الأمير سعيد بن السرح	على يدي (أبي الزباء)

والوزن يتراوح ما بين ١,٥٣ غم إلى ٢,١٥ غم[٣] ، ٣,٥٨غم[٤] ، وضرب المعتمد العباس الدنانير الذهبية والدراهم الفضية عام ٢٦٤هـ[٥] ، وأما المكتفي فضرب أول دينار ذهب عام ٢٩١هـ ، وتتراوح دنانير المكتفي ما بين

(١) شما: النقود الإسلامية ص ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٨١ .

(٣) المرجع السابق نفسه ص ٩٢ .

(٤) المرجع السابق ص ٩٣ .

(٥) المرجع السابق نفسه ص ٩٤ .

٣,٤٤ ـ ٤,٠٣ غم والقطر ما بين ٢٣ ـ ٢٥ ملم[1] ، وأما دنانير المقتدر المضروبة بفلسطين وغيرها فتتراوح ما بين ٢,٥ ـ ١٣,٠٠ غم ، والقطر ما بين ٢٢,٥ ـ ٢٦ ملم ، وكان اسم عميد الدولة وزير المقتدر يظهر أحياناً على هذه الدنانير دليلاً على قوة نفوذه وعلو شأنه في الدولة ، لدرجة أنه شارك الخليفة بوضع اسمه على العملة المستعملة[2] .

ومما كان يميز فلوس القرامطة أنه ظهر على هذه الفلوس عبارات مخالفة للمألوف فمثلاً ظهر على أحد دنانيرهم :

السادة الرؤساء/ الحسن بن احمد

لا إله إلا الله وحده
لا شريك له
السادة الرؤساء

لله
محمد رسول الله
صلى الله عليه
وعلى آل
المطيع لله
الحسن بن احمد

المدار: بفلسطين سنة احدى
وستين وثلثماية

محمد رسول الله . . . ولو
كره المشركون[3] .

وكانت أحياناً تستبدل كلمة السادة الرؤساء بالرئيس ، السيد رئيس مجلس الحكم[4] .

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٩٤-٩٥ .

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٩٦-١٠١ .

(٣) سمير شما : النقود الإسلامية ص ١٣٧ .

(٤) المرجع السابق نفسه والصفحة .

الفَصْلُ الخَامِسُ

الحَيَاةُ العِلْمِيَّةُ



أماكن التعليم في الرملة :

لم تنفرد الرملة في المرحلة التي نبحثها عن العالم الإسلامي بابتكار طرق تعليم جديدة أو بناء مدارس متقدمة ، بل كان التعليم كما تشير الدلائل في المدينة وفلسطين شأنه شأن غيره في مدن العالم الإسلامي فقد عرفت أماكن للتعليم الابتدائي وأماكن للتعليم المتقدم ، فقد كانت المساجد مراكز للعلم والتعليم والوعظ كما عرف التعليم في الأربطة المحيطة بمنطقة الرملة ، فقد ذكر المقدسي كما أسلفنا كثرة الربط في منطقة الرملة ، كما عرف التعليم بمجالس خاصة في البيوت ، وأما المدارس بمعناها المعروف لم تكن قد أقيمت بعد في الرملة .

وجاء في حوادث عام ٤٦١هـ أنه حصلت زلزلة عظيمة في بلاد الشام عامة وفلسطين خاصة وكانت مدمرة هدمت أكثر دور الرملة وسورها وتضعضع جامعها ومات أكثر أهلها تحت الأنقاض ، وقيل إن معلماً كان في «مكتبه» حوالي مئتي صبي وقع المكتب عليهم فما سأل أحد عن واحد منهم لأن ذويهم كلهم قتلوا[١] ، ويستفاد من هذا أن الرملة ومنطقتها كانت غنية بالمكاتب للتعليم الابتدائي أو ما عرف بتعليم الصبيان ، كما عرف المعلم بالمؤدب أيضاً .

ويستفاد من النصوص أن الرملة كانت تحتوي على أماكن لتعليم الخط وغيره من فنون اللغة فورد أن فاتك المجنون أبو شجاع الرومي غلام الإخشيد وزميل كافور قد كان رومياً أخذ من قرب ذي الكلاع وتعلم الخط في فلسطين[٢] ، وتلقن مبادىء اللغة .

وكان أهل الرملة يحبون سماع القراءات القرآنية ، بل ويدفعون لمن يقرأ الأجر الكبير ، فقد ورد في ترجمة بكر بن سهل بن اسماعيل أبي محمد

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٩٤ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤/ ٢١ .

الدمياطي أنه تقاضى حوالي ٥٠٠ دينار[١] أجراً لقراءته القرآن فأسمع الأهالي وسروا به .

وورد أيضاً في ترجمة أبي جعفر محمد بن يعقوب بن الفرج الصوفي أنه كان من أوعية العلم أنفق ماله في طلب العلم وضروب الخير وقد نزل الرملة وكان له مجلس وعظ في مسجدها يعظ به الناس على اختلاف طبقاتهم[٢] .

وكان أبو جعفر محمد بن سليمان نزيل الرملة يحكي حكايات ثعلب التي تدل على الكياسة والظرف وعلى هذا فكلامه من باب العلم والتعليم[٣] ، وذكر أبو زرعة أنه زار الرملة سنة ٢١٤هـ وزار عالمها سوار بن عمارة الرملي وأخذ عنه وذكر أنه رأى يحيى بن معين العالم الثقة يأخذ عنه كتابةً في الرملة[٤]وهذا يطلعنا على أن الرملة قد أنجبت أساتذة من العلماء أصبح يقصدهم الثقات ويكتبوا عنهم وكان مجلسهم في أغلب الأحيان في المسجد على عادة علماء المسلمين أو في مجالس خاصة في بيوتهم أو أحد الأربطة المنتشرة هنا وهناك ، ولم يقتصر أبو زرعة بالأخذ عن سوار بن عمارة فقط ، بل زار الوليد بن النضر واسحق بن ابراهيم بن سويد من علماء الرملة وأخذ عنهم[٥] .

وكانت حركة التعليم مزدهرة في الرملة ونشطة بدرجة كبيرة يدلنا على هذا المئات من العلماء الذين قدموا الرملة وأخذوا عن علمائها ، ومنهم من استوطنها مدة وحمل اسمها ومنهم من توفي فيها ومنهم من غادرها علاوة على من انتسب

---

(١) ابن عساكر: مدينة دمشق مجلد/ ١٠ ص ٢٤٨ ـ ٢٥٠ .
ملكة أبيض: التربية والثقافة ص ٣٣٩ .

(٢) السلمي: طبقات الصوفية ص ١٤٦ .
أمينة بيطار: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في بلاد الشام ص ٣٧٠ .

(٣) الخطيب: تاريخ بغداد ٥/ ٣٠٢ .

(٤) أبو زرعة: تاريخ أبي زرعة ١/ ٣٠-٣٥ .

(٥) أبو زرعة: ١/ ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٤ .

إليها من أهلها وهاجروا للخارج وظلوا يحملون اسمها ليدللوا على عظم مدينتهم وعلو شأنها .

والخلاصة أن الرملة كجزء من الدولة الإسلامية المتسعة الأطراف والتي امتدت من وسط آسيا إلى جنوب فرنسا شهدت تقدماً علمياً ملموساً شأنها شأن باقي المدن الإسلامية الأخرى ، ولا نكون مغالين إذا قلنا إن موقع الرملة قد جعلها محطة علمية للوافدين من غرب الدولة الإسلامية إلى شرقها وبالعكس ، ثم إن تَقَلُّب عدة حكومات على المدينة أكسبها شهرة أكبر من غيرها أفادت منها المدينة في خدمة الحركة العلمية ، ولا شك أن قدوم الشخصيات العلمية الموثوق بها أفاد هذه الحركة كثيراً ، ويجب أن نذكر هنا أن هذه الحركة كانت في معظمها تنصب على علم الحديث والفقه بشكل خاص أكثر من أي علم آخر ، وقد شهدت المدينة طرفاً من حركة التصوف الإسلامي أفادت في تهذيب الأخلاق إلى حد بعيد .

وبعد ، فإن الرملة تعد من المدن التجارية القريبة من الساحل ، فميناؤها يافا لا يبعد عنها سوى ستة أميال ، ويجب أن ننوه إلى أن الحركة التجارية النشيطة تفيد في تشجيع الحركة العلمية ، فورد أن يعقوب بن كلس اليهودي الأصل كان يقيم في المدينة ومارس عمليات التجارة بشكل موسع ، حتى أنه شغل وكيلاً تجارياً ، ومدينة تعرف أساليب التجارة فيها لا بد أن يكون للتجار دور في تنشيط الحركة العلمية وازدهارها ، خاصة وأن الحركة التجارية تواكبها حركة علمية متقدمة ، فكثيراً ما كنا نسمع في الرملة أن العلماء يمارسون مهنة التجارة فذكر أن خلف بن محمد بن علي بن حمدون الواسطي الحافظ الكبير قدم الرملة واستقر فيها ، وكان يهتم بالعلم والتجارة ، وكان له صديق عالم في الرملة هو أبو الفتح بن أبي القواس الرملي[1] .

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٦٧ ـ ١٠٦٨ .

وبرز في الرملة من طلاب العلم ومشايخه ممن يشهد لهم وممن طبقت شهرتهم الآفاق شرقاً وغرباً عدد كبير ، والمتتبع للحركة العلمية في المدينة يجدها تساير ما ظهر في المدن الإسلامية الأخرى ، والمعروف أن الرملة كانت قصبة لفلسطين حتى الاحتلال السلجوقي ودخول اتسزبن أوق إليها عام ٤٦٣هـ .

وكل هذا من شأنه أن يجعلها محط ركاب العلماء ، يفدون إليها من شتى البقاع على عادة علماء تلك العصور في الرحلة والاغتراب والاحتكاك بغيرهم من العلماء للأخذ عنهم والسماع منهم ومقابلتهم والتزود بما عندهم عن قرب ، وسنعرض إلى علماء الرملة بالتعريف وسنحاول ابراز ما قدموا بمقدار ما تسعفنا المصادر المتوفرة ، ثم نعرف بمن وفد إليها وانتسب لها ونذكر من أبنائها ما اشتهر خارجها وحمل اسمها ، وكل ذلك لنبين مقدار ما كانت عليه تلك المدينة من التقدم والرفعة وما كانت تتمتع به من مركز علمي مرموق ، وسنسير على نهج تقسيم العلوم المختلفة إلى الفقه والحديث واللغة والشعر والطب وغيرها من صنوف العلم وضروبه المتنوعة ما أمكننا الجهد وأسعفتنا المصادر .



العلوم المختلفة :

الحديث ورجاله :

كثر الاشتغال بالحديث في الرملة وغيرها من مدن الإسلام للحاجة إليه ، لأنه مصدر التشريع الثاني بعد القرآن لدى المسلمين في شتى بقاعهم وأراضيهم ، فتهافت عليه العلماء دراسة متناً وسنداً ورواية ودراية وذلك ليبقى هذا المصدر بعيداً عن الدس والإفساد ، وقد كثر المحدثون في الرملة من أبنائها وزوارها ، وزارها عدد كبير أيضاً للأخذ عن علمائها والسماع منهم والتزود بما لديهم ، ومن هؤلاء الزوار من أطال المكث في المدينة ومنهم من لم يطل به الوقت ومنهم من وافاه أجله فيها ومنهم من حدّث فيها أو سمع وارتحل وسنعرض لهؤلاء مع الإشارة إلى وضع كل منهم .

وممن حمل اسم الرملة واشتهر في ميدان دراسة الحديث هم :

١ ـ **أسيد بن عبدالرحمن الخثعمي** وذكر ابن أبي زرعة في تاريخه[١] أنه توفي عام ١٤١هـ وهو من أهل الرملة ، وكان من عادته أنه كان يصفر لحيته ، أي يخضبها بنوع من الخضاب الأصفر على عادة علماء ذلك العصر ، وقد عاصر أوائل الدولة العباسية أيام الخليفة المنصور .

٢ ـ **أبو خالد يزيد بن خالد بن يزيد بن عبدالله بن موهب الرملي الهمداني** روى عن الليث بن سعد والمفضل بن فضالة ، روى عنه أبو العباس محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني وأبو زرعة الرازي وقد توفي عام ٢٣٢هـ[٢] ، وكان قد بلغ شأواً بعيداً في ميدان الحديث وأصبح له تلاميذ

---

(١) الخزرجي : خلاصة تذهيب الكمال ١/ ٩٧ ، وذكر أنه أخذ عن رجاء بن حبوة ومكحول وأخذ عنه الأوزاعي واسماعيل بن عياش وقد وثقه الفسوي .
تاريخه : مجلد ١/ ٢٥٨ ، ٧٠٠ .

(٢) الأصبهاني : ذكر أخبار أصبهان طبعة بريل ١٩٣٤م ، ٢/ ٣٤٩ .

سمعوا منه أو أخذوا عنه أو حدثوا عنه ، وروى عنه عدد كبير منهم :

أبو العباس محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني السابق الذكر وأبو زرعة الرازي وأبو القاسم الختلي اسحق بن ابراهيم بن محمد بن حازم بن سفين وقد سمع هذا من يزيد نن خالد الرملي وأظن أن هذا هو يزيد بن خالد بن يزيد بن عبدالله بن موهب الرملي(١) ، وجعفر بن محمد بن حماد البغدادي وقد حدّث عنه بالرواية(٢) ، وقاضي الدينور أبو بكر الفريابي جعفر بن محمد بن الحسن بن المستقاضي(٣) ، وأبو العباس محمد بن عبدالله بن ابراهيم بن عمير اليافوني(٤) ، وهكذا أصبح يزيد بن خالد بن يزيد علماً من أعلام الحديث وأنه قد طوَّف في البلاد شرقاً وغرباً وأصبح له تلاميذ مشهورين .

٣ - **أبو القاسم شعيب بن محمد بن احمد بن شعيب بن بزيع بن سنان المعروف بابن سوار العبدي .**

٤ - **البزاز الديبلي والمشهور بابن أبي قطران** . اشتهر بالفقه والحديث روى عن جماعة منهم أبي زهير ازهر بن عرزبا المقرىء وحدث بدمشق ومصر

= السمعاني : الأنساب ، طبعة حيدر أباد الدكن ٦/ ١٦٩ ، وطبعة بيروت تحقيق أمين دمج ص١٦٤ ، الحموي : معجم البلدان ٣/ ٧٠ ابن الأثير: اللباب ٢/ ٣٧ .

الذهبي : تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥١ - ٢٥٢ ، ٢/ ٧٦٤ ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ٣/ ٢٧٦ .

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٦/ ٣٨١ ، ابن الأثير: اللباب ٢/ ٣٧ .

(٢) الخطيب البغدادي : المصدر السابق ٧/ ١٩٧ .

(٣) المصدر السابق نفسه ٧/ ١٩٩ .

(٤) الحموي : معجم البلدان ٥/ ٤٢٦ ، الخزرجي : المصدر السابق نفسه وذكر أن احمد إبن ابراهيم البُسري روى عنه ٣/ ١٦٨ - ١٦٩ .

(٢) الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق محمود فايد مكتبة القاهرة ٣/ ١٦٨ - ١٦٩/ ١٩٧١م .

عن عبدالرحمن بن يحيى الأرمني صاحب سفيان بن عيينة وغيره ، وروى عنه محمد بن علي الذهبي وأبو هاشم المؤدب والحسن بن رشيق العسكري وأبو بكر محمد بن احمد المفيد[1] .

٥ ـ **ضمرة بن ربيعة القرشي مولاهم الدمشقي ثم الرملي** . وهو ممن اشتهر بالصلاح والتقوى وسمع من مجموعة من أجلة العلماء منهم ابراهيم بن أبي عبلة والثوري وابن شوذب[2] ، وعثمان بن أبي عطاء والاوزاعي وغيرهم كثير وحدّث عنه جماعة من أشهرهم :

رحيم بن عمرو بن عثمان وأبي عمير عيسى بن النحاس وخلق كثير غيرهما وقد نال ثقة مشايخ عصره كابن معين وفضّله احمد بن حنبل على بقية وتوفي عام ٢٠٢هـ واشتهر بالفقه وشهد له بذلك[3] .

وقد روى عنه الكثير من الثقات منهم :

نعيم بن حماد[4] ، ومؤمل بن إهاب المعروف بأبي عبدالرحمن الحافظ المتوفى عام ٢٥٤هـ بالرملة[5] ، وأشهر من اختص بالرواية عنه

---

(١) الحموي : معجم البلدان ٢ / ٤٣٩ .

(٢) الطبري : تهذيب الآثار مسند الإمام علي رضي الله عنه ، خرّج الأحاديث محمود شاكر ، مطبعة المدني ١٩٨٢م ، ص٣٣٧ ، ٤٠٤ ،ص٤٣٤ .

(٣) ابن عساكر: تهذيب تاريخه لبدران ٣/ ١٥ ابن الأثير: اللباب ٢ / ٤٣٨ .
الذهبي : تذكرة الحفاظ ١/ ٣٥٣ ، الكاشف: ٢/ ٣٨ سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٢٥ .
السيوطي : طبقات الحفاظ ص١٠٥ ، ٢٠٨ .
الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢ / ٦ ، ١٢٣ .

(٤) السيوطي : طبقات الحفاظ ص ١٥٠ .

(٥) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٣ / ١٨١ ، الذهبي : العبر ٢ /٧ ، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧ .
ابن تغري : النجوم الزاهرة ٢ / ٣٤٣ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ٢ / ١٢٩ ، سزكين : تاريخ التراث العربي مج /١ جـ/١ ص٢١٨ .

حتى دعي راوية ضمرة ، الحسن بن واقع المتوفى عام ٢٢٠هـ في خلافة المعتصم العباسي(١) ، وأبو علي الحسن بن اسماعيل الرملي المتوفى ٢٧٠هـ(٢) ، ودهثم بن خلف بن الفضل القرشي الرملي الذي نزل بغداد وحدّث بها عن ضمرة(٣) .

٦ ـ **احمد بن شيبان الرملي** . الحافظ المعمر أبو عبدالمؤمن المتوفى عام ٢٦٨هـ(٤) وهو أحد أوعية العلم والمعرفة في زمنه وقد اشتهر بالزهد واتصف بالنبل والعبادة ، وقام بعدة رحلات علمية واستقر بعدة مدن ولكنه ظل يحمل اسم احمد بن شيبان الرملي ، ويبدو أنه استقر في مصر مدة طويلة ، وحدّث عنه جماعة كثيرة وسمع منه جماعة وروى عنه جماعة وأصبح إماماً في رواية الحديث دراية ورواية ووثقه ثقات المحدثين وروى عنه جماعة منهم :

سعد بن معاذ بن عثمان بن حسان بن يخامر بن عبد بن افنان الشعباني القرطبي المتوفى عام ٣٠٨هـ والذي قدم من قرطبة للمشرق وروى عن عدة جماعة من الأئمة والمشايخ أشهرهم احمد بن شيبان الرملي(٥) ومحمد بن فطيس بن واصل الغافقي البيري الذي ارتحل هو

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى دار صادر بيروت ٧/ ٤٧٢ .

(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٧/ ٢٨٤ .

(٣) البغدادي : المصدر السابق ٨/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧ ، ابن عساكر : تهذيب تاريخه لبدران ٥/ ٢٥٠ .

(٤) السمعاني : الأنساب طبعة حيدر أباد الدكن ٦/ ١٧١ ، وطبعة بيروت تحقيق أمين دمج ص١٦٥ .
الذهبي : تذكرة الحفاظ ١/ ٢٦٢ ، ٢/ ٥٥٩ ـ ٥٦٠ ، العبر: ٢/ ٣٨ ، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٤٦ ، ٣٨٢ .
ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ٢/ ١٥٤ .

(٥) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ق/١ ص١٧٨/ ١٧٩ .

الآخر من الأندلس للمشرق عام ٢٥٧هـ وسمع بمصر من جماعة منهم احمد بن شيبان الرملي ، ويبدو ان احمد بن شيبان كان آخر حياته مستقراً في مصر ، وقد توفي محمد بن فطيس عام ٣١٩هـ[١] ، وبرداغس الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن بركة بن الحكم بن ابراهيم اليحصبي الفتسريتي الحلبي المتوفى عام ٣٢٧هـ[٢] ، والإمام المفيد الثقة الأحم محدث المشرق أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان الأموي مولاهم المعقلي النيسابوري وكان محدث عصره بلا منازع وسمع من جماعة أشهرهم احمد بن شيبان في مكة[٣] ، وهذا يثبت لنا أن احمد بن شيبان الرملي لم يثبت بمكان بل ارتحل إلى عدة مدن وأخذ عنه فيها الكثيرون ، ومحمد بن عبدالله أبو بكر المقرى بن حبلة بن عبدالله بن عبدالرحمن البغدادي ساكن طرسوس قدم دمشق وتوفي عام ٣٤٠هـ وحدَّث عن جماعة منهم احمد بن شيبان الرملي[٤] ، وعثمان بن محمد بن احمد أبو عمرو السمرقندي المعمر وقد روى عن احمد بن شيبان أثناء اقامته في مصر ، وورد في الذهبي أنه روى عن احمد بن شبيب بن الرملي وأظنه احمد بن شيبان الذي نترجم له أو احمد بن شعيب النسائي[٥] ، الذي سنترجم له فيما بعد .

وتبوك بن الحسن بن الوليد بن موسى بن سعيد بن راشد بن يزيد بن قندس بن عبدالله أبو بكر الكلابي المعدل ، وقد روى عن جماعة منهم احمد الخلال الرملي وأظنه احمد بن شيبان الرملي وتبوك هذا ممن توفي

---

(١) المصدر السابق نفسه ق/٢ ص٤١ .

(٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٢٧ ، العبر: ٢/ ٢٠٩ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ٦/ ١٣١ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٦٠ .

(٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٥/ ٤٥٢ .

(٥) الذهبي : العبر: ٢/ ٢٦٧ .

عام ٣٧٨هـ بدمشق[١] .

وورد في تاريخ بغداد أن محمد بن جعفر بن ودان بن سليمان بن اسحق بن ابراهيم الملقب بأبي الطيب قد انتقل إلى مصر وسمع وروى عنه محمد بن احمد بن شيبان الخلال بالرملة وأظن أن هذا هو ابن احمد بن شيبان الخلال الذي نترجم له[٢] .

٧ ـ **محمد بن احمد بن شيبان الرملي الخلال** وأظنه ابن السابق روى عن جماعة منهم الحسن بن يحيى الأصم وروى عنه أبو الحسين محمد بن احمد بن جميع الغساني في معجم شيوخه[٣] .

٨ ـ **احمد بن صالح الرملي** المقري أبو بكر احمد بن صالح بن عمر انتقل للشام ونزل طرابلس وحدَّث بها وبالرملة عن جعفر بن عيسى الناقد وجماعة كثيرة وروى عنه الغرباء وأشهر من روى عنه[٤] :

عبدوس بن محمد بن عبدوس الطليطلي الذي قدم من الأندلس في رحلتين للمشرق عامي ٣٥٦ ، ٣٧١ وأخذ وكتب عن الكثير ومنهم احمد بن صالح الرملي وتوفي سنة ٣٩٠هـ[٥] .

٩ ـ **عبيدالله بن محمد بن رماحس القيسي الرملي** وهو من بلدة رمادة بقرب الرملة وينسب إليها واتخذ لقب الرمادي الرملي ، روى عنه الثقات أمثال سليمان بن أيوب الطبراني ، وكان الطبراني موجوداً في رمادة الرملة عام

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق مجلد ١٠/ ٤٢٤ .

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢/ ١٥٠ ، السمعاني: الأنساب ٦/ ١٧١ .

(٣) السمعاني: الأنساب طبعة بيروت تحقيق أمين دمج ص ١٦٥ .

(٤) البغدادي: تاريخ بغداد ٤/ ٢٠٥ .

(٥) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ق/١ ص٣٤١ .

٢٧٤هـ وقد بلغ عشرين ومائة عام ، ومات عام ٣١١هـ[١] ، وأشهر من حدث عن عبيدالله بن رماحس وعمر بن ياسين بن الجراح المتوفى عام ٢٨٥هـ[٢] ، وبدر الكبير مولى المعتضد العباسي والمعروف بالحمامي[٣] .

١٠ ـ **اسحق بن اسماعيل الرملي** الذي حمل اسم الرملة وسافر إلى عدة بلاد على عادة علماء عصره وقد سكن أصفهان مدة وتوفي فيها عام ٢٨٨هـ ، وأصبح له تلاميذ في عدة بلدان[٤] ، نذكر منهم : أبو الشيخ حافظ أصفهان الإمام أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري صاحب المصنفات السائرة وسمع منه في حدود عام ٢٨٤هـ[٥] .

١١ ـ **أيوب بن سويد الرملي السيباني** نسبة إلى سيبان بطن من بطون حمير من عرب الجنوب ، كان علماً من الأعلام وأصبح ثقة الجميع وقد روى عنه العباس بن عثمان بن محمد بن الفضل البجلي الراهبي المتوفى عام ٢٣٩هـ ، وهذا يعني أن أيوب بن سويد الرملي قد مات قبل ذلك[٦] ، وأبو

---

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٧/ ١٠٥ ، السمعاني : الأنساب ٦/ ١٦٢ ، ١٦٤ وكان والده ممن اشتهر بالحديث .
الحموي : المشترك ص ٢٠٩ .

(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١١/ ٢١٥ .

(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٧/ ١٠٥ .

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٥٤ . الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة تحقيق غزة علي عيد عطية وزميله دار الكتب الحديثة بمصر ، دار النصر للطباعة ط/١ ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ١/ ١٠٧ ـ ١٠٨ .
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٣/ ١٢٥ .

(٥) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٤٥ ـ ٩٤٧ ، الكاشف : المصدر السابق نفسه .

(٦) السمعاني : الأنساب ٦/ ١٧٠ يقول مات غرقاً عام ١٩٣هـ ، ابن عساكر: تهذيب تاريخه لبدران ٧/ ٢٥٠ ـ ٢٥١ .

سهل المصيصي الذي قدم بغداد وحدّث بها عن أيوب بن سويد الرملي[1] ، والربيع بن سليمان بن عبدالجبار بن كامل المراذي الملقب بأبي محمد المصري المؤذن صاحب الإمام الشافعي وراوي كتب الأمهات قبل الثقات مما يشهد له بعلو الكعب في ميدان الحديث والفقه أيضاً[2] .

١٢ ـ **أبو عمران موسى بن سهل بن قادم الرملي** علم من أعلام الرملة ومن الذين حملوا اسمها وظل يتقدم في ميدان الحديث حتى أصبح ثقة معاصريه وأصبح له تلاميذ كثيرون منتشرون هنا وهناك ، وقد روى عن الثقات كيسره بن صفوان بن حنبل اللخمي البلاطي من أهل قرية البلاط[3] ، وروى عن حفص بن عمر بن حفص بن أبي السائب قاضي

= الذهبي : سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٣٠ ـ ٤٣٢ يقول وفاته ١٩٣هـ أو ٢٠٢ والأول أصح .
الكاشف ١/ ١٠٨ ، وقد ذكره: البخاري : التاريخ الكبير مجلد/١ قسم/١ من الجزء الأول ص٤١٧ وقال يتكلمون فيه وأنه مات غرقاً في البحر ١٩٣هـ .
الطبري : تهذيب الآثار مسند عبدالله بن عباس السفر الثاني ص١٠٠٧ ذكر أنه روى عن الأوزاعي وابن جريج وتهذيب الآثار ، مسند عمر بن الخطاب ١/ ص٢٢٧ ، وذكر أنه روى عنه والثوري محمد بن عبدالله بن عبدالحكم .
الخزرجي : خلاصة تذهيب الكمال ١/ ١١١ قال ضعفه النسائي وقال ابن عاصم مات ٨٢هـ وهذا غير صحيح .

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٤/ ٤٠٧ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٣٠ ـ ٤٣٢ ، الكاشف ١/ ١٠٨ .
المزي (جمال الدين بن أبي الحجاج يوسف) : تهذيب الكمال في أسماء الرجال تحقيق بشار عواد معروف مؤسسة الرسالة جـ/١ ط/٢ ، ١٤٠٠هـ ، ١/ ٤١٥ .

(٣) الحموي : معجم البلدان ١/ ٤٧٧ ، ٣/ ٧٠ ، سزكين (فؤاد) : تاريخ التراث العربي مج/١ جـ/٢ ص٢١١ وله كتاب «من نزل فلسطين من الصحابة» ذكره ابن حجر في الاصابة ٢/ ٢٦٥ .

البلقاء الذي روى بدوره عن حجر بن الحارث الغساني الرملي[1] ، وعن بشر بن المنذر الرملي[2] .

وفي الواقع فإن موسى بن سهل بن قادم يعود في أصله إلى نساو قد قدم الرملة وحمل اسمها وحدث بها وقد ذكر الطبري في تهذيب الآثار أن موسى حدّث عن محمد بن عبدالعزيز وعن ابن أبي فديك[3] وعن نعيم بن حماد[4] وعن محمد بن عثمان الدمشقي وموسى بن داود[5] ، بينما ذكر ابن ماكولا أن موسى بن سهل روى عن عمرو بن رفاعة بن خوات بن عامر[6] ، وقد وثقه أبو حاتم وقيل مات ٢٦٢هـ[7] .

١٣ - **عيسى بن محمد بن النحاس المعروف بأبي عمير عيسى بن محمد بن اسحق أو عيسى بن محمد بن عيسى الرملي**[8] ، روى عن الوليد بن مزيد العذري البيروتي[9] ، وروى عنه : أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان وطبقتهم ، ويحيى بن معين ومات يحيى قبل عيسى بثلاث وعشرين سنة ، وكان عيسى من الصلحاء الأتقياء الأخيار وقيل إنه مات عام ٢٥٦هـ في بيت

---

(١) الحموي : معجم البلدان ١/ ٤٨٩ .

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق ١٠/ ١٣٠ .

(٣) الطبري : تهذيب الآثار مسند عبدالله بن عباس السفر الأول ص ٢٨٨ .

(٤) الطبري : تهذيب الآثار مسند الإمام علي بن أبي طالب ص ٢٠٠ .

(٥) الطبري : تهذيب الآثار ، مسند عمر بن الخطاب السفر الأول ص٨٠ .

(٦) ابن ماكولا: الإكمال في معرفة أسماء الرجال نشر أمين دمج ، بيروت ٢/ ١٦٩ .

(٧) الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣/٦٦ ، الذهبي : الكاشف ٣/ ١٨٤ .

(٨) الحموي : معجم البلدان ١/ ٥٢٢ ، الذهبي : الكاشف ٢/ ٣٧٠ ، الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢/ ٣٢٠ .

(٩) الحموي : معجم البلدان ١/ ٥٢٥ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٢-٥٦ ، ٩/ ٤١٩ .

مامين التابعة للرملة ولكنه بعد موته نقل إلى الرملة حيث دفن فيها تكريماً له واعترافاً بجميله على الرملة وأهلها(١) .

وروى عنه كذلك عبدالله بن حازم الرملي الثقة(٢) ، وأورد الخطيب البغدادي في ترجمة عبدالرحمن بن يوسف الحافظ المتوفى بطرسوس عام ٢٩٤هـ أنه سمع من عدة علماء ثقات منهم أبي عمير بن النحاس الرملي (٣) ، وغير هؤلاء كثير .

١٤ ـ **الحافظ المفيد الإمام أبو بكر احمد بن عمرو بن جابر محدث الرملة ،** وذكرناه هنا لشهرته بأنه محدث الرملة رغم أنه ليس برملي أصلاً ، وقد روى عن عدة من الثقات الأجلاء والحفاظ منهم العباس بن الوليد البيروتي وابراهيم بن عبدالله القصار وبكار بن قتيبة وطبقتهم وأصبح علماً ثقة توافد عليه طلاب العلم بحيث أصبح مدرسة له تلاميذ نذكر منهم: أبو سليمان بن زبر ومحمد بن المظفر وأبو بكر بن أبي الحديد وخلق سواهم ، وسمع منه كذلك احمد بن عبدالله بن رزيق بن حميد المعروف بأبي الحسن الدلال المتوفى عام ٣٩١هـ(٤)، وأفلح مولى محمد بن هارون العتقي ، وقد ذكر الفرضي أنه كانت لأفلح رحلة بين عامي ٢٧ ـ

(١) الحموي : المصدر السابق ١/ ٥٢٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٦ .

(٢) الحموي : معجم البلدان ١/ ٥٢٥ ، ملكه أبيض: التربية والثقافة في بلاد الشام ص٣٢٥ .

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٠/ ٢٨٠ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٢-٥٦ ، ١٣٠/ ٥٠٩ ، ١٤٠/ ٤٠٠ .

المزي : تهذيب الكمال ٥٢١/١، وذكر أنه روى عن احمد بن يزيد بن روح الداري الفلسطيني .

(٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١/ ٢٣٦ ، ابن ماكولا : الإكمال ٢/ ٢٦٣ ، ٥٤٣ ، وذكر أن احمد بن عمرو بن جابر الرملي روى عن أبي زيد بن الخباز الصغابي واحمد بن محمد الحمار الكوفي ، ولم يذكر غيرهما .

٣٢٨ وأنه قد ألف كتباً له في الرملة وسمع من احمد بن عمرو بن جابر ولا شك أنه استفاد مما لدى أبي بكر[١] ، وظل أبو بكر يزاول العلم والتعلم حتى وافاه الأجل عام ٣٣٣هـ[٢] .

١٥ ـ **محمد بن احمد النابلسي الرملي وعرف بالرملي ابن النابلسي** من أهل التقـوى والحديث والصلاح والخير كان يتخذ سياسة معادية للفاطميين الشيعـة ، بل وكـان يتعصب للسنـة وبلغه وهو في الرملة أن الفاطميين يريدون قتله فهرب لدمشق ، ولكن شاءت الأقدار أن يستولي هؤلاء على دمشق ويلقوا القبض على محمد بن احمد النابلسي الرملي ، وبلغ من شدة حقده على الفاطميين أنه كان يقول: لو أن معي عشرة سهام لرميت بتسعة منها في نحر الفاطميين وواحداً بالروم ، وكان المعز الفاطمي يحقد عليه نظراً لأنه كان صاحب فكر معاد للفكر الشيعي الفاطمي وعالماً تشد إليه الـرحـال ويؤخـذ برأيه فكانت الرملة في أيامه قلعة معارضة للحكم الفاطمي ، فلما أسر في دمشق أرسل إلى القاهرة ، إلى المعز ، وهناك حوكم على آرائه السياسية المعادية وحكم عليه بسلخ جلده وحشيه تبناً وصلب بعد ذلك وذلك عام ٣٦٣هـ ، وكان شيخاً عابداً صالحاً زاهداً في أمور الدنيا قوّالاً للحق وبالحق عاش وفي سبيله مات[٣] .

١٦ ـ **مكي بن عبـدالسلام الرميلي** نسبة إلى رميلة على طريق الرملة القدس

---

(١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ق/١/٨٣ ، ابن عساكر: تهذيب تاريخه لبدران ٣/ ٨٥ـ٨٦ ويقول سمع الحديث في الرقة وبغداد وحلب ودمشق والرملة .

(٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٤٥ ، العبر: ٢/ ٢٢٩ ويقول توفي عام ٣٣٢هـ الصفدي : الوافي بالوفيات ٧/ ٢٧٠ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ص٣٥٠ .

(٣) القفطي (علي بن يوسف): المحمدون من الشعراء ص١١٧/ ١١٨ .
الذهبي : دول الإسلام ١/ ٢٤٢ ، اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٢/ ٣٧٩ .
ابن تغـري بردي: النجـوم الـزاهـرة ٤/ ١٠٦ ، الكـاشـف: مصر في عهد الطولونيين والإخشيديين ص٢٤٨ .

قريبة إلى الرملة وقد فقد حياته ثمناً لاشتراكه في مقاومة العدوان الصليبي عام ٤٩٢هـ فضـرب مثلاً أعلى في البطولة والشجاعة وأثبت أن الجهاد بالقول والعمل راسماً الطريق الصحيح للحياة الحرة الكريمة كما أرادها الله ، وكان رحمه الله شافعياً حافظاً واشتهر أمره ووردته الفتاوي من جميع أنحاء فلسطين والشام وغيرها ، واشتهر كذلك بالرحلة والسفر شأنه في ذلك شأن غيره من العلماء الطموحين وظل كذلك ونال ثقة معاصريه من الثقات[1] ، وقد تتلمذ على شيخه طاهر بن بركات بن ابراهيم بن علي بن محمد بن احمد الخشوعي القرشي[2] ، المكنى بأبي الفضل ، وقاضي عكبرا محمد بن عبدالله بن احمد[3] .

وكان لمكي تلاميذ عديدون في شتى البقاع التي زارها ومنهم :

الحـافظ العـلامـة القـاضي أبي بكر محمد بن عبدالله بن محمد الإشبيلي المعـروف بابن عربي والمـولـود عام ٤٦٨هـ والذي رحل من الأنـدلس إلى المشرق وترك مدينته إشبيلية وسمع من الحافظ مكي بن عبدالسلام في بيت المقدس[4] ، وأبو يعلى حمزة بن احمد بن فارس بن

(١) الحموي : معجم البلدان ٣/٧٣ ، الذهبي : العبر ٣/ ٣٣٤ ، دول الإسلام : ٢/٢٢ تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٢٩ .
السبكي : طبقات الشافعية ٥/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .
الأسنوي : طبقات الشافعية ١/ ٥٨٣ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٥/ ١٦٤ .
السيوطي : طبقات الحفاظ ص٤٥٠ ، الحنبلي : الأنس الجليل ١/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩ .
ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ٣/ ٣٩٨ ، احمد عطية : القاموس الإسلامي ٢/ ٥٧٥ .

(٢) ابن عساكر: تهذيب تاريخه لبدران ٧/٤٧ .

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ٥/ ٩ .

(٤) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٩٤ ـ ١٢٩٧ ابن العماد: شذرات الذهب ٣/ ٣٩٨ .

كروس السلمي الدمشقي الذي روى عن مكي وتوفي عام ٥٥٧هـ[١].

١٧ ـ **عمران بن هارون الرملي** والذي ارتحل إلى عدة مدن من فلسطين وخارجها واستقر مدة في يافا التي تبعد ستة أميال عن الرملة وقد نال شهرة لا بأس بها وأخذ عنه وحدّث محمد بن عبدالله بن عمير اليافوني[٢].

١٨ ـ **دهثم بن خلف بن الفضل القرشي الرملي** قدم بغداد وحدَّث بها عن حمزة بن عبدالرحمن الدمشقي وغيره[٣]، وروى ان اسمه دهيثم بن خلف أبو سعيد القرشي الرملي ، سمع الحديث بدمشق ، والظاهر أنه سار على نهج علماء عصره بالسفر والترحال[٤].

١٩ ـ **يحيى بن أبي عمر السيباني** نسبة إلى سيبان احدى بطون حمير وهو عالم من أهل الرملة قيل إنه توفي عام ١٤٨هـ ، ويبدو أن سيبان من حمير قد سكنوا الرملة وجهاتها[٥]، وقد اشتهرت فطنته وذكاؤه ووصف بأنه كان متيقظاً فطناً[٦]، ويمكن اعتباره من العلماء الفقهاء روى عن جماعة وروى عنه جماعة منهم حميد بن عقبة القرشي الفلسطيني[٧].

٢٠ ـ **حميد بن عياش الرملي** أحد أئمة الحديث المشهورين وقد طاف بعدة بلدان وحدّث عنه في بغداد الحسين بن الحسين بن عبدالرحمن ، أبو عبدالله الأنطاكي[٨].

---

(١) الذهبي : العبر ٤/ ١٦٢ .

(٢) الحموي : معجم البلدان ٥/ ٤٢٦ ، ابن الأثير: اللباب ٣/ ٤٠٥ .

(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٨/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧ .

(٤) ابن عساكر: تهذيب تاريخه لبدران ٥/ ٢٥٠ .

(٥) ابن الأثير: الكامل ٥/ ٥٨٩ .

(٦) البستي (محمد بن حيان): مشاهير علماء الأمصار ص ١٨٠ .

(٧) ابن الأثير: اللباب ٢/ ٤٣٨ .

(٨) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٨/ ٣٩ .

٢١ ـ **حفص بن عمر الحبطي الرملي** وهو حفص بن عمر بن أبي القاسم الحبطي الرملي ، وقد طوّف بالبلاد واستقر مدة في بغداد وحدَّث فيها عن عبدالملك بن جريج وأبي زرعة الشيباني ، وروى عنه محمد بن اسحق الصاغاني وعلي بن الحسن بن عبدويه الخزاز ومحمد بن الفرج الأزرق ، ولم يوثقه ثقات عصره كيحيى بن معين وغيره[١] .

٢٢ ـ ادريس بن **حمزة بن علي الشامي الرملي** وسنرجىء الكلام عنه عندما نتكلم عن الفقهاء في الرملة لأنه ، اشتهر بالحديث والفقه ورتبناه مع الفقهاء .

٢٣ ـ **بشرى بن عبدالواحد الرومي الرملي** وقد رحل أيضاً إلى عدة مدن وأقطار وسكن مدة في دمشق وحدَّث بها عن القاضي عبيدالله بن الحسين الأنطاكي الصابوني وعلي بن عبدالحميد الغضائري ، وروى عنه عدة علماء أفاضل منهم : عبدالوهاب بن عبدالله المزني وأبو بكر احمد بن الحسن بن الطيانة[٢] .

٢٤ ـ **اسماعيل بن عبدالله بن سماعة ، أبو محمد القرشي العدوي مولى عمر بن الخطاب** أصله من الرملة روى عن الأوزاعي وروى عنه جماعة من أهل دمشق ، وكان فاضلاً وثقه الإمام احمد بن حنبل وهو يعد من رواة الأوزاعي الثقات[٣] .

٢٥ ـ **اسحق بن موسى بن سعيد بن عبدالله بن أبي سلمة الرملي** ورحل إلى عدة بلدان ونزل بغداد وسمع الحديث من أبي داود السجستاني وغيره ،

---

(١) المصدر السابق ٨/ ٢٠٠ .

(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق مجلد ١٠/ ٢٦ .

(٣) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق لابن بدران ٣/ ٢٣-٢٤ .

وروى عنه ابن شاهين وغيره وتوفي عام ٣٢٠هـ[1] .

٢٦ ـ **ابراهيم بن شمر أبي عبله بن يقظان بن المرتجل الفلسطيني الرملي ويقال له : الدمشقي** روى عن أبيه وعن ابن عمر وأنس وروى عنه جماعة من التابعين ، وقد استعمله الوليد بن عبدالملك في قسمة العطاء ما بين القدس ودمشق ، وقتل عام ١٥٢هـ وقد وثقه يحيى بن معين[2] .

٢٧ ـ **الحسين بن الحسن بن سباع الرملي** المؤدب الشاهد إمام جامع دمشق وخطيبها حدَّث باربعة أحاديث مسندة وتوفي عام ٤٢٨هـ ، وقد وثقه ثقاة عصره وقيل إنه أمَّ في الجامع قرابة عشرين عاماً لم يشهد عليه غلط في التلاوة ولا سهو في الصلاة وقد خطب للفاطميين في دمشق[3] ، وذكرناه لأنه نشأ في الرملة وتتلمذ فيها ثم رحل .

٢٨ ـ **مهدي بن جعفر الرملي** وقد بلغ درجة رفيعة من العلم وقيل إنه اشتهر في ميدان الفقه أيضاً ، وظل يواصل مسيرته العلمية بنجاح حتى وافاه الأجل عام ٢٣٠هـ[4] .

٢٩ ـ **أبو جعفر محمد بن احمد بن ابراهيم العقري الرملي** وقد روى عن عيسى ابن يونس الفاخوري وروى عنه أبو بكر المقرىء وسمع منه بعد ٣١٠هـ[5] .

---

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٧/ ٣٩٥ ، ابن عساكر تهذيب تاريخه لبدران ٢/ ٤٥٣ .

(٢) ابن عساكر: المصدر السابق ٢/ ٢١٥ .

(٣) ابن عساكر: المصدر السابق ٤/ ٢٩١ .

(٤) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٢/ ٢٥٨ ، المزي : تهذيب الكمال ١/ ٢٥٣ .

(٥) الحموي : معجم البلدان ٤/ ١٣٧ وذكر في ترجمة عقر: مدينة في فلسطين تابعة للرملة .

٣٠ ـ **احمد بن محمد بن احمد الكناني الفلسطيني المكنى بأبي الحسن** وقد قام هو الآخر بجولات علمية واسعة ويبدو أنه استقر بدمشق مدة من الزمن حدّث بها وسمع من جماعة وتوفي عام ٤٦٤هـ[١].

٣١ ـ **سلامة بن جعفر الرملي الحندري** روى عن عبدالله بن هاني النيسابوري وروى عنه أبو القاسم الطبراني وأبو بكر محمد بن احمد وسمع محمد بن الحسين بن الترجمان[٢].

٣٢ ـ **أبو ابراهيم روح بن يزيد السناجي** روى عن أبي قرصافة وحكى عنه حكايات كثيرة وروى عن أبي شيبة النفيسي وسمع منه بالرملة عام ٢١٧هـ ، وروى عنه أبو زيان طيب بن زيان القاسطي السناجي العسقلاني وروى عنه كذلك أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان وكان صدوقاً تحل الرواية عنه[٣].

٣٣ ـ أبو طالب السَّبْيي الرملي نسبة إلى سَبْيَة من قرى الرملة روى عن احمد ابن عبدالعزيز الواسطي وغيره وحدَّث بالاجازة عن أبي الفتح محمد بن عبدالله بن الحسن بن طلحة المعروف بابن النخاس وقد حدَّث عنه جماعة في مصر لأنه اعتمد الرحلة في حياته[٤].

٣٤ ـ أبو الحسن احمد بن عبدالله بن حمدون بن نصر بن ابراهيم الرملي المعروف بالجبريني نسبة إلى بيت جبرين وهو حصن قريب من الرملة قام بعدة رحلات كغيره من العلماء ونزل دمشق وحدَّث بها عن أبي هاشم

---

(١) الخطيب: تاريخ بغداد ١٢/ ٣٦٢ وجاء فيه أن الفضل بن السكين بن سحيث القطيعي أخذ عن احمد بن محمد الرملي وأظنه هذا الذي نترجم له .
ابن عساكر: المصدر السابق ١/ ٤٤٩ .

(٢) الحموي: معجم البلدان ٢/ ٣١٠ .

(٣) الحموي: المصدر السابق ٣/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

(٤) الحموي: معجم البلدان ٣/ ١٨٧ .

محمد بن عبد الأعلى ابن عليل الإمام وأبي الحسن محمد بن بكار بن يزيد السكسكي الدمشقي وأبي الفضل العباس بن الفضل بن محمد بن الحسن بن قتيبة وغيرهم روى عنه عبدالوهاب بن جعفر الميداني (١) .

٣٥ ـ عبدالله ويقال له: عبيدالله بن الحسن بن غنجدة الليثي الرملي ، رحل إلى عدة بلدان ونزل دمشق وسمع الحديث بها عن جماعة وأسند إلى أبي حنيفة(٢) .

٣٦ ـ الربيع بن سلامة الرملي ، وقد ذاع صيته واشتهر وأشهر من سمع عنه في الرملة الحافظ أبو الفضل نصر بن محمد بن احمد بن يعقوب العطار ابن أبي نصر الطوسي المولود عام ٣١٠هـ والمتوفى عام ٣٨٣هـ(٣) .

٣٧ ـ أبو الفتح بن أبي الفوارس الرملي وكان له صديقٌ مشهورٌ في ميدان العلم والحديث والتجارة هو خلف بن محمد بن علي بن حمدون الواسطي الحافظ الكبير صاحب الأطراف سمع من مشايخ عصره وقدم إلى الرملة واستقر فيها واشتغل بالعلم والتجارة ، وروى عنه أبو عبدالله الحاكم وأبو القاسم عبيدالله بن احمد الأزهري ، وله مؤلفات منها: أطراف الصحيحين وتوفي خلف هذا في حدود أل ٤٠١هـ/ ١٠١١م(٤).

٣٨ ـ ومحمد بن عمير الرملي وقد أخذ عنه بالسماع محدث أصبهان الإمام الرحال الحافظ الثقة أبو بكر محمد بن ابراهيم بن علي بن عاصم بن

---

(١) الحموي: معجم البلدان ٢/ ١٠١ .

(٢) ابن عساكر: تهذيب تاريخه لبدران ٧/ ٣٦٨ .

(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠١٦ ـ ١٠١٧م .

(٤) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٦٧ ـ ١٠٦٨ .
فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي مج/١ جـ/١ ص ٤٥٢ .

زادان الأصفهاني الخازن المشهور المعروف بابن المقرئ صاحب المعجم الكبير والأربعين حديثاً ويكفي محمد بن عمر هذا شرفاً ويطلعنا على سعة علمه وتقدمه وتوفي ابن المقرئ عام ٣٨١هـ[١] .

٣٩ ـ محمد بن احمد بن علي بن النعمان الرملي وهو ممن لهم باع طويل في دراسات الحديث وروايته وله عدة تلاميذ أشهرهم الماليني الحافظ العالم الزاهد أبو سعد احمد بن محمد بن احمد بن عبيدالله بن حفص الأنصاري الهروي الصوفي المعروف بطاووس الفقراء نزل الرملة وأخذ عن محمد بن احمد بن علي بن النعمان وحدَّث عنه وتوفي في حدود ٤٠٩هـ وقيل ٤١٢هـ[٢] .

٤٠ ـ احمد بن جعفر الرملي الذي نال شهرة واسعة وحدَّث عنه جماعة من أشهرهم الوليد بن بكر بن مخلد الحافظ العالم الرحال أبو العباس العمري الأندلسي السرقسطي الذي رحل من أقاصي الأندلس إلى خراسان[٣] .

٤١ ـ الوليد بن النضر المتوفى عام ٢١١هـ ويقال عام ٢١٣هـ ، ومن أشهر تلاميذه عبدالرحمن بن عمر بن صفوان النفري المتوفى عام ٢٨١هـ والمعروف بأبي زرعة وقد سافر إليه عام ٢١١هـ إلى الرملة[٤] .

٤٢ ـ وسوار بن عمارة الرملي وقد أخذ عنه أبي زرعة وزاره أيضاً في الرملة عام ٢١٤هـ ورأى يحيى بن معين وهو يكتب عنده من علمه وقيل توفي عام

---

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٧٣ ـ ٩٧٥ .
(٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٧٠ ـ ١٠٧١ .
(٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٨٠ .
(٤) أبو زرعة : تاريخ أبي زرعة ١/ ٢٦ ، ٣٤ .

٢١٥هـ ، بينما توفي يحيى بن معين عام **٢٣٤هـ**[١] .

٤٣ ـ اسحق بن ابراهيم بن سويد المتوفى عام **٢٥٤هـ** وهو أحد مشايخ الرملة وأخذ عنه أبو زرعة وزاره في الرملة ، ويبدو أن اسحق وسوار والوليد كانوا معاصرين لبعضهم بعضاً[٢] .

٤٤ ـ محمد بن خالد بن حازم وقد اشتهر أمره في الرملة وهو كسابقيه ومعاصر لهم ولأبي زرعة ، وقد زاره عدد كبير من العلماء وأخذوا عنه ومنهم أبو زرعة نفسه ، وما دام بيته يزار فلا بد أنه قد أصبح علماً من الأعلام الذين يؤخذ عنهم ويسمع منهم[٣] .

٤٥ ـ اسماعيل بن جابر بن سعيد العسقلاني المعروف بأبي محمد العسقلاني نسبة إلى عسقلان القريبة من الرملة ، ثم عرف بعد ذلك بالرملي وقد اهتم بخدمة العلم والحديث في الرملة ، وروى الأحاديث ووثقه الثقات ، وظل كذلك يخدم العلم حتى توفي في الرملة عام **٤٢٣هـ**[٤] .

٤٦ ـ عبدالله بن طويث (طويط) وهو: عبدالله بن محمد بن نصر بن طويط ويعرف بأبي الفضل البزاز الرملي ، والظاهر أنه زاول تجارة البز وسمع عددا من الثقات منهم رحيماً بدمشق وغير في أماكن أخرى ، ويبدو أنه ارتحل إلى عدة بلدان وأقطار للاستزادة من العلم والاحتكاك بالعلماء

---

(١) أبو زرعة : تاريخ أبي زرعة ١/ ٣٠ـ٣٥ ، الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١/ ٤٣٠ .

(٢) أبو زرعة : تاريخ أبي زرعة ١/ ٣٠ .
الذهبي : سير أعلام النبلاء : ١٠/ ٣٣٥ وذكر اسحق بن سويد ، وقد أخذ عن آدم بن أبي إياس الخراساني المروزي البغدادي العسقلاني المتوفى ٢٢٠هـ .
الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال جـ/١/ ٦٨ ، ٧٣ .

(٣) أبو زرعة : تاريخه ١/ ٣٦ .

(٤) مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين جـ/١ ق٢ ص١٦٤ نقلاً عن ابن عساكر ٣/ ٣٠ .

آخـذاً ومؤثـرا ، روى عنـه أبو سعيد بن الأعرابي[1] وأبو العلاء السوسي اللغوي ، علي بن عبدالرحمن الخراز[2] .

٤٧ ـ **أبو جعفر احمد بن عبدالواحد بن سليمان الرملي** روى عن جماعة منهم عبدالملك بن الحكم الرملي والهيثم بن جميل وغيرهما ، وثقه وكتب عنه أبو محمد بن أبي حاتم الرازي في الرملة[3] .

٤٨ ـ **يونس بن عبدالـرحيم بن سعد بن أبي أيوب** روى عن الليث بن سعد وروى عنه يعقوب بن سفيان الفارسي[4] ، وروى عنه يعقوب بن سفيان الفارسي ويونس بن يزيد الرملي وغيره وقيل مات غرقاً عام ١٩٣هـ وكان رديء الحفظ[5] .

٤٩ ـ **علي بن سهـل الرملي** ، ويعود أصله إلى مدينه نسا وهو أخ موسى بن سهل بن قادم النسائي السابق الذكر ورد الرملة وحمل اسمها وطوّف بالبلاد واشتهر وأصبح ثقة يحدثُ عنه وممن حدّث عنه أبو القاسم الشيباني ، النعمان بن هارون بن محمد بن هارون بن جابر بن النعمان حدّث عنه في بغداد ، وقيل توفي عام ٢٦١هـ[6] .

---

(١) الحموي : معجم البلدان ٣/ ٧٠ .

(٢) الحموي : معجم البلدان ٣/ ٢٨١ .

(٣) السمعاني : الأنساب ٦/ ١٧١ ، وطبعة بيروت تحقيق أمين دمج ص١٦٥ .
المزي (جمال الدين بن أبي الحاج يوسف) : تهذيب الكمال ١/ ٣٩٥ .
الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١/ ٢٢ .

(٤) السمعاني : ٦/ ١٧٠ ، طبعة بيروت تحقيق أمين دمج ص١٦٤ .

(٥) المصدران السابقان نفسهما .

(٦) الطبري : تهذيب الآثار مسند علي بن أبي طالب ص٤٣٤ ، مسند عبدالله بن عباس ١/ ٣٩ ، ٢/ ٦١٤ .
مسند عمر بن الخطاب ١/ ٢١ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٣/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤ .
الذهبي : الكاشف ٢/ ٢٨٦ وذكر أنه مات ٢٦١هـ ، سير أعلام النبلاء : ٢/ ٢٤١ ، =

٥٠ ـ **علي بن سعيد بن قتيبة الرملي** احد علماء المسلمين الذي انتسب إلى الرملة ورفع من شأنها بعلمه ، وسمع منه حبشون بن موسى بن أيوب أبو نصر الخلال المتوفى عام ٣٣١هـ ، وهذا يعني أن علي بن سعيد بن قتيبة كان على قيد الحياة في ذلك العام فكيف يسمع منه حبشون إذا لم يكن موجوداً[(١)] ؟ .

٥١ ـ **يحيى بن عيسى الرملي** وهو يحيى بن عيسى بن عبدالرحمن الرملي الكوفي الأصل أقام في الرملة يجهز الزيت إلى الكوفة وغيرها فقيل الرملي وقد اشتغل بالعلوم إلى جانب اشتهاره بتجارة الزيت ، فقيل الرملي ومات عام ٢٠٢هـ[(٢)] .

٥٢ ـ **يحيى بن عيسى بن عبدالرحمن النهشلي الرملي الفاخوري الجرار** من أهل الكوفة ويكنى بأبي زكريا حدّث بالرملة فنسب إليها وهو من تميم من بني نهشل ، وقد أصبح علماً ثقة مقبول الرواية روى عنه عمر بن محمد بن عمروية المخرمي حديث «تقتل عمار الفئة الباغية» ، وروى عن الأعمش ومحمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى وعنه أبو بكر بن أبي شيبة وعلي بن محمد الطنافسي وعيسى بن عثمان الرملي وأبو كريب والمخرمي السابق الذكر[(٣)] ، وقيل مات ٢٠١هـ .

= ١٤/ ٥١٢ .

الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢/ ٢٤٩ ، وذكر موته ٢٦١هـ .

(١) الخطيب البغدادي : ٨/ ٢٨٩ ـ ٢٩١ .

(٢) السمعاني : الأنساب ص١٦٤ طبعة بيروت تحقيق أمين دمج .

(٣) الطبري : تهذيب الآثار مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه ص٤٢٢ ، الأصبهاني : ذكر أخبار أصبهان ٢/ ٣٣٣ .

الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١١/ ٢١٨ ، السمعاني : الأنساب ٦/ ١٧٠ وطبعة بيروت ص١٦٤ .

الذهبي : العبر ١/ ٣٣٧ يقول العسلي بدلاً من النهشلي ، الكاشف : ٣/ ٢٦٥ . =

٥٣ ـ **احمد بن هاشم الرملي** أحد محدثي الرملة الأجلاء وعلمائها المشهورين حدّث عنه جماعة منهم جامع بن القاسم البغدادي المتوفى عام ٢٨٦هـ[١] .

٥٤ ـ **جعفر بن محمد القلانسي الرملي** أحد ثقات الرملة ومحدثيها المبدعين حدَّث عنه في بغداد الحسن بن محمد أبو عمر الجعفري وعن غيره[٢] ، وصاحبه هشام بن اسحق الكناني وكان في صور واصبح علما يأخذ عنه طلاب العلم[٣] .

٥٥ ـ **محمد بن سماعة الاموي مولاهم أبو الاصبغ الرملي** وهو ممن حمل اسم الرملة وكا من خيرة علمائها ومحدثيها وقد وثقه ثقات عصره واشتهر وحدّث عنه جماعة منهم ، الفضل بن محمد أبو برزة الحاسب المتوفى عام ٢٩٨هـ ، وبرهان بن سليمان السمرقندي الدلوس ، وقيل مات محمد بن سماعة عام ٢٣٨هـ[٤] .

٥٦ ـ **الصباح بن عبدالله الرملي** وهو من الثقات بشهادة مشايخ عصره من الحفاظ وقد حدَّث عنه القاسم بن هاشم بن سعيد بن سعد بن عبدالله بن سيف بن خميس السمسار المتوفى عام ٥٩هـ والاغلب أن الصباح عاش في جهات الرملة لأن المدينة لم تنشأ إلا في خلافة سليمان بن عبدالملك

= الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣/ ١٥٧ .
ابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ٣ .

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٧/ ٢٦٤ ، المزي: تهذيب الكمال ١/ ٥١٥ ـ ٥١٦ .

(٢) الخطيب: المصدر السابق ٧/ ٣١٣ .

(٣) الخطيب: المصدر السابق ٥/ ٢٥٢ .

(٤) الخطيب: المصدر السابق ١٢/ ٣٧٣ ابن ماكولا: الاكمال ، تحقيق أمين دمج ـ بيروت =

أو أواخر خلافة الوليد بن عبدالملك ايام ولاية سليمان على فلسطين[1] .

٥٧ ـ **واحمد بن محمد الرملي** واشتهر في ميدان الحديث وحدَّث عنه الفضل بن السكين بن سحيت ابو العباس القطيعي السندي[2] .

٥٨ ـ **محمد بن عبدالعزيز الرملي** وقد اشتهر في ميدان الحديث واصبح ثقة يعتد بروايته ، وسمع منه علي بن داود القنطري التميمي واهل الشام واصله من واسط بالعراق سكن الرملة ونسب إليها وحمل اسمها[3] .

٥٩ ـ **ابراهيم بن عبدالله بن مهران الرملي** حمل اسم الرملة وكان بالبلاد طالباً للعلم ومعلماً له ونزل بغداد مدة وحدَّث عنه احمد بن محمد بن حورى العكبري المكنى بأبي الفرج[4] .

٦٠ ـ **أبو علي المحسن بن هبة الله الرملي** احد اعلام الرملة في الحديث ارتحل في طلب العلم للاستزادة واصبح ثقة معاصريه يحدث عنه وممن حدَّث عنه في دمشق احمد بن ابراهيم البغراسي عام ٤١٤هـ حيث زارها ومكث مدة[5] .

= ١/ ٢٤٨ .

الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢/ ٤١٠ .

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٢/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠ .

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد ١٢/ ٣٦٢ وقد مر ذكر احمد بن محمد بن احمد أبو الحسين الكناني الفلسطيني ويشتبه في أن يكون هو لأن الاسم كاملاً هناك .

(٣) السلمي : طبقات الصوفية ٢٨٥ ـ ٢٨٦ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١١/ ٢٢٤ . السمعاني : الأنساب ٦/ ١٦٩ ، طبعة بيروت ص١٦٤ ، الذهبي : الكاشف ٢/ ١٤٣ ، ٣/٧١ ، الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢/ ٤٣٢ .

(٤) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٤/ ٤١٠ .

(٥) الحموي : معجم البلدان ١/ ٤٦٧ .

٦١ ـ **عيسى بن يونس الفاخوري الرملي** وهو من الأعلام الذين التصق باسم الرملة ونسب اليها وهو علم ثقة يحدث عنه وممن حدَّث عنه في بغداد يحيى بن المختار بن منصور بن اسماعيل المكنى بأبي زكريا النيسابوري[1] وروى عنه محمد بن عبدالعزيز الداوودي واخرون[2] .

٦٢ ـ **الوليد بن حماد بن جابر أبو العباس الرملي** حدَّث عن يزيد بن موهب الرملي وابراهيم بن محمد القريابي وغيرهما كثير ، وروى عنه جماعة منهم قاضي طبرية عبدالله بن وكيع ، وأبو القاسم الطبراني واخرون ، وبقي إلى حدود الثلاثماية ، وهو ثقة مأمون وله كتاب «فضائل بيت المقدس»[3] .

٦٣ ـ **عباد بن كثير الرملي** وهو آخر شامي يروي عن عروة بن رويم وحوشب ، وروى عنه زيد بن أبي الزرقاء ويحيى بن يحيى ، ويحيى بن معين ، وقد وثقه ابن معين والمديني[4] .

٦٤ ـ **هلال بن ميمون الرملي** وقد اخذ عن ابن المسيب وعطاء بن يزيد واخذ عنه أبو معاوية ووكيع واشتهر بالصدق[5] .

٦٥ ـ **أبو اسحق ابراهيم بن حمزة بن سليمان بن أبي يحيى الرملي البزاز** روى عن زيد بن أبي الزرقاء وضمرة بن ربيعة وروى عنه جماعة وثقه أبو حاتم

---

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٤/ ٢٢٤ .

(٢) الحموي : معجم البلدان ٢/ ٤٣٥ .
الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٦٣ ، الكاشف ٢/ ٣٧٢ .
الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢/ ٣٢٣ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٤/ ٧٨ .

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٧ الكاشف : ٢/ ٦٢ .

(٥) الذهبي : الكاشف ٣/ ٢١٨ .

الرازي فقال: «ثقة صدوق»(١) .

٦٦ ـ **الحسن بن بلال الرملي** أخذ عن جرير بن حازم وأخذ عنه محمد بن عوف ، ذكره أبو حاتم وقال لا بأس به(٢) ، وأخذ لقب الحسن بن بلال البصري الرملي دلالة على أصله البصري .

٦٧ ـ **دينار بن بنّان بن دينار الجوهري الرملي** أحد الشهود المشهورين في الرملة حدَّث بها عن جعفر بن سليمان النوفلي والحسن بن جرير الصوري وحدَّث عنه عمر بن عبدالله الرملي وغيره(٣) .

٦٨ ـ **راشد بن سعد الرملي المقدسي المكنى بأبي بكر** أحد علماء الحديث أخذ عن ضمرة بن ربيعة ويزيد بن هارون وأخذ عنه جماعة وثقه أبو حاتم وقال: «صدوق»(٤) .

٦٩ ـ **الحسن بن يحيى الرملي** أحد المشتغلين بالحديث ويبدو أنه لم يبلغ في هذا العلم حداً بعيداً لذا لم يوثقه ثقات عصره وقيل إنه ضعيف مات عام ٢٥٧هـ(٥) .

٧٠ ـ **احمد بن عبدالعزيز بن احمد بن سويد الرملي** وهو أيضاً ممن اشتغل بعلم الحديث ولكنه لم ينبغ فيه إلى درجة عالية وقيل إنه أخذ عن أيوب بن

---

(١) الذهبي: الكاشف ١/٧٩ ، الخزرجي: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١/٤٣ ، ٣٥٢ .

(٢) الطبري: مسند عبدالله بن عباس السفر الثاني ص١٠١١ ومسند علي بن أبي طالب ص٣٩٩ .
الخزرجي: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١/ ٢٠٩ .

(٣) ابن ماكولا: الاكمال ١/ ٣٦٩ .

(٤) الخزرجي: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١/ ٣١٣ .

(٥) الخزرجي: المصدر السابق ١/ ٢٢٢ .

سويد[1] .

٧١ ـ **عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي** أحد المشتغلين بالحديث أخذ عن يحيى بن عيسى النهشلي الرملي وغيره[2] .

٧٢ ـ **اسماعيل بن أبي بكر الرملي** اهتم بدراسة الحديث وروايته واشتهر بذلك وأخذ عن مكحول وأخذ عنه ضمرة بن ربيعة[3].

٧٣ ـ **يزيد بن مرشل الرملي** من أهل الرملة وممن نبغ في علم الحديث روى عن ابن ثوبان وروى عنه أبو العباس بن قتيبة ، وكان ثقة مأموناً[4] .

٧٤ ـ **محمد بن احمد بن عصمة الرملي** علم من أعلام الحديث في الرملة ثقة صدوق يؤخذ بحديثه وروايته حدَّث عنه جماعة منهم أبو عبدالله الصفار النيسابوري في بغداد[5] .

٧٥ ـ **رجاء بن أبي سلمة الفلسطيني الرملي** المكنى بأبي المقدام الفلسطيني الرملي ، روى عنه ابن عون وحماد بن سلمة وحماد بن زيد ومحمد بن يوسف وزيد بن حباب[6] ، وقيل أصله من البصرة أخذ عن جماعته ، وهناك مجموعة أخرى ممن اشتهرت بالحديث في الرملة ولكن رجال هذه المجموعة يمتازون عن المجموعة السابقة في أن معظمهم ليسوا من أهل

---

(١) الطبري : تهذيب الآثار مسند عمر بن الخطاب السفر الأول ص٧ .

(٢) الطبري : المصدر السابق مسند عمر بن الخطاب السفر الأول ص١٣٤ ومسند علي بن أبي طالب ص٤٣٦ .

(٣) الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١ / ٨٤ .

(٤) السمعاني : الأنساب طبعة بيروت ص١٦٤ ، الحموي : معجم البلدان ٣/ ٧٠ .

(٥) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١/ ٣٢٦ ، ابن عساكر: تهذيب تاريخه لبدران ٥/ ٣١٥ ، وذكر أنه مات سنة ١٦١هـ .

(٦) البخاري : التاريخ الصغير ص١٨٢ .

الـرملة أو ممن مكث فيها مدة ليست بالطويلة ، وذلك لنبرز دور الرملة العلمي بقدر الامكان وما هذا الحشد الكبير من العلماء إلا الدليل الأكيد على نمو الحركة العلمية وازدهارها فوق روابي الرملة وسهولها ووديانها ، ونحن في هذا المجـال يجب أن لا ننسى بأن الـرملة هي احـدى مدن الإسلام المنتشرة فوق بقاع العالم الإسلامي الممتد من أواسط آسيا إلى جنوب أوروبا ، ولكن دورها المميز كحلقة وصل بين مصر والشام والعراق جعلهـا محط رحـال العلماء اثناء تنقلاتهم بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه وبالعكس ، ولا بأس في أن نورد عدداً من هؤلاء العلماء ومنهم :

٧٦ ـ **رحيم عبدالرحمن بن إبراهيم بن عمرو الحافظ الكبير أبو سعيد الأموي مولاهم الـدمشقي الأوزاعي** محـدث الشـام ولـد عام ١٧٠هـ وسمـع سفيان بن عيينـة وطبقتـه في مصـر والشـام والحجاز والكوفة والبصرة ، وحدَّث عنه بقي بن مخلد وأبو زرعة ووثقه كبار المحدثين ، ولي قضاء الرملة ومات بها عام ٢٤٥هـ[1] .

٧٧ ـ **احمـد بن شعيب بن علي المشهـور بالنسـائي سكن مصـر وأخذ عن علمائها** وكان افقه مشايخ عصره وأعلمهم في الحديث ، وهو من مواليد نسـا بخراسان خرج للحج فامتُحِنَ في دمشق في معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وهل هو افضل من علي بن أبي طالب رضي الله عنه أم العكس فقال: ألم يرضى معاوية أن يخرج[2] رأساً برأس حتى يفضل ،

---

(١) ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها طبعة بريل ١٩٢٠م ، ص ٢٤٧ .
الذهبي : تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٨٠ ، العبر: ١/ ٤٤٥ ، سير أعلام النبلاء ١١/ ٥١٥ ـ ٥١٧ .
السيوطي : طبقات الحفاظ ١/ ٢٠٨ ، الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢/ ١٢٣ .
الحنبلي : الأنس الجليل ٢/ ٧٠ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ٢/ ١٠٨ .
(٢) فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي مج/١ جـ١/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨ .

فقيل إنه ضرب لذلك ضرباً مبرحاً خرج بعدها إلى الرملة ومات متأثراً بما أصابه وقيل توفي في مكة وقيل في سنة وفاته عام ٣٠٢ أو ٣٠٣ أو ٣٠٤هـ[١] .

٧٨ ـ **أبو العباس محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني محدث فلسطين بلا** منازع سمع من عدة علماء منهم يزيد بن خالد بن يزيد بن عبدالله بن موهب وروى عن يزيد بن مرشل «موشل» الرملي[٢] .

٧٩ ـ **أيوب بن اسحق بن ابراهيم بن مسافر المكنى بأبي سليمان وقد اشتهر** بالصدق والأمانه وسكن الرملة وحدَّث بها وبمصر وبدمشق ، وكان في خلقه زعارة وسوء توفي في دمشق آخر عام ٢٦٠هـ[٣]، وكتب عنه محمد بن

---

(١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٦١ ، ١٦٨ ، ابن الجوزي : المنتظم ٦/ ١٣١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١/ ٧٧ـ٧٨ .
المزي : تهذيب الكمال ١/ ٣٣٠ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٤١ ، ٧٠٠ ـ ٧٠١ ، سير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٣ وما بعدها .
ابن الدمياطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ابن النجار ص٤٨ـ٤٩ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٦/ ٤١٦ ـ ٤١٧ .
اليافعي : مرآة الجنان ٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤١ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٨٤ ، ٣/ ١٤ـ١٦ .
الأسنوي : طبقات الشافعية ٢/ ٤٨٠ ـ ٤٨٢ ، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ١٢٤ .
الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١/ ١٧٠ ، الخياري : تحفة الأدباء وسلوة الغرباء ٣/ ٤٤ـ٤٥ حاشية ١٤٤ ـ ١٤٥ .
الحنبلي : الأنس الجليل ٢/ ٧٠ ، الزركلي : الأعلام ٣/ ١٨٢ ، آدم متز: الحضارة الإسلامية ١/ ١٢١ .

(٢) السمعاني : الأنساب ٦/ ١٧٠ ، الحموي : معجم البلدان ١/ ٤١٥ ـ ٤١٨ ، ٤٢٨ .
الذهبي : تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٦٥٤ ، العبر: ٢/ ١٤٧ .

(٣) الطبري : تهذيب الآثار مسند علي بن أبي طالب ص٤٢٦ وذكره ابن سافري الرملي ، =

أبي حاتم بالرملة وكان صدوقا .

٨٠ ـ **الحافظ أبو بكر احمد بن عمرو بن عبدالخالق العتكي وقيل البصري المتوفى في حدود عام ٢٩٢هـ** ، وقد اشتهر بعلم الحديث في الرملة وتوفي فيها ، وقد لقب بالبزاز الحافظ صاحب المسند وقيل هو ثقة ويخطيء لأنه يتكل على حفظه ، ويبدو أنه قدم إلى الرملة ومكث فيها مدة قبل مدته ، ولكنه حدَّث في عدة مدن باصبهان والعراق والشام[١] .

٨١ ـ **يحيى بن عيسى العسلي الكوفي «النهشلي»** ورد ذكره سابقاً .

٨٢ ـ **محمد بن جعفر بن محمد بن قوح أبو نعيم الحافظ البغدادي المتوفى عام** ٣٢٧ ، وقد نال سمعة طيبة في الرملة[٢] ، وحدَّث عنه الكثير واشهرهم الحافظ محمد بن المظفر[٣] ، ومحمد بن عمر بن عفان بن عثمان بن حمدان بن زريعة الدوري المكنى بأبي الحسن[٤]، البغدادي وجماعة .

٨٣ ـ **محمد بن محمد بن اسحق بن ابراهيم بن مخلد المكنى بأبي الطيبي**

= البغدادي : تاريخ بغداد ٧/ ٩ .
ابن عساكر: تهذيب تاريخه لبدران ٣/ ٢٠٠ ، ابن الجوزي : المنتظم ٥/ ٢٢ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٣/ ٣١-٣٢ .

(١) الأصبهاني : ذكر أخبار أصبهان ١/ ١٠٤ ، ابن الجوزي : المنتظم ٦/ ٥٠ .
الذهبي : تذكرة الحفاظ ٢/ ٨٤٥ دول الإسلام ١/ ١٧٧ ، العبر ٢/ ٩٢ ، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٥٤ ـ ٥٥٦ .
الصفدي : الوافي بالوفيات ٧/ ٢٦٨ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ص٢٨٥ ، الزركلي : الاعلام ١/ ١٨٢ .

(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢/ ١٤٠ ـ ١٤١ ، ابن الجوزي : المنتظم ٦/ ٢٩٩ ، أمينة بيطار: الحياة السياسية ص٣٧٢ .

(٣) ابن الجوزي : المصدر السابق نفسه .

(٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٣/ ٣١ .

الحنظلي والمعروف بابن راهوية وهو مرو روذي الأصل ، سكن بغداد وحدَّث بها عن جماعة وروى عنه جماعة ، وكان ثقة عالماً بمذهب مالك مارس القضاء في جانب بغداد الشرقي أيام فتنة البريدي وقدم الرملة وتوفي فيها عام ٣٣٧هـ ، وعالم مثل هذا لا بد أن يكون قد ورد الرملة آخذاً من علمائها ومحدثاً فيها ، ثم انه مارس القضاء في المدينة(١) .

٨٤ ـ **أبـو احمد البزار عبيدالله بن محمد بن احمد بن حامد بن محمود بن جعفر بن عبدالله والمعروف بابن الحريصي** وهو بغدادي الأصل طاف بالبلاد شرقاً وغرباً وورد الرملة وسكنها مدة طويلة وحدَّث بها عن جماعة وروى عنه جماعة كثيرة(٢) .

٨٥ ـ **أبو حاتم بن حيان بن معاذ بن معبد بن سعيد بن شهيد التميمي** ، وقد طاف على عادة العلماء في البلاد شرقاً وغرباً يطلب العلم من مشايخه وصنف عدة مصنفات ، وكان أحد أوعية العلم ، وسمع بالرملة من أبي بكر محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني المار ذكره ، وما دام سمع منه فهو من تلاميذه(٣) .

٨٦ ـ **محمـد بن سليمـان المكنى بأبي جعفر** وقد قدم الرملة ومكث بها مدة وحكى عن أبي العبـاس ثعلب وروى عنـه أبـو بكـر بن المقـرىء الأصبهاني ، وقد سمعه ابن المقرىء في الرملة وهو يحكي حكاية ثعلب التي تدل على الظرف والكياسة ، ويمكننا أن نعده ممن أبدعوا في علوم

---

(١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢٢٣ .
الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٣/ ٢١٥ .
(٢) الخطيب البغدادي : المصدر السابق ١٠/ ٣٧٠ .
ابن ماكولا : الاكمال ، نشر أمين دمج ـ بيروت ٢/ ٧١ .
(٣) الحموي : معجم البلدان ١/ ٤١٥ ـ ٤١٨ .

اللغة والأدب وليس في الحديث فحسب[1] .

٨٧ ـ المحتسب الغافقي ابراهيم بن عبدالله بن حصن بن احمد بن حزم أبو اسحق الأندلسي رحل إلى المشرق وسمع من الكثير في مصر والشام والعراق والجبال وطبرستان وعاد إلى دمشق وتوفي فيها بعد أن ولي الحسبة عام ٣٧٥هـ للفاطميين ، وسمع بالرملة أبا محمد عبدالحميد بن يحيى بن داود وعن عدد من شيوخ مصر[2] .

٨٨ ـ أبو اسحق ابراهيم بن احمد بن محمد بن عبدالله الأنصاري القاضي الميمذي سمع بعدة بلاد عن كبار علمائها وأخذ عنهم فسمع بدمشق والبصره والكوفة ومكة والجزيرة والقيروان والاسكندرية والرملة ، وقد سمع بالرملة من أبي العباس بن الوليد بن حماد الرملي ، وسمع بغير ما ذكر من المدن ، والظاهر أنه واسع الرحلة والاطلاع[3] .

٨٩ ـ علي بن محمد بن حاتم بن دينار بن عبيد أبو الحسن وقيل أبو الحسين القومي الحدادي مولى بني هاشم سمع في عدة مدن منها الرملة ، وظل يواصل الرحلة للسماع والأخذ عن العلماء وروى عن ثقاتهم حتى توفي عام ٣٢٢هـ[4] .

٩٠ ـ ابراهيم بن يعقوب أبو اسحق السعدي الجوزجاني ، وثقه الثقات من المحدثين وسكن دمشق وحدَّث بها وكان منحرفاً عن علي بن أبي طالب وضمن التيار المعادي للشيعة في العالم الإسلامي ، وكان قد أقام بالرملة

---

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٥/ ٣٠٢ .

(٢) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق لبدران ٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٣٧/٦ .

(٣) الحموي : معجم البلدان ٥/ ٢٤٥ .

(٤) الحموي : معجم البلدان ٢/ ٢٢٦ .

مدة ، وظل يتنقل من قطر إلى قطر حتى توفي عام ٢٥٩هـ (١).

٩١ ـ موسى بن عيسى البغدادي وكتب إلى أبي ابراهيم احمد بن القاسم بن الميمون بن حمزة العلوي الحسيني ورد الرملة وحدَّث بها وذلك في حدود عام ٢٥٠هـ (٢).

٩٢ ـ محمد بن احمد بن عيسون البغدادي روى عن كثير وروى عنه الكثير وقد حدَّث في الرملة عن أبي عبدالله محمد بن المحسن الأذني ، وقد سمع منه ابن شحنوية بعد عام ٣٥٠هـ (٣).

٩٣ ـ محمد بن احمد بن ريحان أبو نصر البغدادي وكان ثقة روى عن الثقات ونزل الرملة وقد ذكره أبو القاسم بن الثلاج أنه حدثه بالرملة عن الحسن بن علوية القطان(٤).

٩٤ ـ احمد بن سعيد أبو العباس الأشعري بن عون انتقل للشام فنزل الرملة وحدَّث بها عن : الهيثم بن عدي الطائي وروى عنه محمد بن يوسف بن بشر الهروي وذكر أنه سمع منه عام ٢٧١هـ(٥).

٩٥ ـ احمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر أبو العباس السامري أخو أبي بكر الخرائطي وقد حدَّث عن الثقات وروى عنهم وروى عنه الثقات ، وذكر ابن رشيق أنه سمع منه بالرملة وهو صاحب أخبار

---

(١) الحموي : معجم البلدان ٢/ ١٨٢ ـ ١٨٣ .
الذهبي : سير أعلام النبلاء ١/ ٧٦ وذكر أن له مؤلفات منها : «الجرح والتعديل» و «الضعفاء» . . وغيرها .
(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١/١٣ .
(٣) الخطيب : تاريخ بغداد ١/ ٣٢٨ .
(٤) الخطيب : تاريخ بغداد ١/ ٣٠٣ .
(٥) الخطيب : تاريخ بغداد ٤/ ٦٩ .

وحكايات[1] .

٩٦ ـ الحسن بن عبدالله بن سعيد بن عبيدالله أبو علي الكندي الحمصي ، سمع الحديث في أماكن كثيرة وفي عدة مدن من بلاد الشام ومصر والعراق والحجاز وقد سمع بالرملة من الثقات[2] .

٩٧ ـ الحسن بن علي بن موسى بن الخليل البرقعيدي وكالعادة ارتحل وسمع في عدة مدن منها الرملة وهو من رجال القرن الخامس الهجري[3] .

٩٨ ـ الحسن بن نظيف أبو محمد الهلالي الساكني المعروف بحفلان سمع الحديث في عدة مدن واقطار منها الرملة روى عنه الثقات كعبد الوهاب الميداني بسنده إلى أبي بكر[4] .

٩٩ ـ أبو بكر عبدالله بن خيثمة بن سليمان القرشي الاطرابلسي سمع الحديث في عدة مدن من مدن العالم الإسلامي ومنها الرملة عن جماعة من الثقات العلماء[5] .

١٠٠ـ سعادة بن الحسن بن موسى بن عبدالله بن الفرج أبو القاسم الفارقي قدم دمشق سمع بها وبغيرها من مدن الشام ، وحدَّث بالرملة وروى باسناده عن علي بن الحسين مرفوعاً ان الله خلق الدنيا وأعرض عنها فلم ينظر اليها من هوانها عليه سبحانه[6] .

---

(١) الخطيب: تاريخ بغداد ٤/ ٦٢ .

(٢) ابن عساكر: تهذيب تاريخه لبدران ٤/ ١٨٩ .

(٣) ابن عساكر: تهذيب تاريخه لبدران ٤/ ٢٣٢ ، الحموي: معجم البلدان ١/ ٣٨٨ روى عن زيد بن الهيثم الرملي بالرملة ، وكان يسكن نصيبين .

(٤) ابن عساكر: تاريخه ٤/ ٢٥٢ .

(٥) ابن عساكر: تاريخه ٧/ ٣٧٩ .

(٦) ابن عساكر: تاريخه ٦/ ٨٠ .

١٠١ـ السري بن المغلس السقطي البغدادي ، قدم الشام مجاهداً وزار معظم مدنه ومنها الرملة ، وظل يواصل الرحلة والاشتغال بالعلم والحديث ودراسته حتى توفي عام ٢٥٧هـ/ ٨٧١م[1] .

١٠٢ـ ابراهيم بن محمد بن عبدالله البغدادي الحنبلي ، ارتحل كعادة علماء المسلمين وسمع في عدة مدن من مدن الشام والعراق كدمشق وحمص وبغداد والرملة ، ومن هنا نلاحظ أن الحركة العلمية كانت مزدهرة خاصة حركة الفقه فوجد الشافعي بجانب الحنبلي وغيره مما تكون محصلته نهضة الفقه والعلوم الدينية بشكل خاص[2] .

١٠٣ـ احمد بن علي بن الحسن بن شاذان المقرىء التاجر المعروف بالحسنوي النيسابوري طوَّف بالبلاد الإسلامية واتصل بمشايخ علمائها وسمع الحديث من الثقات في مدن كثيرة منها الرملة ، وقيل دخل الشام وعمره ١٢ سنة ، وكان عيبه أنه حدَّث عن جماعة لم يسمع بهم مما جعل الثقات يتبعون الحذر في توثيقه[3].

١٠٤ـ احمد بن محمد بن درستوية أبو جعفر المروزي المعروف بكاكوا ، سمع الحديث في عدة أقطار إسلامية ومنها فلسطين حيث سمع الحديث في مدينة الرملة وكان موجوداً حتى عام ٤٦٤هـ[4].

١٠٥ـ موسى بن عمران بن موسى بن هلال ابو عمران سمع في عدة اقطار ومدن ومنها الرملة وينسب إلى بلدة سلماس احياناً توفي في ربيع الآخر عام

---

(١) الحنبلي : الأنس الجليل ١/ ٩٢٥ وذكر موته عام ٢٥١هـ ، ملكة أبيض : التربية والثقافة العربية الإسلامية ص٣٨٠ .

(٢) ابن عساكر: تهذيب تاريخه ٢/ ٢٨٦ .

(٣) ابن عساكر: تهذيب تاريخه ١/ ٤٠٢ - ٤٠٣ .

(٤) ابن عساكر: تهذيب تاريخه لبدران ٢/ ٧٦ .

٣٨٠هـ وحمل إلى مسقط رأسه ودفن[١] .

١٠٦ـ علي بن محمد بن اسماعيل ابو الحسن الطوسي الكارزني نسبة إلى كارز من قرى طوس رحل وسمع وحدَّث وروى في عدة مدن من اقطار العالم الإسلامي ، وسمع في الرملة من أبي العباس محمد بن الحسن بن قتيبة الرملي وغيره ، وتوفي بمكة عام ٣٦٢هـ ، وسمع من الثقات كالحسين بن محمد القباني وابي عبدالله البوشنجي وروى عنه الثقات كابي علي الحافظ وأبي الحسين الحجاجي وابي عبدالله الحاكم[٢] .

١٠٧ـ الحسين بن ابراهيم ابو علي الحداد واسمه الكامل الحسين بن ابراهيم بن احمد بن محمد بن عطية بن زياد بن فريد بن بلال بن عبدالله النهبي أبا علي المعروف بابن حداد أخو أبي بكر احمد وأبي يعقوب اسحق ، سكن الرملة وحدَّث بها عن جماعة منهم احمد بن الحسن بن عبدالجبار الصوفي واسحق بن ابراهيم المنجنيقي وروى عنه الثقات كتمام بن محمد الرازي وأبي علي المقدسي[٣] .

١٠٨ـ عقيل بن الصلت بن عقيل أبو القاسم ، طاف في عدة مدن وأقطار من أقطار العالم الإسلامي ، وحدَّث أينما رحل وقد حدَّث بالرملة عن عبدالأعلى بن حماد النرسي ، وروى عنه محمد بن هارون بن شعيب الأنصاري الدمشقي[٤] .

١٠٩ـ عمر بن عثمان بن جعفر بن محمد بن اسماعيل أبو احمد البغدادي المعروف بالسبيعي حدَّث في عدة مدن من أقطار العالم الإسلامي ومنها

---

(١) الحموي : معجم البلدان ٣/ ٢٣٩ .

(٢) الحموي : معجم البلدان ٤/ ٤٢٨ .

(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٨/ ١٩ .

(٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٢/ ٣٠١ .

الرملة حيث حدَّث عن محمد بن القاسم بن جعفر الكوكبي وعبدالكريم بن احمد الرواسي البصري وأبي ذر احمد بن محمد بن محمد الباغندي وابراهيم بن عبدالله الزينبي وابراهيم بن عبدالصمد الهاشمي وهم من الثقات وروى عنه تمام بن محمد بن عبدالله الرازي ساكن دمشق(١) .

١١٠- أبو الحسن محمد بن الحسن بن الصباح الداودي البغدادي الكاتب ، وقد طوّف بالبلدان وحدَّث في عدة مدن من أقطار العالم الإسلامي ، وقد حدَّث في الرملة واتصل بثقات العلماء فيها وأخذ وسمع(٢) .

١١١- محمد بن احمد بن محمد بن يحيى بن مفرج مولى الإمام عبدالرحمن بن الحكم من أهالي قرطبة رحل للمشرق سنة **٣٣٧هـ** وسمع في مجموعة كبيرة من مدن العالم الإسلامي شرقاً وسمع بغزة وعسقلان وطبرية ودمشق ومكة والمدينة واليمن والقدس وطرابلس والرملة حيث سمع من أبي القاسم احمد بن طاهر القاضي وأبي القاسم عمر بن عبدالرحيم بن ابراهيم بن الواثق الهاشمي وغيرهم(٣) .

١١٢- محمد بن يحيى بن زكرياء بن يحيى التميمي المعروف بابن البرطال ، رحل للمشرق **٣٤١هـ** وسمع بمصر وغيرها من مدن الشام والحجاز ، وسمع بالرملة من أبي محمد بن محمد بن محفوظ المعروف بابن اسماعيل السني وتوفي عام **٣٩٤هـ**(٤) .

١١٣- مسلمة بن القاسم بن ابراهيم بن عبدالله بن حاتم القرطبي المكنى بأبي

---

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٧ .

(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٥/ ٢٥٨ .

(٣) ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ق/٢ ص٩١-٩٢ .

(٤) ابن الفرضي : المصدر السابق ٢/ ١٠٥ - ١٠٧ .

القـاسم ، سمـع بالأندلس ورحل للمشرق قبل أن يبلغ العشرين ربيعاً وسمع بأقريطش احدى جزر البحر الأبيض المتوسط والمعروفة بكريت اليوم وبمصر والعراق والشام ومدنه ، وسمع بالرملة من عالمها يحيى بن موسى ودخل اليمن وتوفي عام **٣٥٣هـ**[١] .

١١٤ـ عبيدالله بن محمـد بن احمـد بن محمد بن احمد القيسي ، من أهل قرطبة بالأندلس ، رحل للمشرق وسمع في مدن الشام ومصر وفي الرملة من أرض فلسطين مكث مدة وسمع من احمد بن عيسى وأبي الفتح حفيد أبي القاسم وغيرهما من علماء الشام ومصر[٢] .

١١٥ـ خلف بن قاسم بن سهل بن محمد بن يونس بن الأسود الأزدي المكنى أبي القاسم وبابن الرباع قرطبي ، رحل للمشرق عام **٣٤٥هـ** وبقي في المشرق **١٥** سنة يحدث ويتعلم العلم ، سمع بمصر ومدنها وبكور الشام جماعة ، منهم ابن أبي الخصيب بالرملة ، وتوفي عام **٣٩٣هـ**[٣] .

١١٦ـ محمد بن علي بن الحسن بن أبي الحسين القرطبي ، أخذ عن علماء الأنـدلس وارتحـل إلى المشـرق للاستزادة وكان يرافقه أخوه الحسن ، فسمع بمصر من جماعة وقدم الرملة وكانت بيد الفاطميين وسمع بالرملة من أكثر من واحد وتوفي عام **٣٧٢هـ**[٤] .

١١٧ـ جعفـر بن محمد بن الحسن بن المستقاض أبو بكر القيرياني القاضي المتوفى عام **٣٠١هـ** ارتحل وسمع من الكثيرين وسمع بالرملة من يزيد بن خالد البرمكي وحدَّث عنه وعن غيره[٥] .

---

(١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ٢ / ١٢٨ ـ ١٣٠ .

(٢) ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ١ / ٣٤١ .

(٣) ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ١ / ١٣٧ .

(٤) ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ٢ / ٨٢ .

(٥) الحموي : معجم البلدان ٤ / ٢٨٤ .

١١٨- وممن نبغ في جهات الرملة بالحديث والعلم والقراءات أبو الواثق عبدالعزيز بن محمد بن ابراهيم بن الخليفة الواثق وقريبه عمر بن عبدالرحمن بن ابراهيم بن الواثق(١) .

٤٦ - ابو حاتم الرازي ، محمد بن ادريس بن المنذر بن داود بن مهران الامام الحافظ لاثقة شيخ المحدثين الحنظلى الغطفاني . وكان يسكن الري خرج متنقلاً بين البلاد إلى ان وطىء الرملة فمكث مدة ثم جاء أجله هناك(٢).

٤٧ - شهاب بن خراش بن حوشب بن يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم ابن عبد الله بن سعد بن مره بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة الامام العالم ابو الصلت الشيباني الحوشي الواسطي ، وهو ينحدر من اصل كوفى ثم تحول إلى الرملة وانزوى في فلسطين وحّدت عنه الثقات وتحدث عن الثقات . وقيل انه مات قبل حوالى ١٨٠هـ(٣).

مؤمل بن إهاب الكوفي كوفى الاصل نزل الرملة ومكث مدة روى عن حمزة بن ربيعة ويزيد بن هارون وروى عنه ابن جوصا اشتهر بالصدق والسفر كعادة علماء عصره وقيل مات في رجب ٢٥٤هـ(٤)

هارون بن زيد أبى الزرقا الموصلي نزل الرمله واخذ عن علمائها واخذ عنه الكثيرون كان ثقةصدوقا(٥)

---

(١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص٢٦ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٤٧ ، ٢٥٥ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٥٢ - ٢٥٣ الكاشف : ٢/ ١٥-١٦ .

(٤) الذهبي : الكاشف ٣/ ١٩١ ميزان الاعتدال ٣/ ٢٢١ .

الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال لابن ماكولا ٣/ ٧٢ .

سزكين (فؤاد) : تاريخ التراث العربي المجلد الأول ١/ ٢١٨ .

(٥) الذهبي : الكاشف ٣/ ٢١٣ .

١١٩ـ عبدالرحيم بن محمد المجاشعي الأصبهاني ، وهو من أصبهان ولكنه قدم الرملة واتخذها مسكناً واشتغل بعلم الحديث وهو يكنى بأبي علي وأخ العباس بن محمد المحدث المشهور ، حدَّث عنه أبو بكر بن المقرىء وأبو محمد بن حيان(١) .

١٢٠ـ نجبة بن ثواب الرملي والظاهر أنه رملي كما يبدو ، رحل وطوف بالبلاد ونزل أصبهان وحدَّث فيها وأثر وتأثر بمن لقيه من العلماء الأجلاء(٢) .

١٢١ـ محمد بن عامر الأنطاكي أو المصيصي المكنى بأبي علي الرملي ، ويبدو أن أصله من أنطاكيا أو المصيص وقدم الرملة واشتهر فيها وحمل اسمها واشتغل بالحديث وأخذ عن منصور بن سلمة وهاشم بن القاسم وجماعة ، قيل عنه ثقة(٣) .

١٢٢ـ أبو احمد محمد بن عبدالله الرملي ، والظاهر أنه رملي الأصل رحل إلى عدة بلدان واشتهر في الحديث وأخذ عن الوليد بن مسلم وعن غيره من مشايخ عصره وأفاد واستفاد(٤) .

١٢٣ـ أيوب بن سلمة الرملي ، وقد اهتم هو الآخر بدراسات الحديث وأخذ عن عدة سمع من حجر بن الحارث وسمع منه محمد بن عبدالعزيز(٥) .

١٢٤ـ عبدالملك بن الحكم الرملي ، اشتغل بدراسات الحديث روى عنه احمد بن عبدالواحد بن واقد التميمي المكنى أبي عبدالله الدمشقي المعروف بابن عبود ، وأصبح له تلاميذ كثيرون منتشرون هنا وهناك(٦) .

(١) الأصبهاني : ذكر أخبار أصبهان ٢ / ١٢٨ .

(٢) الأصبهاني : المصدر السابق نفسه ٢ / ٣٣١ .

(٣) الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢ / ٤١٨ .

(٤) المصدر السابق ٢ / ٤٢٧ .

(٥) البخاري : التاريخ الكبير مجلد/١ ق/١ جـ/١ ص٤١٥ .

(٦) المزي : تهذيب الكمال لابن ماكولا ١ / ٣٩٣ .

١٢٥ـ عبدالله بن محمد بن يحيى الخشاب الرملي ، اهتم بدراسات الحديث وروايته . أخذ عن جماعة واشتهر ، أخذ عن الوليد بن مسلم في المراسيل[١] .

١٢٦ـ محمد بن حازم الرملي حمل اسم الرملة واشتغل في الحديث واشتهر ، حدَّث عن الوليد بن محمد الموقري وعنه يوسف بن سعيد بن مسلم[٢] .

١٢٧ـ زيد بن المبارك الصنعاني الرملي ، وقد زار الرملة ومكث مدة وتلقب باسمها وأخذ عن ابن عيينة وجماعة ، وأخذ عنه أبو يحيى بن أبي ميسرة والرمادي ، وكان من أولياء الله الصالحين ، وقد أخذ شهرته في الرملة[٣] .

١٢٨ـ الحسن بن واقع السرخسي الرملي المكنى أبي علي ، أصله من سرخس قدم الرملة شأنه شأن غيره من العلماء الذين اهتموا بالرحلات العلمية ومكث في الرملة ونسب إليها وأخذ عن ضمرة بن ربيعة وأيوب بن سويد وعنه جماعة ، وثقه ابن حيان ، وقال عنه ابن سعد مات سنة ٢٢٠هـ[٤] .

١٢٩ـ حجر بن الحارث المكنى بأبي خلف الغساني الرملي الفلسطيني ، سمع من جماعة منهم عبدالله بن عوف وسمع منه سعيد بن منصور وعبدالله بن عثمان ومحمد بن المبارك وغيرهم[٥] .

١٣٠ـ أبو سعيد اسماعيل بن حمدويه البيكندي ، أصله من بيكند قدم الرملة

---

(١) الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢/ ٩٧ .

(٢) ابن ماكولا : الاكمال ٢/ ٢٨١ .

(٣) الذهبي : الكاشف ١/ ٣٤١ ، الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١/ ٣٥٤ .

(٤) البخاري : التاريخ الكبير مجلد/٢ ق٢ جـ/١ ص٣٠٧ .
الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١/ ٢٢١ .

(٥) البخاري : التاريخ الكبير مجلد/٣ ق/١ من الجزء الثاني ص٧٣/٧٤ .

وسكنها مدة طويلة وروى عن علي بن الحسن بن شفيق وعبدان بن عثمان وصـدقة بن الفضل وغيرهم حدَّث عنه جماعة منهم احمد بن عمرو بن جابر الرملي ، إذن فهو شيخ احمد بن عمرو بن جابر الرملي(١) .

١٣١- أبـو يعقـوب اسحق بن اسمـاعيـل بن عبـدالله بن زكـريـاء المذحجي الرملي ، حمل اسم الرملة وطاف في عدة بلاد وورد أصبهان **٢٨٨هـ** وكان يروي عن آدم بن أبي إياس ومحمـد بن رمـح ، وحدَّث عن الليث بن سعد ، وقيل إنه كان نحاساً(٢) .

١٣٢- وممن حدَّث في الرملة : محمد بن عبدالله الديبلي ، وابراهيم بن سلم الرملي وابراهيم بن سهل الرملي ، ولـم أجد أخبارهما بكثرة سوى شذرات هنا وهناك(٣) ! .

---

(١) ابن ماكولا : الاكمال ٢/ ٥٥٥ .

(٢) الأصبهاني : ذكر أخبار أصبهان ١/ ٢١٧ .

(٣) الأصبهان : المصدر السابق ١/ ٩٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ .



الفقه والعلوم الدينية الأخرى:

والفقه من الدراسات التي اهتم بها رجال العلم في الرملة ، فقد ظهر عدد من الفقهاء في المدينة منذ نشأتها إلى الاحتلال الصليبي ، وقد قدَّم هؤلاء للفقه خدمات جلى بما قدموا من فتاوي وشروح ولكن يجب أن نعترف أن هذه الحركة الفقهية لم تكن تسير بنفس الزخم الذي سارت به في بغداد أو كبريات العواصم الإسلامية الأخرى ، لأن الرملة وفلسطين صغيرة المساحة بالنسبة إلى قطر كبير كمصر مثلاً ، أو العراق . ثم إن المدينة معبر ما بين مصر والعراق وشمال الشام فلا بد أن تكون قد شهدت طرفاً من النهضة العلمية في العالم الإسلامي خاصة وأنها شهدت تقلبات الحكم ما بين العباسيين والأمويين والطولونيين والإخشيديين والفاطميين والسلاجقة إلى أن احتلها الصليبيون ، ولكن لأنها معبر لم يلتفت إلى النهضة العلمية بها بشكل رسمي ، بل كان الاهتمام منصباً إلى الناحية العسكرية والتجارية وهذا لا يعني مطلقاً أن العلوم كانت مهملة ولكنها لم تعط الأولوية كما كان في غيرها من كبريات العواصم الإسلامية ، والمصادر ـ للأسف ـ لم تسعفنا أو على الأقل المصادر التي رجعنا إليها عن كيفية ممارسة حركة التعليم وهل كانت هناك مدارس في هذه الفترة أو أن التعليم كان يمارس في المساجد فقط والكتاتيب ! ، ولكن من الحق والعدل رغم كل ذلك أن نقول: إن موقع الرملة قد أهلها كمعبر للجيوش والعلماء القادمين ما بين الشرق والغرب الإسلامي أن تطلع على أساليب التعليم المتبعة في تلك البلدان وتسير وفق نمطها من التعليم في المساجد والكتاتيب ودور الأمراء ومجالسهم وفي الأربطة المحيطة بالمدينة وهي كثيرة كما ألمحنا إليه من قبل من خلال ما ورد في المصادر المعاصرة .

وعلى العموم فقد ظهر عدد من الفقهاء والقراء والمهتمين بالعلوم الدينية سنتناول عدداً منهم ونبين ما قدموا من جهد حسبما تسعفنا به المصادر المتوفرة لدينا ، ومنهم:

١ ـ عبادة بن الصامت الصحابي الجليل القدر أول قاض في الإسلام عرفته أرض فلسطين ، فقد أرسل ليعلم الناس ويفتي بينهم ويحل ما أشكل من أمورهم ، وظل كذلك حتى وفاته عام ٣٤هـ ، واختلف في مدفنه هل هو في القدس أم في الرملة من أرض فلسطين ؟ ، وإذا سلمنا بأن قبره موجود في الرملة فمعنى هذا أن المدينة موجودة قبل سليمان بن عبدالملك المتوفى عام ٩٩هـ ، ولكن المرجح أن قبره موجود في جهات الرملة حيث أقيمت المدينة فيما بعد خاصة وأنه كان يوجد معسكر للمسلمين قبل إنشاء المدينة[1] .

٢ ـ أبو الحسن إدريس بن حمزة الرملي ، كان من فحول الأئمة فقيهاً فاضلاً فصيحاً ثقة ثقفه ببيت المقدس وبغداد ودخل خراسان واستوطن سمرقند ودرّس في مسجد المنارة فيها إلى أن توفي عام ٥٠٤هـ ، وقد اشتغل في المناظرة والجدل وأبدع[2] .

٣ ـ احمد بن محمد بن أبي بكر الرملي القاضي اليازوري الفقيه الثقة حدّث عن الحسن بن علي اليازوري وحكى عنه جماعة كثيرة منهم أبو القاسم علي بن محمد بن زكريا الصقلي الرملي ، وأبو الحسن علي بن احمد بن محمد الحافظ المشهور[3] .

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٣٨٧ ، ابن عبدالحكم: فتوح مصر ص٢٧٣ .
البلاذري: أنساب الاشراف ١/ ٢٥١ ، ابن شداد: الاعلاق الخطيرة تاريخ دمشق والاردن وفلسطين ٢/ ٢٩١ .
الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ١ـ٤ ، العبر ١/٣٥ ، الكاشف ٢/ ٦٤ .
ابن العماد الحنبلي: الشذرات ١/ ٤٠ طبعة دار المسيرة بيروت ١٩٧٩م .
(٢) ابن الجوزي: المنتظم ٩/ ١٦٦ ـ ١٦٧ ، ابن الأثير: الكامل ١٠/ ٤٨٤ .
الأسنوي: طبقات الشافعية ١/ ٥٨٤ ، السبكي: طبقات الشافعية ٧/ ٤٠ .
(٣) الحموي: معجم البلدان ٥/ ٤٢٥ .

٤ ـ وأبو محمد الحسن بن علي بن عبدالرحمن اليازوري الفلسطيني الذي ولي قضاء الرملة ثم وزارة الفاطميين في مصر ومات قتلاً عام ٤٥٠هـ[١].

٥ ـ أبو بكر محمد بن احمد بن عمر بن احمد بن سليمان الداجوني الرملي المقرىء المكفوف وقرأ على علي بن محمد بن موسى بن عبدالرحمن المقرىء الدمشقي صاحب ابن ذكوان وأبي محمد عبدالله بن جبير الهاشمي بحرف ابن كثير وعلي عبدالله بن احمد بن سليمان بن سلكويه والعباس بن الفضل بن شاذان الرازي وغيره وروى عن كثيرين ، وكان مقرئاً حافظاً ثقة ، وقدم بغداد وقصد حلقة ابن مجاهد فقال لأصحابه : هذا الداجوني اقرؤوا عليه بما يلفت الانتباه إلى أنه ثقة في الحديث والقراءة[٢] .

٦ ـ ضمرة بن ربيعة أبو عبدالله القرشي من أهل دمشق نزل الرملة واشتهر ، وله طلاب ومريدون ذكرنا طرفاً منهم عندما تكلمنا عن ضمرة كمحدث وراو ، وقيل إنه توفي في الرملة عام ١٨٢هـ ، وقيل عام ٢٠٠ وعام ٢٠٢هـ ، وكان فقيه زمانه ثقة مأموناً لم يكن أفضل منه في زمنه[٣] .

وهناك من ورد الرملة ونزلها بشكل قاض ، أبو بشكل زائر ، واشتهر ومكث فيها مدة ، ومن هؤلاء :

١ ـ الفقيه الشافعي أبو الحسن منصور بن إسماعيل بن عمر التميمي المصري وأصله من رأس عين في الجزيرة الفراتية وتفقه على أصحاب الشافعي وأتقن المذهب وأصبح حجة فيه ، وله عدة مؤلفات منها : الواجب ، المستعمل ، المسافر ، الهداية ، وتوفي في مصر في حدود ٣٠٦هـ وقيل عام ٣٢٠هـ ،

---

(١) الحموي : المصدر السابق نفسه .

(٢) الحموي : معجم البلدان ٢/ ٤١٧ .

(٣) ابن عساكر: تهذيب تاريخه لبدران ٧/ ٣٦-٣٧ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٢٥ .

وقد استقر في الرملة زمناً وأتقن الفقه والشعر وبرع فيهما[1] .

٢ ـ وعبدالله بن محمد بن جعفر القزويني سكن مصر مدة وأخذ عن مشايخها وقبل قدومه مصر كان يشغل منصب القضاء في الرملة والشام ، وما دام قاض للرملة إذن ، فلا بد أن يكـون على معرفة تامة بشؤون القضاء والبت في الخصـومـات واستصـدار الأحكـام ، وظـل في مصر وأصبحت له حلقة للأشغال والرواية ، ولكنه خلط في آخر عمره ، وكانت لعبدالله بن محمد القزويني آراء في الفقه ،فقد أثبت هو وأبوحفص بن الوكيل للشافعي قولاً بوجوب جمع الضمان فيما إذا ضرب الشارب زيادة على الأربعين[2] .

٣ ـ أبو هاشم إسماعيل بن عبدالواحد الربعي ، وكان قد اشتهر بالظلم والجهل وولي قضاء مصر ، إلا أنه عزل بعد شهر وأصيب بالفالج وقدم إلى الرملة سنة **٣٢١هـ** ، وظل حتى انتقل إلى رحمة ربه سنة **٣٢٥هـ**[3] .

٤ ـ عبـدالله بن ثابت بن يعقـوب أبـو عبـدالله التـوزي النجـراني القـاضي المغربي ، قدم دمشق وحدَّث بها عن جماعة ، وقد سكن بغداد مدة وتوفي عام **٣٠٨هـ** ودفن في الرملة ، فلماذا يدفن في الرملة إن لم يكن قد قدمها وأخذ عن علمائها ، فإما أن يكون قدم إليها وسكن بها ومات أو قدمها وأنتج فيها وأوصى بدفنه في المدينة[4] ! .

٥ ـ عبيدالله بن عمر بن احمد بن محمد بن جعفر القيسي الشافعي من أهل بغـداد قدم الأنـدلس عام **٣٤٧هـ** ، تفقـه في بغـداد للشافعي وأخذ من

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥/ ٢٨٩ ـ ٢٩١ .

(٢) الأسـنوي : طبقـات الشـافعية ٢/ ٢٩٦ ، الحسيني (أبو بكر بن هداية الله) : طبقات الشافعية بتحقيق عادل نويهض أيلول ١٩٧١م ، دار الآفاق ، بيروت ـ لبنان ط/١ ص٤٩ .

(٣) الأسنوي : طبقات الشافعية ٢/ ٣٩٥ .

(٤) ابن عساكر: تهذيب تاريخه ٧/ ٣١٢ ، ابن تغري : النجوم الزاهرة ٣/ ١٩٩ .

المالكية وكتب الحديث بالرملة عن أبي نعيم الفضل بن محمد البغدادي وعلي بن الحسن النجاد المستملي وأبي الحسن شاذان الفضلي وجماعة سواهم ، وقد اشتهر في الفقه والحجة والرد والقراءات والفرائض توفي في قرطبة عام ٣٦٠هـ(١) .

٦ ـ أبو القاسم الهذلي يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سوادة المغربي البشكري وبشكرة بليدة بالمغرب ، رحل من أقصى المغرب إلى بلاد الترك وكانت رحلته عام ٤٢٥هـ ، وقرأ في عدة مدن حتى قيل إنه قرأ على ١٢٢ شيخاً في مدن الإسلام المختلفة شرقاً وغرباً ، وممن قرأ عليهما في الرملة : عبدالرحمن بن علي القروي ، ومحمد بن اسماعيل المبيض ، وتوفي عام ٤٦٥هـ(٢) .

٧ ـ أبو عبدالله العلوي وفد إلى الرملة وغيرها من مدن الإسلام للاستزادة من العلم وسماعه من أهله والتزود بما ينقصه ، وقد سمع في الرملة ودمشق وغيرها وقدم بغداد فسمع البرمكي والجوهري والتنوخي والطبري وغيرهم ، وقد اشتغل بالوراقة بالأجر وقرأ القرآن بالقراءات وصنف وكان ذا فهم وثقة(٣) .

٨ ـ بكر بن سهل بن إسماعيل بن نافع أبو محمد الدمياطي مولى بني هاشم ، سمع بدمشق وبيروت ومصر عن جلة المشايخ روى عنه سليمان بن احمد الطبراني وغيره توفي في عام ٢٨٧هـ ، وقيل توفي بدمياط وقيل توفي في الرملة أثناء رجوعه من الحج(٤) .

---

(١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٥ .
(٢) الذهبي : معرفة القراء الكبار ١/ ٣٤٧ .
(٣) ابن الجوزي : المنتظم ٩/ ١٨٩ .
(٤) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا ، أن أهل الرملة كانوا مولعين بعلوم القرآن وتفسيره ، فإن لم يوجد لديهم من مبدعي القراءات لا يتورعون أن يستعينوا بأي عالم في القراءات كما حصل لبكر بن سهل فعندما كان عائداً إلى مصر من أحد سفراته للحج اجتمع به الأهالي في الرملة ولما عرفوا فضله جمعوا له ٥٠٠ دينار ليقرأ لهم بنفسه فأسمع الأهالي وسروا به ، إلا أنه خرج للقدس وتلقى ١٠٠٠ دينار أجراً لقراءته وأحاديثه(١) .

ومهما يكن من أمر ، فيمكننا أن نضع قائمة بقضاة الرملة حسبما توفر لنا من المصادر:

- عبادة بن الصامت بن قيس توفي عام ٣٤هـ في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وهو أول قاضٍ ومعلمٍ أرسل لفلسطين(٢) .
- دحيم ، وهو القاضي عبدالرحمن بن ابراهيم بن عمرو المكنى بأبي سعيد الأموي مولاهم الدمشقي الأوزاعي توفي عام ٢٤٥هـ بالرملة(٣) .
- عبدالله بن محمد بن جعفر القزويني المكنى بأبي القاسم والمتوفى عام ٣١٥هـ بالرملة(٤) .

---

(١) ابن عساكر: مدينة دمشق مجلد/ ١٠ ص ٢٤٨ ـ ٢٥٠ .
ملكة أبيض: التربية والثقافة ص ٣٣٩ .
الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٣٨٧ ، ابن عبدالحكم: فتوح مصر ص٢٧٣ ، ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٤٠ .

(٣) ابن عبدالحكم: المصدر السابق ص٢٤٧ ، البغدادي: تاريخ بغداد ١٠/ ٢٦٥ ـ ٢٦٧ .

(٤) الذهبي: العبر ٢/ ١٦٢ السبكي: طبقات الشافعية ٣/ ٣٢٠ ، الحسيني (أبو بكر بن هداية الله المتوفى ١٠١٤هـ) ، طبقات الشافعية تحقيق عادل نويهض ط/١ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت سنة ١٩٧١م ص٤٩ .

- أبو علي محمد بن موسى الواسطي المتوفى في ربيع الأول عام ٣٢٠هـ (ظاهري قدري)[١] .

- العلاء بن هارون الواسطي المكنى بأبي يعلى أخ يزيد بن هارون أحد من روى عنهم ضمرة بن ربيعة المتوفى في حدود ٢٠٠هـ[٢] .

- الدمشقي محمد بن أبي زرعة بن عثمان قاضي مصر والشام والمتوفى ٣٢٠هـ .

- الحسين بن محمد بن أبي زرعة بن عثمان الدمشقي المتوفى في حدود ٣٢٧هـ ، وهو كما يبدو ابن السابق الذكر[٣] .

- محمد بن محمد بن اسحق بن راهوية واسحق هذا هو اسحق بن ابراهيم ابن مخلد بن ابراهيم بن زيد مناة من تميم ، وتوفي عام ٣٣٧هـ[٤] .

- الشريف بن العساف وخرج من مصر ليتولى قضاء الرملة وذلك في صفر عام ٤١٤هـ[٥] .

- أبو العباس علي الشريف الكباش وخرج من مصر ليتولى قضاء الرملة وذلك في رجب عام ٤١٤هـ[٦] .

- ابراهيم بن محمد بن عبدالله بن مهران بن وردة بن كوشاد المكنى بأبي اسحق (تولى الحسبة في الرملة) [٧] .

---

(١) السيوطي : طبقات المفسرين ص١١٧ ، الداوودي : طبقات المفسرين ٢/ ٢٦٢ .

(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٠ . .

(٣) الصفدي : قضاة دمشق ص٢٧ ، السبكي : طبقات الشافعية ٣/ ٢٨١ .

(٤) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب طبعة بيروت دار الكتب العلمية ١٩٨٣م ص٢٢٣ .

(٥) المسبحي : تاريخ مصر في سنتين ص٥٢ .

(٦) المصدر السابق نفسه ص٣٦ .

(٧) في البغدادي : تاريخ بغداد ٦/ ١٦٧ .

- احمد بن محمد بن بكر الرملي والمعروف بأبي بكر القاضي الفقيه اليازوري [١] .

- آل اليازوري وأشهرهم : علي بن عبدالرحمن اليازوري وأولاده ، ومنهم : أبو محمد الحسن بن علي بن عبدالرحمن الوزير الفاطمي والمقتول سنة ٤٥٠هـ [٢] .

- أبو طالب ابن بنت الزيدي وولي قضاء فلسطين للحاكم الفاطمي .

---

(١) ابن عساكر: تهذيب بدران ١/ ٤٥٣ - ٤٥٤ .

(٢) أبو القاسم علي بن منجب الصيرفي :الاشارة إلى من نال الوزارة تحقيق عبدالله مخلص مقتطف من مجلة المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة عدد «٢٥» مطبعة المعهد ١٩٢٤م ، ص٤٠ .

ابن ظافر الأزدي الدول المنقطعة ص٧٩ .

(٣) حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام ٣/ ٣١٢ - ٣١٣ .



الزهد والتصوف :

الزهد وحب الآخرة والسعي لنيل رضى الله هي غاية الإنسان ، وقد ظهر في الرملة عدد من الزهاد والمتصوفة الذين مالوا إلى حب الخير والعمل بما يرضي الله ، ومال هؤلاء إلى التقشف لتهذيب نفوسهم ولبسوا ما غلظ من الثياب وأكلوا ما قلَّ من الطعام ، وفي اعتقادهم أن هذا أفضل عندالله وأقوم وبه يتوصلون إلى نيل مرضاة الله والفوز في الآخرة ، ومن هؤلاء :

١ ـ الشيخ القدوة الزاهد العابد ولي الله أبو عبدالله البطائحي الذي اشتهر بين الناس بالصلاح والتقوى لدرجة أنهم اعتقدوا بصلاحه وكرامته ، وتوفي في ١٠ صفر ٣٥٧هـ ، وقبره أصبح مزاراً والدعاء عنده مستجاب كما ذكره الحنبلي صاحب الانس الجليل(١) ، وقد أقيم على ضريحه إيوان عام ٨٧٤هـ أيام المماليك وهو غير البطائحي صاحب عبدالقادر الجيلاني المتوفى عام ٤٧١هـ والمعروف أيضاً بالبطائحي .

٢ ـ وعبيدالله بن نافع بن مكرم أبو العباس البستي الزاهد المعروف أنفق الأموال التي ورثها عن أبيه في وجوه الخير ، عاش حياة تقشف وتعبد بقي سبعين سنة وما استند على حائط أو جدار وما اتكأ على وسادة ، حج من نيسابور حافياً ، دخل الشام ومكث في الرملة مدة وفي غيرها ، ثم أخرج إلى المغرب وحج منها حافياً وانصرف إلى بلده بست وتوفي في المحرم عام ٣٨٤هـ(٢) .

٣ ـ السري بن مغلس مكث في الرملة مدة واشتهر بالحديث وروايته والتقشف والزهد خرج مرة من الرملة إلى بيت المقدس وكان يأكل العشب فقال إن كان أكل حلالاً فهو ذلك العشب ، وهذا ينير لنا طريق فهم فلسفة التقشف

---

(١) الحنبلي : الأنس الجليل ٢ / ٧٠ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ٧/ ١٧٥ ـ ١٧٦ .

والتصوف على حقيقتها[1] ، وقد أشرنا إليه سابقاً عند الكلام عن علوم الحديث .

٤ ـ عيسى بن محمد بن اسحق الرملي المتوفى عام ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م وهو من الزهاد من أهل الرملة وكان ينتقل من مكان إلى آخر وعليه خرقة لا تتجاوز الذراع وهذا ضرب من ضروب التقشف والزهد في الحياة ، وهذا التيار قد وجد في الرملة كغيرها من مدن العالم الإسلامي[2] .

٥ ـ أبو عبدالله بن الجلاء احمد بن يحيى من كبار مشايخ الصوفية في بغداد انتقل إلى الشام ، وسكن الرملة وصحب ذا النون المصري وأبا تراب وأبوه يحيى الجلاء أحد الأئمة له النكت اللطيفة ، وكان يعد من أئمة الصوفية الثلاثة : أبو عثمان في نيسابور والجنيد في بغداد وابن الجلاء في الشام في الرملة ، ولا رابع لهم[3] .

٦ ـ أبو عبدالله الرملي ، محمد بن عبدالعزيز نسب إلى الرملة وأصله من واسط واستوطن الرملة وقد اشتهر بالزهد والتقشف ، وقد ذكرناه عند الكلام عن الحديث[4] .

٧ ـ احمد بن محبوب بن سليمان أبو الحسن البغدادي ثم الرملي اشتهر بالفقه وتصوف وكان يعرف بغلام أبي الأذنان روى عن الحاكم وسمع الحديث من جماعة ، ولكنه سكن مكة مدة وحدَّث بها ومات في مدينة الرسول ﷺ عام ٣٥٧هـ[5] .

٨ ـ صالح بن يوسف أبو شعيب ، المقنع الواسطي الأصل حج حوالي تسعين

---

(١) الحنبلي : الأنس الجليل ١/ ٩٢٥ .

(٢) ملكة أبيض : التربية والثقافة ص٣٢٥ وقد ذكر سابقاً عند الكلام عن الحديث .

(٣) السلمي : طبقات الصوفية ص١٧٦ .
الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٥/ ٢١٣ ـ ٢١٤ .

(٤) السلمي : المصدر السابق ص ٢٨٥/ ٢٨٦ .

(٥) ابن عساكر: تهذيب تاريخه لبدران ٢/ ٨٦-٨٧ .

حجـة راجـلاً ، في كل حجـة يحرم من بيت المقدس دليل أنه استوطن فلسطين وتنقل ما بين مدنها وقراها ، توفي في مدينة الرملة عام **٢٨٢هـ** ، وقيل إن قبـره كان يستشفى به لمـدة ، إلا أنـه خرب أثنـاء العـدوان الصليبي(١) ، وهذا وهم من الأوهام يتعارض مع القدرة الإلٰهية .

٩ ـ سعيد بن تركـان البغدادي الصوفي ، استوطن الرملة ومات بها وكان هو وأخوه علي من مشايخ بغداد وكان من أقران أبي العباس بن عطاء وغيره(٢) .

١٠ـ ابراهيم بن ميمون أحد شيوخ الصوفية من مشايخ بغداد نزل الرملة ومات بها وكان من أصحاب الجنيد في بغداد(٣) .

١١ـ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن الفرج الصوفي المعروف بابن الفرجي ينسب إلى جده الأعلى وهو من أهل سر من رأى ، أخرج ماله وأنفقه في طلب العلم وعلى الفقراء والنساك والصوفية وكان له موضع من الفقه والعلم ومعرفة الحـديث صحب أئمـة الصـوفية أبـا تراب وذا النـون المصـري وحـارثـاً المحـاسبي ، نزل الرملة وكان له مجلس وعظ يعظ الناس على اختلاف طبقاتهم في المسجد ، وظل يعظ حتى آتاه أجله عام **٢٩٠هـ** ، وله مؤلفات قيمة منها: «كتاب الورع» ، «صفة المريدين» ، وغيرها من كتب التصوف(٤) .

وحركة التصوف والتقشف التي ظهرت في الرملة لم تقتصر على العنصر

---

(١) الحنبلي : الأنس الجليل ١/ ٢٩٦ .

(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١١/ ٣٥٦ ، ٩/ ١٠٨ .

ابن عساكر: تهذيب تاريخه ٦/ ١٢٢ .

السلمي : طبقات الصوفية ١٤٨ حاشية «د» .

(٣) الخطيب : تاريخ بغداد ١٨٩١ .

(٤) السلمي : طبقات الصوفية ص١٤٦ .

أمينة البيطار: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في بلاد الشام ص٣٧٠ تقول: مات ابن الفرخي عام ٢٧١هـ دون ذكر المصدر .

=

البشري المذكر ، بل ظهرت هناك عابدات متقشفات ملن إلى الزهد والورع وعمل الخير واشتهرن كراماتهن ومنهن :

١ ـ أسماء الرملية وقد نقلت عن العابدة المعاصرة لها في الرملة البيضا بنت المفضل عابدة الشام وسألتها هل لمحب الله دلائل يعرف بها ؟ فقالت : يا أختي والمحب للسيد يخفى لو جهد المحب للسيد أن يخفى ما خفى ، فقالت لها أسماء صفي لي . قالت: لو رأيت المحب لله لرأيت عجباً عجيبا ، من والدة ما يقع من الأرض طائر مستوحش أنسه في الوحدة قد منع الراحة ، طعامه الحب عند الجوع ، وشرابه الحب عند الظمأ ، لا يمل من طول خدمته لله تعالى[1] .

٢ ـ البيضا بنت المفضل وكانت معاصرة لأسماء الرملية العابدة الزاهدة وكانت هناك علاقة بين أسماء والبيضا بنت المفضل[2] .

٣ ـ آمنة الرملية ، عابدة زاهدة من عابدات الرملة ، وقد ذكر ابن الجوزي رحلتها إلى بغداد لزيارة بشر بن الحارث لتعوده في مرضه ، وبينما كانت في زيارتها تلك دخل احمد بن حنبل ليزور بشر بن الحارث هو الآخر ، فلما رآها سأل عنها ، فقيل له إنها آمنة الرملية ، وكان قد سمع بها ، فقال ابن حنبل لبشر: سلها تدعو لنا ، فقالت: اللهم إن بشراً بن الحارث وأحمد ابن حنبل يستجيرانك من النار فأجرهما ، وقال احمد عندما انصرفت في الليل طرحت عليّ رقعة فيها بسم الله الرحمن الرحيم ـ قد فعلنا ولدينا مزيد ، ورغم المبالغة في هذا إلا أن الحادثة تصور لنا اعتقاد المجتمع بكرامات العباد والمتصوفة[3] .

= الزركلي : الاعلام ٨/ ص١٦ طبعة ثالثة .

(١) ابن الجوزي : صفة الصفوة ٤/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦ .
عمر كحالة : أعلام النساء ١/ ٧٤ .

(٢) ابن الجوزي : صفة الصفوة ٤/ ٣٠٥ .

(٣) ابن الجوزي : صفة الصفوة ٤/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦ .
عمر كحالة : أعلام النساء ١/ ١٠ .

علوم اللغة والشعر :

ظهر عدد من الشعراء والمهتمين باللغة وفروعها في مدينة الرملة ونواحيها جسّدوا بمقدار ما استطاعوا معاني الشعر والأدب في وجدان المجتمع وأعطوا صورة واضحة لمجتمعهم في الرملة وطرقوا ما استطاعوا من ضروب الشعر وصنوفه ، ولعل هجرة الشعراء إلى مركز الإدارة سواء في بغداد أو القاهرة لأنهما مسكن الحكومة المركزية جعل سوق الأدب والشعر غير مزدهرة في الرملة التي كانت عبر تاريخها إما تابعة لبغداد أو القاهرة ، فالشاعر والأديب لم يزدهرا إلا في ظل تشجيع رجال السلطة المركزية من حكام وأمراء لذا فمكانهم في الغالب في العواصم الكبرى ومراكز الحكم ، وحتى لو مرا في العواصم الصغيرة لمدح أمير أو والٍ فسرعان ما يعودون إلى العاصمة الكبرى حيث العطاء أكثر والربح أوفر .

ومع ذلك كله فقد ظهر في الرملة عدد ممن اهتموا بالدراسات اللغوية والأدبية خاصة وأن الرملة معبر بشري ما بين العراق والشام من ناحية ومصر والمغرب من ناحية أخرى ، ولكنهم لم يطيلوا المكث في المدينة فما هي إلا محطة استراحة لهم طال الزمن أم قصر ، وقد وجدت شخصيات أبدعت في ميدان الشعر وحملت اسم الرملة وهاجرت منها وعلى رأس هؤلاء كشاجم الشاعر الرملي الذي اختص بالحمدانيين واشتهر في ميدان الشعر والأدب ، وعلى العموم فهناك عدد من الشخصيات اشتهروا في هذا الميدان غيره نذكر منهم :

١ ـ فاتك المجنون ، أبو شجاع الرومي وقد أخذ هذا هو وأخته من موضع قرب ذي الكلاع وتعلم الخط في فلسطين حيث كان هناك جماعة اشتهرت بتجويد الخط الحسن ، وقد أخذه محمد بن طغج الإخشيد من سيده في الرملة ابان كان واليها واختصه بنفسه غصباً بلا ثمن ثم أطلق سراحه فيما بعد ، ولما توفي الإخشيد رافق فاتك كافور الإخشيدي الذي هو من طبقته في المجتمع والذي كان قد تولى الوصاية على أولاد سيده الإخشيد ، فأراد

فاتك أن يتحرر من سلطة كافور بعد ذلك عندما مال إلى التسلط والتحكم وبدأ ينزع إلى الولاية فخرج إلى الفيوم إلا أنه تركها لفساد هوائها ووخامتها آنذاك ، حيث أصيب بالمرض وعاد إلى مصر ، وكان كافور والمتنبي موجودين فيها فاتصل فاتك بالمتنبي سراً خوفاً من بطش كافور الذي يخشاه وأهدى المتنبي ألف دينار ، فاستأذن هذا كافوراً في مدح فاتك ، فأذن له ومدحه بقصيدة لا تزال ترن في أذن الزمن ، وذلك في جمادى الآخرة عام ٣٤٨هـ[١] ، وتوفي فاتك بعدها بسنتين حوالي ٣٥٠هـ فرثاه المتنبي بقصيدة أخرى وكان قد ترك مصر وعاد إلى جهات الرملة والشام غاضباً على كافور .

٢ ـ أبو الحسن علي بن محمد التهامي الذي أقام بالرملة وتولى منصب الخطابة فيها ، وكان أبو الحسن رقيق المعاني ذا احساس مرهف طرق عدة أبواب وضروب من الشعر وأروع شعره قصيدة قالها في رثاء ولد له توفي في ريعان الشباب ، وميعة الصبا ، فأثر موته في نفسه فصاغ حزنه ألحاناً حزينة على ولده ، ومنها :

أبا الفضل طال الليل أم خانني صبري
فخيِّل لي أن الكواكب لا تسري

أرى الرملة البيضاء بعدك أظلمت
فدهري ليل ليس يفضي إلى فجر

وما ذاك إلا أن فيه وديعة
أبى رَبُّها أن تُسترد إلى الحشر

بنفسي هلال كنت أرجو تمامه
فعاجله المقدار في غرَّة الشهر

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤ / ٢١ والقصيدة طويلة ومنها :

لا خيل عندك تهديها ولا مال ... فَلْيُسعد النطق ان لم يُسعد الحال
كفاتك ودخول الكاف منقصة ... كالشمس قلت وما للشمس أمثال

وله قصيدة أخرى في هذا المعنى استهلها :

حكم المنية في البرية جاري
ما هذه الدنيا بدار قرار[1]

ولا شك أن هذه الأبيات تحمل في طياتها معاني سامية تنم عن ذوق أدبي رفيع وتدل على خيال خصب حركته الفاجعة .

٣ ـ محمد بن احمد بن سعيد المصري الذي شهد أواخر الدولة الإخشيدية وأوائل الدولة الفاطمية في مصر ، وقد طرق جميع فنون الشعر المعروفة تقريباً في عصره كالخمريات والغزل والمراثي والزهد وغيرها .

خرج محمد من مصر إلى الشام وتنقل بين مدنها وقراها ودخل الرملة أيام عبيدالله بن طغج الإخشيدي ، ومدح الوزير يعقوب بن كلس والعزيز الفاطمي[2] ، ولعله كان يحبذ حكم الفاطميين على الإخشيديين ، فلما دخل الرملة لم يُسَر كثيراً ، ولم تسعفنا المصادر بكثير من شعره أثناء اقامته في الرملة ، وانما سقناه هنا لأنه أقام في الرملة ولو لمدة بسيطة .

٤ ـ أبو المعالي المنجم ، محمد بن مكي بن محمد بن ابراهيم الداري الرملي الشاعر ، روى عنه أبو عبدالله الحراني في كتابه الموسوم بـ «روضة الأدباء» وكتب عنه كذلك أبو الوفاء احمد بن محمد بن الحصين الكاتب ، ومن شعره :

---

(١) الحموي : معجم البلدان ٣/ ٧٠ ، الزركلي : الأعلام ٥/ ١٤٥ طبعة ثالثة .
فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي مجلد/٢ تعريب عرفة مصطفى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ٤/ ٩ .
(٢) القفطي : المحمدون من الشعراء ، دار اليمامة ، الرياض ـ السعودية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م ، ص١٥٩/ ١٦٠ .

ليس للعــدل رجــعــة وقـفــول

وولاة الأمــور عنــه عُدول

من قضــاةٍ على النفــوس قضــاةٌ

وعــدول عن كل خير عُدول[1]

٥ ـ احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس أبو جعفر النحوي المصري ، سمع في مصر وفي الرملة عبدالله بن ابراهيم البغدادي ، ورحل إلى بغداد وسمع بهـا وفي مدن أخـرى وعاد إلى مصر واشتغل بالتصنيف فصنف أكثر من خمسين كتاباً منها : الكافي في علم العربية ، وشرح المعلقات ، ولا شك في أن احمد بن محمد بن اسماعيل قد استفاد مما وجده عند علماء الرملة وأدبائها شيئاً كثيراً ، لأن الأديب مرآة تنعكس خلالها صورة بيئته ومجتمعه ، وظل احمد بن محمد يواصل اهتماماته اللغوية والأدبية حتى وفاته عام ٣٣٨هـ[2] .

٦ ـ احمـد بن مروان المؤدب أبـو مسهـر الـرملي ، وقد اشتهر أيام المتوكل العباسي ، وكان عالماً في اللغة والأدب وقد نظم القصائد الجيدة ومن جيد شعره :

غيث ولـيث فغيث حين تســألــه

عرفـا وليث لدى الهيجـاء ضرغام

يحيا الأنام به في الجدب أن قحطوا

جوداً وتشفى به يوم الـوغى الهـام

حالان ضدان مجمـوعـان فيه فما

ينـفــك بينـهــمــا بُؤس وانـعـــام

---

(١) الصفدي : الوافي بالوفيات ٥/٥٧ وهذا الشاعر متأخر فقد ولد عام ٤٨٧هـ أواخر الفترة التي نكتب عنها وذكرناه هنا لما له من صلة بالبحث .

(٢) الدمياطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ص ٧٢/٧٣ .

كالمـزن تجتمع الحالات فيه معاً
ماءٌ ونـار وأرهـام وأضـرام[1]

٧ ـ ومنصور الفقيه أبو الحسن ابن اسماعيل بن عمر التميمي الضرير المصري الشـافعي وقـد تنقـل من بلد لآخـر ، وتفقه للشافعي وأصبح فقيهاً لغوياً شاعراً ، أقام ببغداد مدة وأقام بالرملة في فلسطين مدة ، ورحل إلى مصر وتوفي بها **٣٠٦هـ** أو **٣٠٤هـ**[2] .

---

(١) الحموي : معجم الأدباء ، دار المستشرق بيروت ٥/٦٢ .
الصفدي : الوافي بالوفيات ٨/ ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٢) فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي مجلد/٢ جـ/٥ ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ، ص٤ .

الطب في الرملة :

يبدو أن الحركة الطبية في الرملة سايرت التقدم العلمي الذي شهده العالم الإسلامي بشكل عام ، وكان بها عدد من الأطباء حالها حال المدن الإسلامية الأخرى وخير من يمثل هذه الناحية في الرملة وجهاتها الطبيب الصيدلي النباتي محمد بن احمد بن سعيد التميمي ، وكان جده سعيد طبيباً من بيت المقدس فقرأ عليه الطب واستفاد من تجاربه ورحل إلى عدة بلاد طلباً للطب فحصل على معلومات وافية وعلم غزير وأتقن ما تعلمه ، وكان مغرماً بتركيب الأدوية بجلد وشغف شديدين ، وهو الذي أكمل الترياق الفاروق بما زاد عليه من المفردات ، وقد صنف عدة مصنفات في الترياق[١] ، وأخذ عن الحكيم الراهب الأنبا زخريا في هذا المجال كثيراً من تجاربه .

وجاء في كتاب التميمي «مادة البقاء» ذكر سفوف الرجفان الحادث عن الحرة السوداء المحترقة واعترف بأنه نقله عن الأنبا زخريا المقدسي أستاذه في هذا الفن[٢] ، ثم ذكر التميمي دور الوهم وأثره في احداث الألم للإنسان حيث يستولي الوهم على جل تفكيره فتسوء حالته النفسية ، وأورد كذلك قصة توضح هذا المفهوم وقال إن والده قد سكر يوماً في خان من الخانات فوقع من علو ولم يشعر بالألم ، وفي صباح اليوم التالي أخبره صاحب الخان بما حصل له وأراه المكان الذي سقط من فوقه فشعر بالألم الشديد في أضلاعه التي سقط عليها[٣] .

ولا شك في أن التميمي قد أوجد أنواعاً من الترياق تختلف عن التي قبلها ومنها أنه ألف ترياقاً في القدس سماه «مخلص النفوس» وقال فيه : «هذا ترياق ألفته بالقدس وأحكمت تركيبه ، مختصر نافع ، دافع لضرر السمومات القاتلة

(١) القفطي : تاريخ الحكماء ص٧٤ ، ابن أبي أصيبعة ٣/ ١٤٤ ، دار الثقافة ـ بيروت .
(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ٢/ ٨١ ، ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق نفسه .
(٣) الصفدي : المصدر السابق نفسه ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٣/ ١٤٥ .

المشروبة والمصبوبة في الأبدان بلسع ذوات السم من الأفاعي والثعابين وأنواع الحيات المهلكة وسم العقارب الجرارات وغيرها ، وذوات الأربع وأربعون رجلاً ، ومن لدغ الرتيلا والغطايات مجرب ليس له مثيل ، ثم ساق مفرداته وصورة تركيبه في كتابه المسمى «مادة البقاء»(١) .

وهذا يدلنا على معرفة التميمي الأكيدة بأسرار العقاقير وطريقة صنعها ، كما كان يعرف أسرار السفوف وأنه يتبع الطريقة العلمية حيث كان يجرب العقار قبل تعميم استعماله ، ثم سبق ما نراه اليوم من وضع نسب التراكيب للعقار ، وباختصار سلك المنهج العلمي التجريبي المتبع حالياً ، ثم أتقن التميمي صنع الجوارشن ومنه جوارشن صنَّفَه أثناء وجوده في مصر وركبه وسماه «مفتاح السرور من كل الهموم ، ومفرج النفس» ألّفه لبعض إخوانه في مصر ، وكالعادة ذكر المفردات التي تدخل في تركيبه بما يشبه الصناعة الحديثة للأدوية الآن من وضع العناصر ونسبها التي يتركب منها الدواء ، ويدلنا عمله هذا على مقدار تقدم صناعة الأدوية الطبية آنذاك(٢) .

وقد عاش التميمي في مصر عام ٣٧٠هـ تقريبا ، وصنف عدة مصنفات غير التي ذكرناها سابقاً ، وقد صنع عدة أنواع من الأدوية والعقاقير كالمعاجين واللخالخ وكثيراً من الأدوية المفردة والمركبة .

وقد اختص التميمي بالحسن بن عبيدالله بن طغج المسيطر على الأمور في الرملة والشام ، ومن هنا ذكرناه كزعيم للحركة الطبية في الرملة وضواحيها وتوابعها(٣) ، ثم دخل التميمي في خدمة الفاطميين وصحب ابن كلس وألف له كتاباً قيماً أشرنا إليه قبلاً ، والمعروف «بمادة البقاء» وهو في عدة مجلدات ، ولم

---

(١) الصفدي : المصدر السابق نفسه ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٣/ ١٤٦ .
(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٣/ ١٤٦ .
(٣) القفطي : أخبار الحكماء ص ٧٤ .

يترك في القاهرة المعريه طبيباً لم يلتقه ويستفيد منه ، وكان يجادل الأطباء ويتباحث معهم للوصول إلى الحقيقة مبيناً لهم وجه الحق بأسلوب علمي رصين وبنفس لا تعرف الملل ولا الكلل[1] .

ومن مؤلفات التميمي الهامة رسالته إلى ابنه علي بن محمد في صفةالترياق الفاروق ووصف في هذه الرسالة كل ما يختص بطريقة الصناعة وما يخلط به من الأدوية الأخرى ، ونعت الأشجار التي يؤخذ منها وأوقات جمع المواد وكيفية تحضير العجينة وذكر منافعه وتجاربه في هذا المجال ، وكل هذا باسلوب علمي لا لُبْسَ فيه[2] .

وكتاب الترياق وهو غير الكتاب السابق استعرض فيه التميمي تكميل أدويته وتحرير منافعها ، وكتاب «مختصر في الترياق» ومقاله في ماهية الرمد وأنواعه وأسبابه وطرق علاجه ، وما إلى ذلك من أمور .

وبعد ، أفلا يحق لنا أن نطري الناحية الطبية في الرملة في شخص هذا الطبيب الفذ ، الذي مكث مدة طويلة في الرملة مع أميرها الحسن بن عبيدالله بن طغج الإخشيد والي الرملة الإخشيدي في زمنه ، ولا يستبعد أنه كان في الرملة قبل الحسن ومن الممكن أنه قد نشأت صحبة بينه وبين يعقوب بن كلس الذي كان وكيلاً للتجار في الرملة واستلم وزارة العزيز الفاطمي فيما بعد ، وقد اختص به التميمي وألف له وبمساعدة كتاب مادة البقاء .

---

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٣/ ١٤٦ .

الخاتمة

تعتبر الرملة أول مدينة إسلامية أقيمت في بلاد الشام وقد أراد سليمان بن عبدالملك اتخاذها مقراً لخلافته نظراً لارتباطه بأهلها الذين شهدوا أيام ولايته على فلسطين ، ولكن سليمان اقتضته الظروف أن يعسكر في مرج دابق ، شمال الشام ليشرف على العمليات الحربية ضد الوجود البيزنطي هناك فترك الرملة مؤقتاً وفي نفسه العودة إليها ولكن الأجل المحتوم لم يمهله فانتقل إلى جوار ربه بعد حكم قصير يقارب الثلاث سنوات .

وقد اهتم الخلفاء الأمويون والعباسيون بالرملة اهتماماً كبيراً لأهمية موقعها على طريق الشام ـ مصر فاهتموا بالمنشآت العمرانية وبنهضة المدينة الشاملة باستمرار حتى أن المعتصم خصص مبلغاً ثابتاً من المال ينفق على نهضة المدينة يقتطع من ميزانية الإقليم الفلسطيني ، وقد أبنت هذه الأهمية بأسلوب علمي رصين ما أمكنني ذلك وكشفت عن اهتمامات العباسيين بالرملة خصوصاً وأن العباسيين قد اتخذوا سياسة الإهمال إلى حد بعيد لأمور الشام ، لأنهم اعتبروا أهلها أحفاد الأمويين الساعين إلى إعادة ملكهم مما جعل سياستهم تأخذ طابع العنف واللامبالاة والإهمال لشؤون الإقليم بشكل عام .

ثم أبرزت أهمية الرملة بالنسبة لكل من الطولونيين والإخشيديين الذين استقلوا في مصر وسيطروا على الشام لأنها تعتبر الحلقة المتينة لربط الشام بمصر ثم أبرزت أهميتها بشكل أوضح أيام الفاطميين الذين احتلوا مصر

والشام ، لأنها تعتبر بالنسبة لهم إحدى المراكز الهامة على الطريق ما بين مصر والشام والعراق ، وتزداد هذه الأهمية إذا ما عرفنا أن هؤلاء كانوا يسعون وبجد إلى الإطاحة بعرش الخلافة العباسية في بغداد .

لذا ، حرص هؤلاء على الاحتفاظ بسيطرتهم الكاملة على الرملة باستمرار لأهميتها في تنفيذ مخططهم في تدمير الخلافة العباسية ، ثم أصبحت هذه المدينة مثار نزاع ما بين الفاطميين والقوى المحلية المحيطة بمنطقتها كآل الجراح والذين حاولوا الاستقلال وإقامة ملك لهم وقاموا بمحاولتين لتثبيت ملكهم ، الأولى : تجلت بالعمل على إقامة خلافة أبي الفتوح الشريف في مكة وفي الرملة عام ٤٠١ ـ ٤٠٣هـ . والثانية : أسفرت عن إقامة حلف عربي ما بين أمراء دمشق وحلب وتقسيم بلاد الشام إلى ثلاثة أقسام مراكزها حلب ودمشق والرملة يسيطر عليها بنو مرداس في حلب وبنو سنان بن البناء في دمشق وبنو الجراح في الرملة وذلك عام ٤١٤هـ .

ولكن هاتين المحاولتين باءتا بالفشل ، وقد عالجت أسباب فشلهما بشكل واضح ثم أبرزت أهمية الرملة أيام السلاجقة وكيف أنهم بعد أن هزموا البيزنطيين في ملاذكرد أرسلوا جيوشهم بقيادة اتسز بن أوق الذي سيطر على الرملة وبيت المقدس وهاجم مصر ولكنه فشل في محاولة للإطاحة بالوجود الفاطمي ، وأظهرت جزءاً من الصراع الفاطمي السلجوقي حتى الاحتلال الصليبي الغاشم لفلسطين ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م .

هذا وقد عرجت على نظام القضاء والحكم في المدينة وأبرزت دور ولاتها وأهميتهم خاصة وأنها منطقة متوسطة ومهمة لمن يسيطر على بلاد الشام ومصر ، ثم أظهرت بشيء من التفصيل اهتمام الأمويين والعباسيين بالمدينة ومحافظتهم على منشآتها العمرانية ثم أبرزت ما طرأ على هذه

المنشآت خلال الفترة مجال البحث .

وقد أبرزت حياة السكان وطبقاتهم الدينية وعاداتهم وتقاليدهم وأعيادهم بشيء من التفصيل حسبما تيسّر لنا من المصادر والمراجع .

وأخيراً ، فقد أبرزت الناحية العلمية أيضاً بشيء من التفصيل ، وقسمت العلماء الذين انتسبوا إلى الرملة وأقاموا فيها أو رحلوا عنها أو قدموا إليها بحسب ما اشتهروا به من علوم ، فذكرت العلوم الدينية كالحديث والفقه ، ثم علوم الأدب واللغة وعلوم الطب .

وقد زودت البحث بجداول تفصيلية وصور توضيحية ، وبقائمة من المصادر والمراجع وبفهارس تفصيلية للبحث .

وبعد ، ألا يكفي الرملة أنها قامت بدورها كاملاً أيام الأمويين والعباسيين والطولونيين والإخشيديين والفاطميين والسلاجقة ، حتى الاحتلال الصليبي الغاشم ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م ؟ .



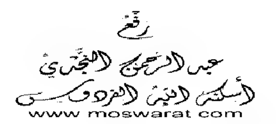
الجـــداول

جدول « ١ »

الخلفاء الأمويون

معاوية بن أبي سفيان	٤١/ ٦٦١	
يزيد بن معاوية	٦٠/ ٦٨٠	(رجـــب)
معاوية الثاني بن يزيد	٦٤/ ٦٨٣	(ربيع أول)
مروان بن الحكم	٦٤/ ٦٨٣	(جمادى الأولى)
عبدالملك بن مروان	٦٥/ ٦٨٥	(رمضان)
الوليد بن عبدالملك	٨٦/ ٧٠٥	(شوال)
سليمان بن عبدالملك	٩٦/ ٧١٥	(جمادى الآخرة)
عمر بن عبدالعزيز	٩٩/ ٧١٧	(صفـــر)
يزيد بن عبدالملك	١٠١/ ٧٢٠	(رجـــب)
هشام بن عبدالملك	١٠٥/ ٧٢٤	(شعبان)
الوليد الثاني بن يزيد بن عبدالملك	١٢٥/ ٧٤٣	(ربيع أول)
يزيد الثالث بن الوليد بن عبدالملك	١٢٦/ ٧٤٤	(جمادى الثانية)
ابراهيم بن الوليد بن عبدالملك	١٢٦/ ٧٤٤	(ذو الحجة)
مروان بن محمد بن مروان	١٢٧/ ٧٤٥	(ربيع أول)

انتهت خلافته في ربيع أول وتوفي في ذي الحجة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م



جدول « ٢ »

الخلفاء العباسيون في العصر العباسي الأول

أبو العباس ، عبدالله السفاح	١٣٢/ ٧٥٠	(ربيع أول)
أبو جعفر عبدالله المنصور	١٣٦/ ٧٥٤	(ذو الحجة)
أبو عبدالله محمد المهدي	١٥٨/ ٧٧٥	(ذو الحجة)
أبو محمد موسى الهادي	١٦٩/ ٧٨٥	(المحـــرم)
أبو جعفر هارون الرشيد	١٧٠/ ٧٨٦	(ربيع أول أو ثاني)
أبو موسى محمد الأمين	١٩٣/ ٨٠٩	(جمادى الآخرة)
أبو جعفر عبدالله المأمون	١٩٨/ ٨١٣	(محـــرم)
أبو اسحق محمد المعتصم بالله	٢١٨/ ٨٣٣	(رجـــب)
أبو جعفر هارون الواثق بالله	٢٢٧/ ٨٤٢	(ربيع أول)



جدول « ٣ »

الخلفاء العباسيون في العصر العباسي الثاني

٢٣٢-٤٤٧/ ٨٤٧-١٠٥٥

أبو الفضل جعفر المتوكل على الله	٢٣٢/ ٨٤٧	(ذو الحجة)
أبو جعفر محمد المنتصر بالله	٢٤٧/ ٨٦١	(شـــوال)
أبو العباس احمد المستعين بالله	٢٤٨/ ٨٦٢	(ربيع ثاني)
أبو عبدالله محمد المعتز بالله	٢٥١/ ٨٦٦	(ذو الحجة)
أبو اسحق محمد المهتدي بالله	٢٥٥/ ٨٦٩	(رجـــب)
أبو العباس احمد المعتمد على الله	٢٥٦/ ٨٧٠	(رجـــب)
أبو العباس احمد المعتضد بالله	٢٧٩/ ٨٩٢	(رجـــب)
أبو محمد علي المكتفي بالله	٢٨٩/ ٩٠٢	(ربيع آخر)
أبو الفضل جعفر المقتدر بالله	٢٩٥/ ٩٠٨	(ذو القعدة)
أبو منصور جعفر القاهر بالله	٣٢٠/ ٩٣٢	(شـــوال)
أبو العباس احمد الراضي بالله	٣٢٢/ ٩٣٤	(جمادى الأولى)
أبو إسحق إبراهيم المتقي لله	٣٢٩/ ٩٤٠	(ربيع أول)
أبو العباس عبدالله المستكفي بالله	٣٣٣/ ٩٤٤	(المحـــرم)
أبو القاسم الفضل المطيع لله	٣٣٤/ ٩٤٦	(جمادى الآخرة)
أبو الفضل عبدالكريم الطايع لله	٣٦٣/ ٩٧٤	(ذو القعدة)
أبو العباس احمد القادر بالله	٣٨١/ ٩٩١	(رمضـــان)
أبو جعفر عبدالله القائم بأمر الله	٤٢٢/ ١٠٣١	(ذو الحجة)
أبو جعفر عبدالله المقتدي بأمر الله	٤٦٧/ ١٠٧٥	(شـــوال)
أبو العباس احمد المستظهر بالله	٤٨٧/ ١٠٩٤	(محـــرم)

وسقطت الرملة في زمنه بيد الصليبيين ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م

جدول « ٤ »

آل طولون (حكام مصر والشام)

احمد بن طولون	٢٥٤ / ٨٦٨م
خمارويه بن احمد بن طولون	٢٧٠ / ٨٨٣م
جيش أبو العساكر بن خمارويه	٢٨٢ / ٨٩٥م
هارون بن خمارويه	٢٨٣ / ٨٩٦م
شيبان بن احمد بن طولون	٢٩٢ / ٩٠٤-٩٠٥

وانقرضت الأسرة على يد العباسيين

لين بول . طبقات سلاطين الإسلام

تحقيق علي البصري ١٣٨٨/ ١٩٦٨م

ص ٦٦

جدول « ٥ »

الإخشيديون

محمد بن طغج الإخشيد	٣٢٣/ ٩٣٥م
أبوالقاسم أونوجور بن محمد بن طغج	٣٣٤/٩٤٦م
أبوالحسن علي بن الإخشيد	٣٤٩/ ٩٦٠م
أبوالمسك كافور	٣٥٥/ ٩٦٦م
أبو الفوارس أحمد بن علي	٣٥٧/٣٥٨ / ٩٦٨/٩٦٩ م

لين بول . طبقات سلاطين الإسلام

ص ٦٧

جدول « ٦ »

الخلفاء الفاطميون

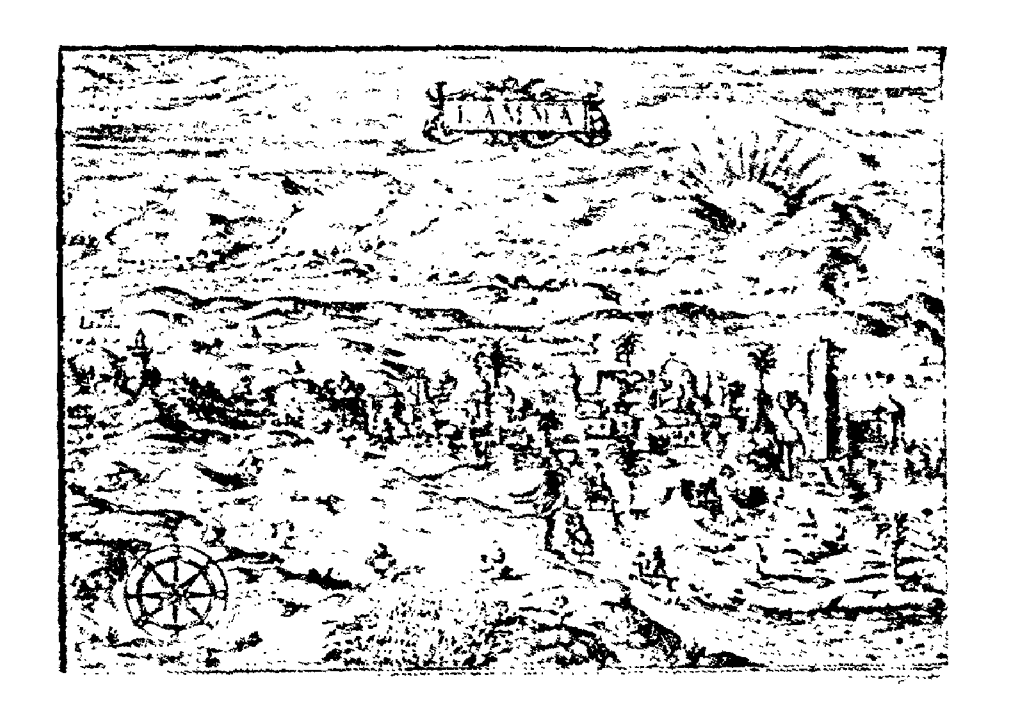
أبو محمد عبدالله المهدي	٩٢٧/ ٩٠٩م	
أبو القاسم محمد القائم	٣٢٢/ ٩٣٤م	
أبو طاهر اسماعيل المنصور	٣٣٤/ ٩٤٥م	
أبو تميم معد المعز	٣٤١/ ٩٥٢م	(مصر + الشام)
أبو منصور نزار العزيز	٣٦٥/ ٩٧٥م	
أبو علي منصور ، الحاكم بأمر الله	٣٨٦/ ٩٩٦م	
أبو الحسن علي ، الظاهر	٤١١/ ١٠٢٠م	
أبو تميم المستنصر بالله	٤٢٧/ ١٠٣٥م	
أبو القاسم احمد المستغني بالله	٤٨٧/ ١٠٩٤م	

وقد سيطر الصليبيون في زمنه على أجزاء واسعة من بلاد الشام ومنها القدس والرملة

لين بول . طبقات سلاطين الإسلام

ص ٦٩

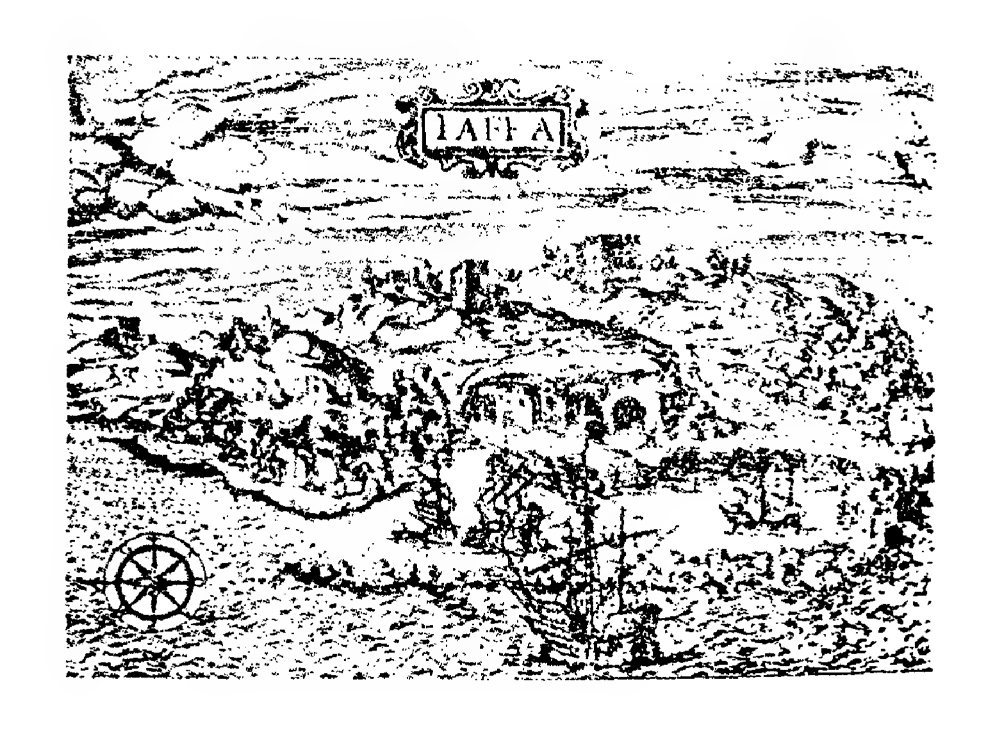
الصـــور



الرملة

صورة قديمة للرملة

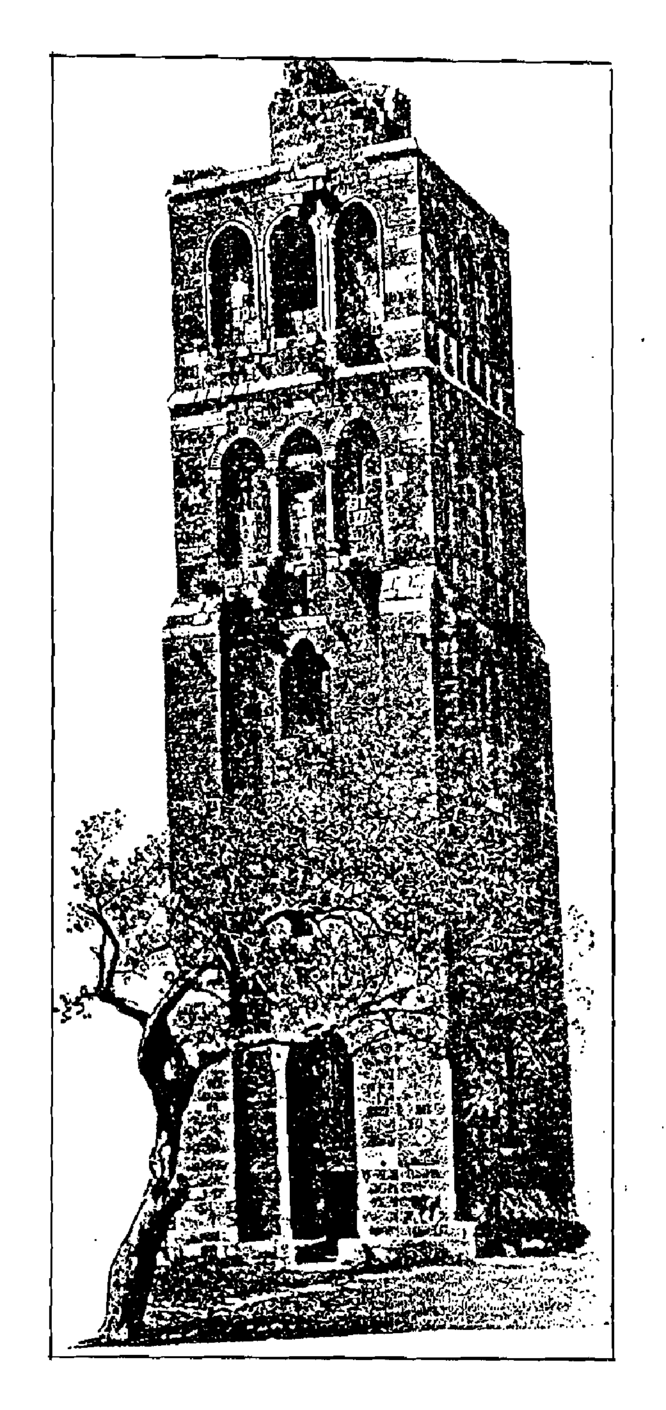
عن: تاريخ الحروب الصليبية لرنسيمان جـ/١ ص ٦٤-٦٥



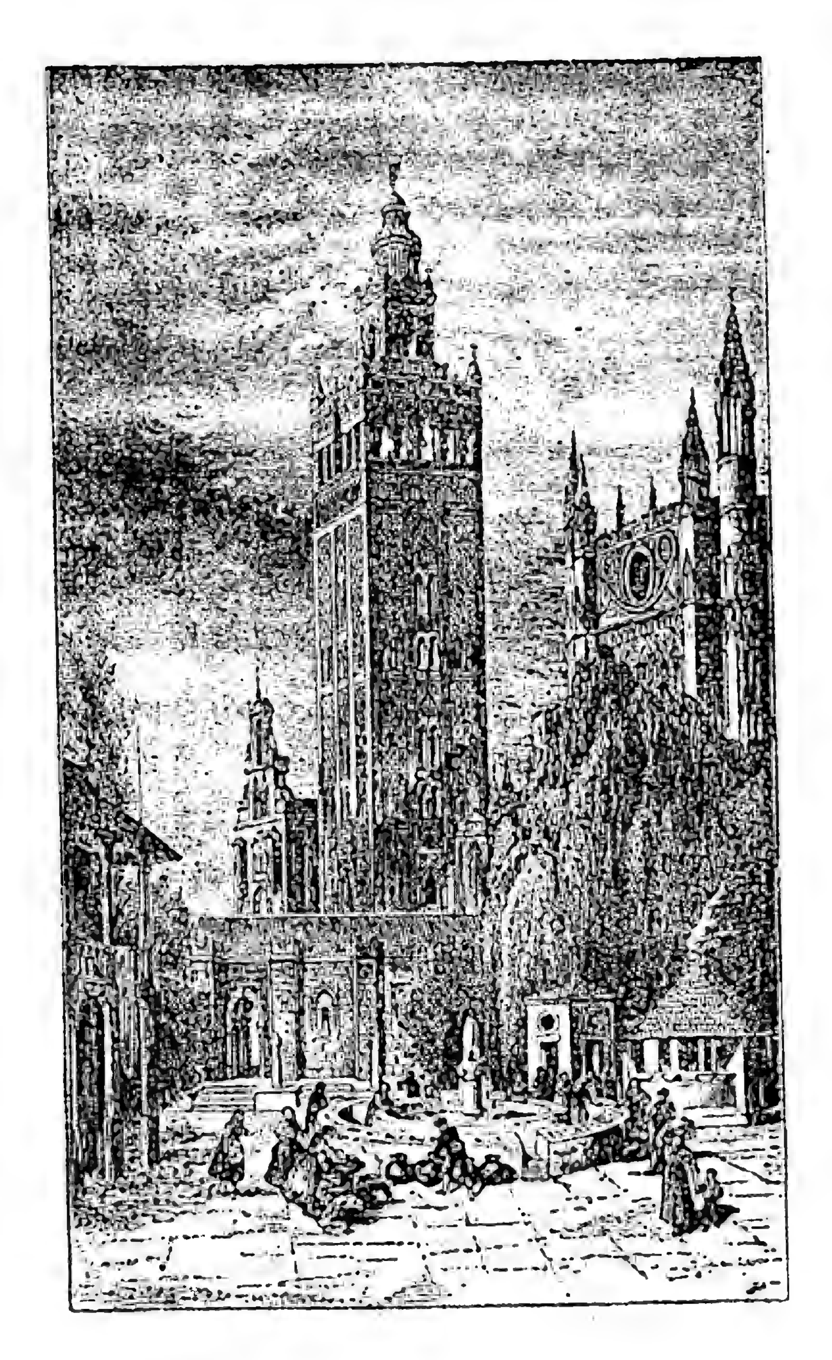
ميناء يافا (القديم)

ميناء الرملة وفرضة فلسطين على البحر الأبيض المتوسط

عن: تاريخ الحروب الصليبية لرنسيمان جـ/١ ص ٦٤-٦٥



برج الرملة (صورة فوتوغرافية)
جوستاف لوبون: حضارة العرب ص ٢١٢



برج لا جيرالده (برج لعبة الهواء) في إشبيلية
عن جوستاف لوبون: حضارة العرب ص ٣٤٥

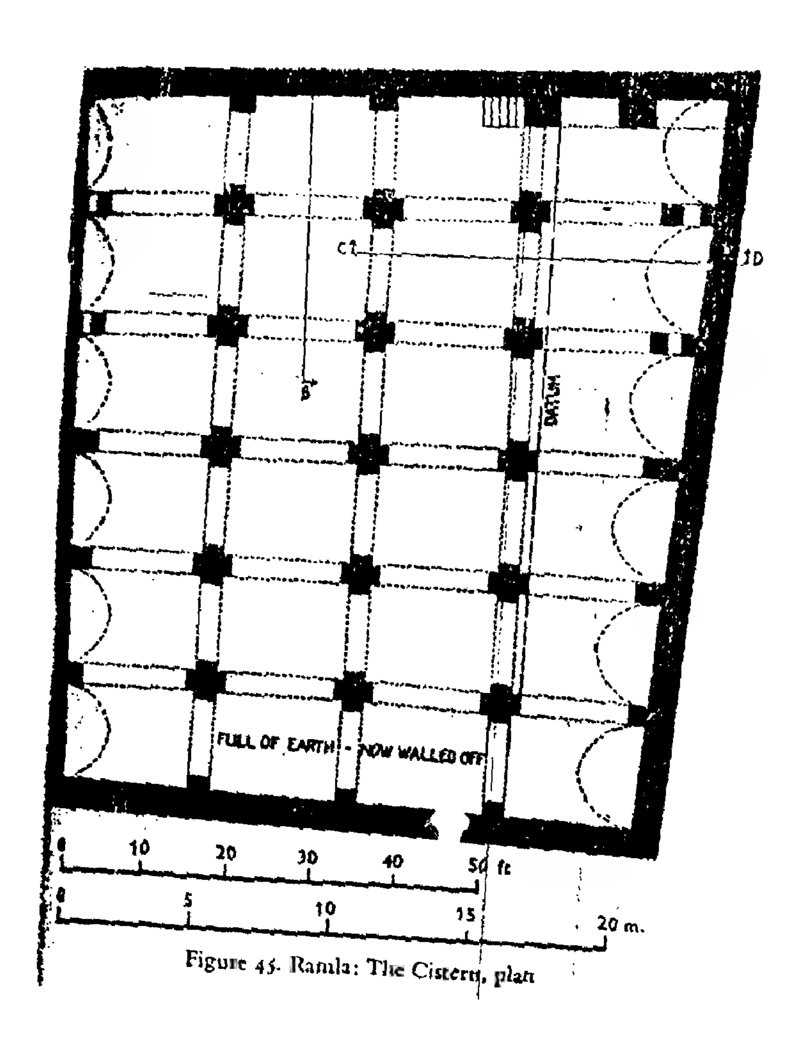
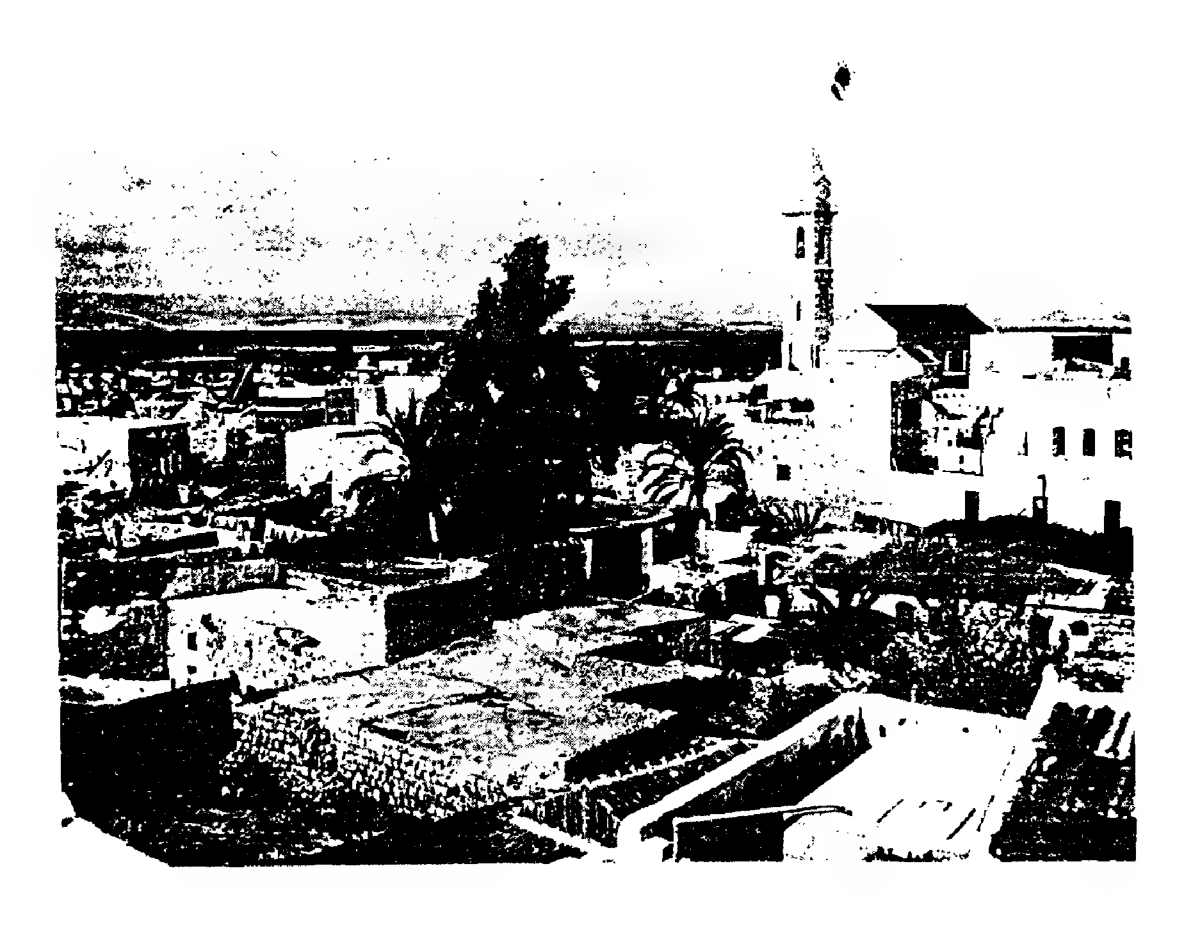


Figure 45. Ramla: The Cistern, plan

مخطط صهريج الرملة

Cruswell0 Ashort Account P. 22 q



صورة حديثة لمدينة الرملة المحتلة من قبل الصهاينة

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : المصـــادر:

(أ)

ابن الأبار (أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي) ، ت: ٦٥٨هـ.
(١) «الحلة السيراء» تحقيق حسين مؤنس . جزءان ، الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٦٣م .
ابن الأثير (عزالدين علي بن أبي الكرم محمد الجزري) ، ت: ٦٣٠هـ.
(٢) «الكامل في التاريخ» ١٣ جزء ، طبعة دار صادر بيروت ـ لبنان (١٩٦٥ ـ ١٩٦٧م) .
(٣) «اللباب في تهذيب الأنساب» ٣ أجزاء . بيروت ، دار صادر ـ لبنان
الادريسي (أبو عبدالله محمد بن محمد الحسني) ، ت: ٥٥٦هـ.
(٤) «نـزهـة المشتـاق في اختـراق الآفاق» طبع المعهد الشرقي في نابلي بايطاليا . مطبعة بريل روما في ٤ أجزاء ، ايطاليا .
الأزدي (زكريا بن محمد) ، ت: ٣٣٤هـ.
(٥) «تاريخ الموصل» جزء ثاني تحقيق علي حبيبة . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مطابع شركة الإعلانات الشرقية ـ القاهرة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .
الأسنوي (جمال الدين عبدالرحيم) ، ت: ٧٧٢هـ.
(٦) «طبقات الشافعية الصغرى» جزءان . تحقيق عبدالله الجبوري . رئاسة ديوان الأوقـاف بغـداد ط/١ مطبعة الارشاد . العراق ١٣٩٠ ـ ١٣٩١/ ١٩٧٠ ـ ١٩٧١م .
الأصبهاني (أبو نعيم احمد بن عبدالله) ، ت: ٤٣٠هـ.
(٧) «ذكر أخبار أصبهان» جزءان مطبعة بريل لايدن هولنده ١٩٣٤م .

الأصطخري (أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي) ، ت : ٣٥٠هـ .

(٨) «المسالك والممالك» تحقيق محمد جابر عبدالعال الحيني ، مراجعة محمد شفيق غربال . وزارة الثقافة والارشاد القومي ح . ع . م الادارة العامة للثقافة ـ نشر دار القلم/ القاهرة ١٣٨١/ ١٩٦١م .

ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبو العباس احمد بن القاسم السعدي الخزرجي) ، ت : ٦٦٨هـ .

(٩) «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» ٣ أجزاء . دار الثقافة بيروت ـ لبنان ١٩٧٨/ ١٩٧٩م .

الأنصاري (شمس الدين أبو عبدالله عن أبي طالب الأنصاري الدمشقي المعروف بشيخ الربوة) ، ت : ٧٢٧هـ .

(١٠) «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر» طبعة لايبزج باعتناء أوتوها ـ اسوتيز . نسخة مصورة بمكتبة المثنى بغداد ـ العراق ١٩٢٣م .

الأنطاكي (يحيى بن سعيد الأنطاكي) ، ت : ٤٥٨/ ١٠٦٦م .

(١١) «تاريخ الأنطاكي» صلة تاريخ ابن بطريق بذيل التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق لابن بطريق والمعروف بتاريخ أوتيخا .

(ب)

البخاري (أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري) ، ت : ٢٥٦هـ .

(١٢) «التاريخ الصغير» علق على الهوامش الشيخ أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، والشيخ محمد محيي الدين إلٰه أبادي ، إدارة ترجمان السنة بشيش محل رود ، لاهور باكستان نشر حاويد رياض ١٤٠٢/ ١٩٨٢م .

(١٣) «التاريخ الكبير» ٣ مجلدات ، المكتبة الإسلامية . طبع تحت مراقبة الدكتور محمد عبدالمعيد خان . ديار بكر تركيا .
بدران (عبدالقادر أفندي) ، ت: ١٣٤٦هـ.
(١٤) «تهذيب تاريخ ابن عساكر والمعروف بتاريخ دمشق» ٧ أجزاء طبعات مختلفة ، اعتناء احمد عبيد ، المكتبة العربية بدمشق ، نفقة خالد فارصولي وغيره ١٣٣١/ ١٣٥١هـ .
البستي (محمد بن حبان) ، ت: ٣٥٤هـ .
(١٥) «مشاهير علماء الأمصار» ، تصحيح فلايشهمر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٩/ ١٩٥٩م .
ابن بطريق (سعيد بن بطريق افتيشيوس والمعروف باوتيخا) ، ت: ٣١١/ ٩٢٩م .
(١٦) «التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق» ويليه تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ـ لبنان ١٩٠٩م .
ابن بطوطة (محمد بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي) ، ت: ٧٧٩هـ.
(١٧) «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» تهذيب احمد العوامري ومحمد احمد جاد المولى ، جزءان ، المطبعة الأميرية ـ ببولاق ، القاهرة ـ مصر ١٩٣٤م .
البلاذري (احمد بن يحيى بن جابر) ، ت: ٢٧٩هـ .
(١٨) «فتوح البلدان» تحقيق صلاح الدين المنجد ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ٣ أجزاء في ٣ مجلدات ١٩٥٧م .
(١٩) «أنساب الأشراف» تحقيق محمد حميدالله ، معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر جـ/١ .
البلوي (خالد بن عيسى) ، ت: بعد ٧٦٥هـ .

(٢٠) «تاج المفرق في تحلية علماء المشرق» جزءان ، تحقيق الحسن بن محمد السائح باشراف اللجنة المركزية المشتركة للتراث الإسلامي ونشره بين المغرب والإمارات العربية المتحدة (صندوق احياء التراث) .

البلوي (أبو محمد عبدالله بن محمد المديني) ، ت: بعد الثلاثين والثلاثماية الهجرية .

(٢١) «سيرة احمد بن طولون» تحقيق محمد كردعلي ، نشر المكتبة العربية بدمشق . مطبعة الترقي ، سوريا ١٣٥٨هـ .

البنداري (قوام الدين الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني) ، ت: ٦٤٢هـ .

(٢٢) «تاريخ دولة آل سلجوق» من انشاء عمادالدين الأصفهاني الكاتب المتوفى ٥٩٧هـ واختصار البنداري . مطبعة الموسوعات القاهرة ، شركة طبع الكتب العربية ١٣١٨/ ١٩٠٠م .

(ت)

ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن بن تغري بردي الأتابكي) ، ت: ٨٧٤هـ .

(٢٣) «النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة» ١٢ جزء ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية بمطابع كوستاتسو ماتش وشركاه وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ القاهرة ١٩٦٣م .

جـ/١٣ تحقيق فهيم شلتوت ـ الهيئة المصرية العامة . القاهرة ١٣٩٠/ ١٩٧٠م .

جـ/١٤ تحقيق جمال محرز وفهيم شلتوت ـ الهيئة المصرية العامة . القاهرة ١٣٩٢/ ١٩٧٢م .

جـ/١٥ تحقيق ابراهيم طرخان ، محمد مصطفى زيادة ، الهيئة المصرية

العامة . القاهرة ١٣٩٢ / ١٩٧٢م .
جـ/١٦ تحقيق جمـال الـدين الشيال فهيم شلتوت -. الهيئة المصرية العامة . القاهرة ١٣٩٢ / ١٩٧٢م .

(ج)

الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر) ، ت : ٢٥٥هـ .
(٢٤) «البيان والتبيين» ٤ أجزاء تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ط/٤ مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مكتبة الحضارة بالفجالة ١٩٧٥م .
الجهشياري (أبو عبدالله محمد بن عبدوس) ، ت : ٣٣١هـ/ ٩٤٣م .
(٢٥) «الـوزراء والكتـاب» تحقيق ابـراهيم الأبياري وعبـدالحفيظ شلبي ، مصطفى السقا ط/١ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٧/ ١٩٣٨م .
ابن الجوزي (أبو الفرج عبدالرحمن) ، ت : ٥٩٧هـ .
(٢٦) «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» ط/١ دائرة المعارف العثمانية ، ٦ أجزاء من القسم الثاني من الجزء الخامس وحتى الجزء العاشر ، حيدر أباد الدكن ـ الهند ١٣٥٧ / ١٣٥٩هـ .
(٢٧) «صفة الصفوة» ٤ أجزاء ط/٢ دار المعرفة . تحقيق محمود الفاخوري . بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

(ح)

ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم) ، ت ٤٥٦هـ .
(٢٨) «جمهرة أنساب العرب» مراجعة لجنة من العلماء باشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ط/١ بيروت ١٤٠٣ / ١٩٨٣م .
الحسيني (هداية الله أبو بكر) ، ت : ١٠١٤هـ .

(٢٩) «طبقات الشافعية» تحقيق عادل نويهض ، دار الآفاق . ط/١ بيروت ـ لبنان ١٩٧١م .
الحميري (محمد بن عبدالمنعم) ، ت: ٩٠٠هـ وقيل (٦١٠ أو ٧١٠هـ) .
(٣٠) «الروض المعطار في خبر الأقطار» تحقيق احسان عباس . مكتبة لبنان . دار القلم ـ بيروت ١٩٧٥م .
الحنبلي (القاضي أبو اليمن مجيرالدين) ، ت: ٩٢٧ أو ٩٢٨هـ .
(٣١) «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» جزءان ، مكتبة المحتسب ، توزيع دار الجيل بلبنان . الأردن ١٩٧٣م .
ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي) ، ت: ٣٦٧هـ .
(٣٢) «صورة الأرض» منشورات مكتبة الحياة . بيروت ـ لبنان .

(خ)

الخزرجي (صفي الدين احمد بن عبدالله) ، ت: ٩٢٣هـ .
(٣٣) «خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال» ، تحقيق محمود عبدالوهاب فايد . جزء ثاني . مكتبة القاهرة . مطبعة الفجالة ـ مصر ١٣٩١/ ١٩٧١م .
خسرو (أبو معين الدين ناصر خسرو القباديانى المروزي) ، ت: ٤٨١/ ١٠٨٨م .
(٣٤) «سفرنامة» رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري ، تعريب يحيى الخشاب . دار الكتاب الجديد ط/٢ بيروت ـ لبنان ١٩٧٠م .
«سفرنامة» طبعة الرياض ، ترجمة احمد خالد البدلي ، جامعة الملك سعود ، عمارة شؤون الطلاب ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣م .

الخطيب (احمد بن علي البغدادي) ، ت: ٤٦٣هـ .
(٣٥) «تاريخ بغداد» ١٤ جزء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان .
ابن خلدون (عبدالرحمن) ، ت: ٨٠٨هـ .
(٣٦) العبر وديوان المبتدأ والخبر» منشورات مؤسسة الأعلمي ٨ مجلدات ، بيروت ـ لبنان ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ، طبعة أخرى في بيروت في نفس السنة .
ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد) ، ت: ٦٨١هـ .
(٣٧) «وفيات الأعيان وأنبـاء أبنـاء الزمان» ، ٨ أجزاء تحقيق احسان عباس دار بيروت ـ لبنان ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢م .

(د)

الداوودي (شمس الدين) ، ت: ٩٤٥هـ .
(٣٨) «طبقـات المفسـرين» تحقيق علي عمـر . نشـر مكتبـة وهبه ، مطبعة الاستقلال الكبرى . القاهرة ـ مصر ١٣٩٢هـ .
دحلان (احمد بن زيني دحلان) ، ت:
(٣٩) «خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام» ط/١ المطبعة الخيرية . القاهرة ـ مصر ١٣٠٥هـ .
ابن الـدمياطي (احمـد بن ايبـك بن عبـدالله الحسني المعـروف بابن الدمياطي) ، ت: ٧٤٩هـ .
(٤٠) «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» وذيل تاريخ بغداد لابن النجار . تحقيق قيصر أبو فرح حيدر أباد الدكن . دائرة المعارف العثمانية ـ الهند .
الدميري «كمال الدين محمد بن موسى» ، ت: ٨٠٨هـ .
(٤١) «حياة الحيوان الكبـرى» مجلدان ، كتاب التحرير . شركة الإعلانات الشرقية . دار التحرير للنشر والطباعة . القاهرة ـ مصر ١٩٦٥ ـ

١٩٦٦م .
الدواداري (أبو بكر بن عبدالله بن ايبك) ، ت: ٧٣٦هـ .
(٤٢) «كنز الدرر وجامع الغرر» الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية . تحقيق صلاح الدين المنجد جـ/٦ . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . معهد الدراسات الإسلامية الألماني - القاهرة ١٣٨٠/ ١٩٦١م .

(ذ)

الذهبي (أبو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد الدمشقي) ، ت: ٧٤٨هـ .
(٤٣) «العبر في خبر من غبر» ٤ أجزاء . الأول والرابع: تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ١٩٦٠ - ١٩٦٣م ، مطبعة حكومة الكويت . والثاني والثالث: تحقيق فؤاد سيد ، دائرة المطبوعات والنشر ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٠ - ١٩٦١م .
(٤٤) «دول الإسلام» جزءان ، تحقيق فهيم شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٣٩٤ / ١٩٧٤م .
(٤٥) «تذكرة الحفاظ» طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد بالدكن ط/٣ في ٤ أجزاء مصورة عنها دار إحياء التراث العربي . بيروت - لبنان ١٣٧٧ / ١٩٥٨م .
(٤٦) «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار» جزءان ط/١ دار الكتب الحديثة ، مطابع الدار للتأليف ١٩٦٩م .
(٤٧) «سير أعلام النبلاء» تحقيق صلاح الدين المنجد ، معهد المخطوطات العربي جـ/١ دار المعارف بمصر ١٩٥٦م . وأما الجزء الثاني تحقيق ابراهيم الأبياري ، معهد المخطوطات . دار المعارف بمصر ١٩٥٧م .

والجـزء الثالث تحقيق محمد أسعد طلس ، معهد المخطوطات . دار المعارف بمصر .
«طبعة أخرى» ط/١ بإشراف شعيب الأرناؤوط وآخرون في ١٥ جزء . مؤسسة الرسالة . بيروت ـ لبنان ١٤٠٢ ـ ١٤٠٣/ ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣م .
«واعتمدت أكثر في البحث» .
(٤٨) «الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة» تحقيق عزت علي عيد عطية ومـوسى محمد علي الموسى . دار الكتب الحديثة . مطبعة دار التأليف بالمالية . القاهرة ـ مصر ١٣٩٢/ ١٩٧٢م .

(ز)

أبو زرعة (عبدالرحمن بن عمرو بن عبدالله بن صفوان النفري) ت: ٢٨١هـ.
(٤٩) «تاريخ أبي زرعة» جزءان ، تحقيق شكرالله بن نعمة الله القوجاني ، مطبعة المفيد ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ـ دمشق ١٩٨٠م .

(س)

السخاوي (شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن) ، ت: ٩٠٢هـ .
(٥٠) «التحفـة اللطيفـة في تاريخ المـدينـة الشـريفـة» جزءان . نشر أسعد طرابزوني الحسيني . مطبعة دار نشر الثقافة . القاهرة ـ مصر ١٣٩٩/ ١٩٧٩م .
السبكي (عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي) ، ت: ٧٧١هـ .
(٥١) «طبقات الشافعية الكبرى» تحقيق عبدالفتاح الحلو والطناحي . مطبعة عيسى البـابي الحلبي ط/١ ، ٨ أجزاء تواريخ مختلفة ، آخرها الثامن ١٩٧١م . مصر .

ابن سعد (عريب بن سعد) ، ت: ٣٦٦هـ .
(٥٢) «صلة تاريخ الطبري» طبعة ليدن . مطبعة بريل ، ١٨٩٧م ، (طبعة دي غوي) ابن سعد (أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري) ، ت: ٢٣٠هـ .
(٥٣) «الطبقات الكبرى» دار صادر . دار بيروت ـ لبنان .
السلمي (أبو عبدالرحمن) ، ت: ٤١٢هـ .
(٥٤) «طبقات الصوفية» تحقيق نور الدين شربية ، نشر مكتبة الخانجي ، ومكتبة الهلال ـ بيروت ، المكتب العربي بالكويت ، مطبعة دار التأليف ١٣٨٩/ ١٩٦٩م .
السمعاني (أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني) ، ت: ٥٦٢هـ .
(٥٥) «الأنساب» تصحيح الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، طبع بإعانة وزارة المعارف للحكومة الهندية ط/١ . الدكن جـ/٦ الهند ١٣٨٦/ ١٩٦٦م .
(٥٦) «وطبعة أخرى في بيروت تحقيق أمين دمج». وقد اعتمدت الطبعتين في البحث مع الإشارة إلى كل منهما .
السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر) ، ت: ٩١١هـ .
(٥٧) «طبقات الحفاظ» تحقيق علي محمد عمر ط/١ مكتبة وهبة ، مطبعة الاستقلال الكبرى . القاهرة ـ مصر ١٣٩٣/ ١٩٧٣م .
(٥٨) «طبقات المفسرين» ط/١ تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة وهبه ، مطبعة الحضارة العربية . القاهرة ـ مصر ١٣٩٦/ ١٩٧٦م .

(ش)

أبو شجاع (محمد بن الحسن ظهير الدين الروذراوري) ، ت: ٤٨٨هـ .

(٥٩) «ذيل تجارب الأمم» تصحيح هـ . ف . آمدروز . مطبعة شركة التمدن الصناعية . القاهرة ـ مصر ١٣٣٤ / ١٩١٦م . .

ابن شداد (عزالدين محمد بن علي بن ابراهيم) ، ت : ٦٨٤هـ .

(٦٠) «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة» قسم الشام : تاريخ مدينة دمشق . نشر سامي الرهان المعهد الفرنسي بدمشق ١٣٧٥ / ١٩٥٦م .

القسم الأول من الجزء الأول طبع المعهد الفرنسي بدمشق ، المطبعة الكاثوليكية . تحقيق دومتيك سورديل ـ دمشق ١٩٥٣م .

«تاريخ لبنان والاردن وفلسطين» نشر وتحقيق سامي الرهان ١٣٨٢ / ١٩٦٢م . وهو الجزء الثاني من الكتاب .

قسم الجزيرة وهو الجزء الثالث من الكتاب ، قسمان : تحقيق يحيى عبارة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، إحياء التراث رقم ٤٩ ، مطبعة وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٨ / ١٩٨٠م .

(ص)

الصفدي (صلاح الدين خليل بن ايبك) ، ت : ٧٦٤هـ .

(٦١) «الوافي بالوفيات» ٩ أجزاء مطبوعة والباقي مخطوط ، الأجزاء (١-٤) طبعت باعتناء هلموت رينر نشر دار النشر فرانز شتاينر فسبادن ، انتشارات جيهان طهران ـ ايران ١٣٨١ / ١٩٦١م .

جـ/ ٥ ، ٦ اعتناء س ديدرينغ دار صادر ـ بيروت ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ١٩٧٠ ـ ١٩٧١م .

جـ/ ٧ اعتناء احسان عباس ، دار النشر فرانز شتاينر فسبادن . دار صادر ، بمساعدة المعهد الألماني للأبحاث الشرقية . بيروت ـ لبنان ١٩٦٩ / ١٣٨٩هـ .

جـ/ ٨ اعتناء محمد يوسف نجم ، دار صادر . المعهد الألماني ـ بيروت ١٣٩١ / ١٩٧١م .

جـ/ ٩ اعتناء يوسف زان اس . سلسلة التراث للنشرات الإسلامية أسسها هلموت رينر .
(٦٢) «أمراء دمشق» تحقيق صلاح الدين المنجد ، المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٥٥م .
الصيرفي (أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان) ، ت : ٥٤٢هـ .
(٦٣) «الاشارة إلى من نال الوزارة» تحقيق عبدالله مخلص ، مقتطف من مجلة المعهد الفرنسي بالقاهرة ، عدد ٢٥ ، مطبعة المعهد ١٩٢٤م .

(ط)

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) ، ت : ٣١٠هـ .
(٦٤) «كتاب الأمم والملوك ـ أو ـ الرسل والملوك» طبعة دار القاموس ، ١٣ جزء ، نشر مكتبة البيان ـ لبنان .
وطبعة أخرى تحقيق أبو الفضل ابراهيم ، دار سويدان ، بيروت ـ لبنان ، سنوات مختلفة ، وقد اعتمدت الطبعتان .
(٦٥) «تهذيب الآثار» تحقيق محمود شاكر ، مسند عمر (السفر الأول) مسند عبدالله بن عباس (سفران) مسند علي بن أبي طالب ، من اصدارات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ١٩٨٢م .
ابن الطقطقي (محمد بن علي ويعرف أيضاً بابن طباطبا) ، ت : ٧٠٩هـ .
(٦٦) «الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية» المكتبة التجارية الكبرى ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ـ مصر ١٣٤٥ / ١٩٢٧م .

(ظ)

ابن ظافر (جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر) ، ت : ٦٢٣هـ .
(٦٧) «الدول المنقطعة» تحقيق أندريه فرّبه ، مطبوعات المعهد الفرنسي

للآثار الشرقية بسلسلة مجموعة نصوص عربية ودراسات إسلامية مجلد ١٢ .

الظاهري (غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري) ، ت: ٨٧٣هـ .

(٦٨) «زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك» تصحيح بوس راوس ، طبع باريس بمطبعة الجمهورية ١٨٩٤م .

(ع)

ابن عبدالحكم (أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم) ، ت: ٢٥٧هـ .

(٦٩) «فتوح مصر وأخبارها» طبعة مصورة عن طبعة بريل ، ليدن ١٩٢٠م مصورة بمكتبة المثنى بغداد .

ابن العديم (كمال الدين عمر بن احمد) ، ت: ٦٦٠هـ .

(٧٠) «زبدة الحلب من تاريخ حلب» ٣ أجزاء تحقيق سامي الرهان ، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية ـ دمشق ١٩٥٤م .

ابن عساكر (أبو القاسم) ، ت: في حدود ٥٧٢هـ .

(٧١) «تاريخ مدينة دمشق» مجلد/ ١٠ تحقيق عبدالغني دهمان . مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق .

ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبدالحي) ، ت: ١٠٨٩هـ .

(٧٢) «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» طبعة دار المسيرة، بيروت ١٣٩٩/ ١٩٧٩م .

ابن العمراني (محمد بن علي بن محمد) ، ت: ٥٨١هـ .

(٧٣) «الأنباء في تاريخ الخلفاء» تحقيق وتقديم ودراسة كامل السامرائي ، المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية بالقاهرة ، رقم «١» ليدن هولندة ١٩٧٣م .

العمري (محمد أمين بن خير الدين الخطيب) ، ت: ١٢٠٣هـ .

(٧٤) «منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء» ، تحقيق سعيد الديوة جي جزءان . مطبعة الجمهورية ، الموصل ـ العراق ١٣٨٦/ ١٩٦٧م .

العيني (بدر الدين محمود) ، ت: ٨٥٤هـ .

(٧٥) «عقد الجمان» ميكرو فيلم بجامعة الكويت رقم ٦٠٢ جـ/١٢ .

(٧٦) «السيف المهند في سيرة الملك المؤيد» تحقيق فهيم شلتوت ، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، نشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ـ وزارة الثقافة . المكتبة العربية ١٣٨٧/ ١٩٦٧م .

(ف)

الفارقي (احمد بن يوسف بن علي بن الأزرق) ، ت: ٥٧٢هـ .

(٧٧) «تاريخ آمدو ميافارقين» القسم الأول مخطوط رقم ٦٣١٠ اكسفورد ، نشر بدوي عبداللطيف عوض ، باسم «تاريخ الفارقي» ، طبع دار الكتاب اللبناني ط/٢ بيروت ١٩٧٤م .

أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل بن نورالدين علي بن جمال الدين محمود صاحب حماة) ، ت: ٧٣٢هـ .

(٧٨) «تقويم البلدان» عني بتصحيحه رينود والبارون ماك كوكين دي سلان ، طبع باريس ، دار الطباعة السلطانية ـ باريس ١٨٤٠م ، وطبعة مصورة عنها بمكتبة المثنى بغداد ومكتبة الخانجي بمصر .

(٧٩) «المختصر في أخبار البشر» دار المعرفة للطباعة والنشر ٤ أجزاء في مجلدين بيروت ـ لبنان .

ابن الفرضي (أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ) ، ت: ٤٠٣هـ .

(٨٠) «تـاريخ علمـاء الأنـدلس» قسمـان في مجلد المكتبة الأندلسية الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م .

ابن الفقيه الهمذاني (أبو بكر احمد بن محمد الهمذاني) ، ت: ٣٦٥هـ .

(٨١) «مختصــر كتــاب البلدان» مطبعــة بريل ، ليدن ـ هولنـدة ١٣٠٢/ ١٨٨٥م . طبعة مصورة عنها بمكتبة المثنى ببغداد .

(ق)

قدامة (أبو الفرج بن جعفر الكاتب البغدادي) ، ت: ٢٣٧هـ .

(٨٢) «الخـراج وصناعة الكتابة» شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد وزارة الثقافة بغداد ـ العراق ١٩٨١م .

القـرماني (أبو العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي القرماني) ، ت: ١٠١٩هـ .

(٨٣) «أخبـار الدول وآثار الأول في التاريخ» عالم الكتب ـ بيروت ، توزيع مكتبة المتنبي بالقاهرة ومكتبة سعدالدين وهبة بدمشق .

القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف) ، ت: ٦٤٦هـ .

(٨٤) «المحمـدون من الشعـراء» تحقيق حسين معمـري ، مراجعـة حمـد الجـاسر ، اشراف شارل بلا . جامعة باريس ، دار اليمامة بالرياض ـ السعودية ١٣٩٠ ـ ١٩٧٠م .

(٨٥) «أخبـار العلماء بأخبار الحكماء» دار الآثار للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ـ لبنان .

ابن القلانسي (أبو يعلى حمزة) ، ت: ٥٥٥هـ .

(٨٦) «ذيل تاريخ دمشق» طبعة بيروت عن طبعة بريل ١٩٠٨م ، مطبعة الآباء اليسـوعيين ، تحقيق هـ . ف . آمـدروز . وطبعة مصورة عنها بمكتبة

المثنى بغداد ـ العراق .
القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي بن أبي اليمن القاهري) ، ت: ٨٢١هـ .
(٨٧) «صبح الأعشى» ١٤ مجلد ، المطبعة الأميرية دار الكتب المصرية ، نسخة مصورة عنها بمطابع كوستاتسو ماتش وشركاهم ، المؤسسة المصرية العامة للكتاب . وزارة الثقافة ـ مصر ١٣٨٣ / ١٩٦٣م .
(٨٨) «مآثر الأناقة في معالم الخلافة» ٣ أجزاء ، تحقيق عبدالستار فراج ١٩٦٤م ، مطبعة وزارة الارشاد والأنباء بالكويت .

(ك)

الكتبي (محمد بن احمد بن شاكر) ، ت: ٧٦٤هـ .
(٨٩) «فوات الوفيات» دار الثقافة بيروت في خمسة مجلدات لبنان ١٣٩٣ / ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤م .
ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل) ، ت: ٧٧٤هـ .
(٩٠) «البداية والنهاية» طبعة دار المعارف ـ بيروت ط/١ ، ١٩٦٦م ، وطبعات مختلفة السنوات ٢/ ١٩٧٢م ، ٣/ ١٩٧٨م والطبعات الثلاث متساوية الصفحات مما يجعلنا نجزم بأن الطبعتين قد صورتا عن الأولى .
الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف) ، ت: ٣٥٠هـ .
(٩١) «كتاب الولاة وكتاب القضاة» تحقيق الأستاذ رفن كوست طبعة الآباء اليسوعيين ـ بيروت ١٩٠٨م .
(٩٢) «ولاة مصر» تحقيق حسين نصار ، دار بيروت ـ لبنان ١٣٧٩ / ١٩٥٩م .
(٩٣) «المختار من ولاة مصر وقضاتها» اختيار ابراهيم العدوي وزارة الثقافة ، دار المعرفة .

(م)

ابن ماكولا (الأمير الحافظ) ، ت : ٤٧٥هـ .

(٩٤) «الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والألقاب» نشر أمين دمج ، بيروت ـ لبنان .

مجهــول :

(٩٥) «العيون والحدائق في أخبار الحقائق» ويليه المجلد السادس من تجارب الأمم لمسكــويه وفيه حوادث السنوات من ١٩٨ ـ ٢٥١هـ ، والعيون والحدائق جـ/٣ مكتبة المثنى ، بغداد ـ العراق .

المراكشي (ابن عذاري أبو محمد عبدالله بن محمد) ، ت : أواخر القرن السابع الهجري (٦٩٥هـ) .

(٩٦) «البيان المغرب في أخبار المغرب» ٤ أجزاء طبعة بيروت ـ لبنان .

المزي (الحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي) ، ت : ٧٤٢هـ .

(٩٧) «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» تحقيق بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة . جزءان ط/٢ . بيروت ـ لبنان ١٤٠٠/ ١٩٨٠م .

المسبحي (عزالملك محمد بن عبدالله) ، ت : في حدود ٤٢٠هـ .

(٩٨) «من تاريخ مصر في سنتين» (٤١٤ ، ٤١٥هـ) ، تحقيق وليم . ج بيلورد ١٩٨٠م .

المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين) ، ت : ٣٤٦هـ .

(٩٩) «التنبيه والإشراف» دار التراث ، بيروت ـ لبنان ١٩٦٨م .

(١٠٠) «مروج الذهب ومعادن الجوهر» دار الأندلس ، بيروت ط/٢ . بيروت ـ لبنان ١٣٨٥/ ١٩٦٦م .

وطبعة محيي الدين عبدالحميد . المطبعة التجارية الكبرى بمصر .

مسكويه (أبو علي احمد بن محمد) ، ت : ٤٢١هـ .

(١٠١) «تجارب الأمم وتعاقب الهمم» جزءان تحقيق أمدروز ومرغليوث لايدن ـ هولندة ١٩١٣م .

المقـدسي (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن أبي بكر البناء البشاري) ، ت : ٣٨٧هـ .

(١٠٢) «أحسن التقـاسيم في معـرفة الأقاليم» طبعة مصورة في مكتبة المثنى ببغداد عن طبعة لايدن ١٩٠٦م تحقيق دي غويه ط/٢ .

المقدسي (المطهر بن طاهر) ، ت :

(١٠٣) «البدء والتاريخ» ٦ أجزاء نشر كلمان هوار باريس ١٩١٦م .

المقريزي (تقي الدين احمد بن علي) ، ت : ٨٤٥هـ .

(١٠٤) «الخطط المقريزية ـ أو ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» دار صادر بيروت ، طبعة جديدة بالأوفست .

(١٠٥) «اتعـاظ الحنفـا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا» تحقيق جمال الدين الشيال المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . القاهرة ـ مصر ١٣٨٧/ ١٩٦٧م .

ابن ميسر (تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب) ، ت : ٦٧٧هـ .

(١٠٦) «المنتقى من أخبار مصر» انتقاء المقريزي عام ٨١٤هـ ، تحقيق وتقديم أيمن فؤاد سيد المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ـ مصر ١٩٨١م .

(هـ)

الهمذاني (أبو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمذاني) ، ت : ٣٥٠هـ .

(١٠٧) «كتاب الاكليل» جزءان . تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ـ العراق ١٩٨٠م ، الهمذاني (محمد بن عبدالملك) ت : ٥٢١هـ.

(١٠٨) «تكملة تاريخ الطبري» تحقيق البرت يوسف كنعان ، المطبعة الكاثوليكية ط/٢ ، جـ/١ بيروت ـ لبنان ١٩٦١م .

(ي)

اليافعي (عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان المكي) ، ت: ٧٦٨هـ .
(١٠٩) «مرآة الجنان وعبرة اليقظان» ٤ أجزاء مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . ط/٢ بيروت ١٣٩٠/ ١٩٧٠م ، وهذه الطبعة مصورة عن الطبعة الأولى المطبوعة بدار المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن ـ الهند ١٣٣٧هـ .

ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبدالله بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي) ، ت: ٦٢٦هـ .
(١١٠) «معجم البلدان» ٥ مجلدات ، دار صادر ـ بيروت .
(١١١) «المشترك رضعاً والمفترق صقعاً» طبعة مصورة بمكتبة المثنى ببغداد .
(١١٢) «معجم الأدباء» دار المستشرق . بيروت جـ/٥ والطبعة في عشرين جزء .

اليعقوبي (احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح) ، ت: ٢٨٤هـ .
(١١٣) «تاريخ اليعقوبي» جزءان في مجلدين طبعة بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .
(١١٤) «كتاب البلدان» بذيل الاعلاق النفيسة لابن رستة مجلد/٧ ط/١ لايدن هولندة ١٨٩١م . والطبعة الموجودة مصورة عنها بمكتبة المثنى بغداد ، وهي التي اعتمدنا عليها .

أبو يوسف (يعقوب بن ابراهيم) ، ت: ١٨٢هـ .
(١١٥) «كتاب الخراج» ط/٥ ، المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة ١٣٩٦هـ .

ثانياً: المراجع الحديثة:

أحمد الزيلعي .

(١١٦) «مكة وعلاقاتها الخارجية» نشر عمادة شؤون الطلاب بجامعة الملك سعود . مطابع جامعة الملك سعود ـ الرياض ١٩٨١م .

احمد سامح الخالدي .

(١١٧) «أهل العلم والحكم في ريف فلسطين» ط/١ ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ـ الاردن ١٩٦٨م .

احمد السباعي .

(١١٨) «تـاريخ مكة» الجزء الأول . مطبوعات نادي مكة ، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ط/٤ مكة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

احمد عطية .

(١١٩) «القـامـوس الإسـلامي» ٣ أجـزاء . مكتبة النهضة المصرية ط/١ ، القاهرة . السنوات: ١٩٦٣م ، ١٩٦٦م ، ١٩٧٠م .

احمد فكري ، الدكتور .

(١٢٠) «مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل» مطبعة دون بوسكو ـ دار المعارف الاسكندرية ـ مصر ١٣٨١ / ١٩٦١م .

آدم ، تـز ، المستشرق .

(١٢١) «الحضـارة الإسـلامية في القـرن الـرابـع الهجـري» تعـريب محمد عبـدالهـادي أبو ريدة . مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الكتاب العربي ببيروت ط/٤ ، بيروت ١٣٨٧ / ١٩٦٧م .

أنيس ، الصايغ ، الدكتور .

(١٢٢) «بلدانية فلسـطين المحتلة» مركـز الأبحاث الفلسطيني التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ببيروت رقم «٩» بيروت ـ لبنان ١٩٦٨م .

أمينة بيطار ، الدكتورة .

(١٢٣) «الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام في الفترة ١٣٢ ـ ٣٥٨/ ٧٥٠ ـ ٩٦٨م» ، وزارة الثقافة ـ دمشق ـ سوريا ١٩٨٠م .

حسن ابراهيم حسن ، الدكتور .

(١٢٤) «تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي والثقافي» ٤ أجزاء ط/٧ ، الأجزاء الثلاثة الأولى ١٩٦٤/ ١٩٦٥م ، والجزء الرابع ط/١ ، ١٩٦٧م ، النهضة العربية ، مطبعة السنة المحمدية ـ مصر ١٩٦٧م .

حسن الباشا ، الدكتور .

(١٢٥) «مدخل إلى الآثار الإسلامية» دار النهضة العربية ، دار الاتحاد العربي للطباعة والنشر القاهرة ـ مصر ١٩٧٩م .

حسن فاضل زعين العاني ، الدكتور .

(١٢٦) «سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية» بغداد ١٩٨١م .

خاشع المعاخيدي ، الدكتور .

(١٢٧) «الحياة السياسية في بلاد الشام في العصر الفاطمي» ط/١ جامعة بغداد ، دار الحرية للطباعة والنشر بغداد ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦م .

خيرالدين الزركلي .

(١٢٨) «الاعلام» قاموس تراجم ط/٢ كوستا تشوماتش وشركاه ، القاهرة تواريخ مختلفة من ١١ جزء ، وطبعة أخرى ثالثة مزيدة ومنقحة .

ستيفن ، رنسيمان، المستشرق .

(١٢٩) «تاريخ الحروب الصليبية» ٣ أجزاء بترجمة الباز العريني ، دار الثقافة ط/١ بيروت ١٩٦٧/ ١٩٦٨م ، وطبعة ثانية ١٩٧٨ ، وطبعة ثالثة ١٩٨٠م .

سعيد عبدالفتاح عاشور ، الدكتور .

(١٣٠) «الحركة الصليبية» جزءان ، ط/٣ ، مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٧٥م .

سمير شما .
(١٣١) «النقود الإسلامية التي ضربت في فلسطين» ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .
سهيل زكار ، الدكتور .
(١٣٢) «مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية» ط/٢ ، دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٥م .
(١٣٣) «أخبار القرامطة» مجموعة نصوص من مصادر مختلفة حققها وهي تخص القرامطة ، مؤسسة الرسالة ، دار الأمانة ـ بيروت ١٣٩١/ ١٩٧١م .
سيدة إسماعيل الكاشف ، الدكتورة .
(١٣٤) «مصر في عهد الإخشيديين» ط/٢ ، النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٧٠م .
(١٣٥) «مصر في عهد الطولونيين والإخشيديين» الانجلو المصرية ـ القاهرة ، بالاشتراك مع حسن محمود ـ مصر ١٩٦٠/ ١٩٧٩م .
صلاح الدين المنجد ، الدكتور .
(١٣٦) «معجم بني أمية» دار الكتاب الجديد ط/١ مستخرج من تاريخ ابن عساكر ، بيروت ـ لبنان ١٩٧٠م .
عارف باشا العارف .
(١٣٧) «تاريخ القدس» دار المعارف ، القاهرة ـ مصر ١٩٥١م .
عفيف بهنسي .
(١٣٨) «لمحات آثارية وفنية» دار الرشيد ، توزيع الدار الوطنية للنشر والتوزيع ، بغداد ـ العراق ١٩٨٠م .
علي ابراهيم حسن ، الدكتور .
(١٣٩) «تاريخ جوهر الصقلي» ط/٢ ، نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٦٣م .
عمر رضا كحالة .

(١٤٠) «أعلام النساء» قاموس تراجم لنساء الإسلام الشهيرات مؤسسة الرسالة ط/٣ ، بيروت ـ لبنان ١٣٩٧ / ١٩٧٧م .
غوستاف ، لوبون ، المستشرق .
(١٤١) «حضارة العرب» ترجمة عادل زعيتر ، دار المعارف بمصر ـ القاهرة ١٩٦٩م .
فؤاد سزكين .
(١٤٢) «تاريخ التراث العربي» مجلدان ، وكل مجلد في خمسة أجزاء ، طبع مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ بالرياض ، تعريب محمود فهمي وزميله ١٤٠٣/ ١٤٠٤هـ .
فيليب حتى ، الدكتور .
(١٤٣) «تاريخ العرب مطول» جزءان ط/٤ دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، مطابع الغندور ، بيروت ـ لبنان ١٩٦٥م .
(١٤٤) «تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين» دار الثقافة ، ترجمة كمال اليازجي ، جزءان ـ بيروت ١٩٥٩م .
كي ليسترنج ، المستشرق .
(١٤٥) «فلسطين في العهد الإسلامي» ط/١ وزارة الثقافة ، ترجمة محمود عمايرة ، وزارة الثقافة والفنون ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ـ الاردن ١٩٧٠م .
محمدجمال الدين سرور ، الدكتور .
(١٤٦) «سياسة الفاطميين الخارجية» دار الفكر العربي ، دار الحمامي للطباعة ـ مصر ١٣٩٦/ ١٩٧٦م .
محمد الطيب النجار ، الدكتور .
(١٤٧) «تاريخ الأنبياء» دار الاعتصام ، القاهرة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .
محمد عبدالمنعم خفاجي .

(١٤٨) «بنـو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي» ط/١ ، المطبعة الفاروقية الحديثة ١٣٦٩/ ١٩٥٠م .
محمد كرد علي .
(١٤٩) «خطط الشام» ٦ أجزاء ، مطبعة المفيد ، دمشق ـ سوريا ١٣٤٧/ ١٩٢٨م .
مصطفى مراد الدباغ .
(١٥٠) «بلادنا فلسطين» جـ/١ ق/٢ ط/١ ، منشورات دار الطليعة ـ لبنان ٨٤ ـ ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦م .
ملكة ابيض ، الدكتورة .
(١٥١) «التربية والثقافة العربية الإسلامية في بلاد الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة» دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٨٠م .
نقولا زيادة ، الدكتور .
(١٥٢) «الرحالة العرب» نشر دار الهلال ١٩٥٦م .
يوليوس ، فلهوزن ، المستشرق .
(١٥٣) «تـاريخ الدولة العربية» تعريب محمد عبدالهادي أبو ريدة ، مراجعة حسين مؤنس لجنة التأليف والترجمة والنشر بإشراف إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم ط/١ ، القاهرة ـ مصر ١٩٦٨م .

ثالثاً : المجــلات :

(١٥٤) «مـوظفـو بلاد الشام في العهد الأموي» لصالح احمد العلي ، مجلة الأبحاث ، السنة ١٩ ح/١ آذار ١٩٦٦م .

رابعاً : دوائر المعارف والموسوعات :

(١٥٥) «المـوسـوعة العربية الميسرة» بإشراف محمد شفيق غربال ، مؤسسة فرنكلين ، دار العلم للملايين ط عام ١٩٥٩م .

(١٥٦) «دائرة معارف البستاني» جـ/٨ مادة «رملة» لبطرس البستاني .

(١٥٧) «دائرة المعارف الإسلامية» مجلد/ ١٠

خامساً : المراجع الأجنبية :

(158) Cambridge , History of I slam: Two . Volums by .
P . M . Helt Ann K . S . Lambtone Bernard . Lewis 1970 .

(159) Crus well K . A . C: Ashort Aceount of Early .
Muslims Arehetecture .

(160) Crus well K . A . C: Early Muslim Archete cture
2 parts secound Edit . At the claren don Press . ox ford 1969 .

(161) Ency clopedea of Islam , Vol . I I .

الفهــرس



تطلب جميع منشوراتنا من:

الشركة المتحدة للتوزيع

بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة